جامعة اليرموك

كلية الآداب

قسم التاريخ

قوافل الحج الشامية والمصرية في العصر الايوبي

(٥٦٩-٦٤٨هـ/١١٧٣-١٢٥٠م)

The Shami and Egyptian Hajj Caravans During the Auyybid Period

(648-569A.H/ 1250-1173A.D)

إعداد الطالب :

ناهد عبد الرزاق المراونه

الرقم الجامعي :

2016340008

اشراف الدكتور :

عبد المعز بني عيسى

قدمت هذه الرسالة استكمالًا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

من جامعة اليرموك

الفصل الدراسي الاول 2020

اربد – الأردن

قرار لجنة المناقشة

قوافل الحج الشامية والمصرية في العصر الايوبي

(569-648هـ/1173-1250م)

The Shami and Egyptian Hajj Caravans During the Auyybid Period

(569-648A.H/1173-1250A.H)

اعداد الطالبة

ناهد عبد الرزاق محمد المراونة

الرقم الجامعي

2016340008

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ

جامعة اليرموك . اربد - الاردن

وافقت عليها لجنة المناقشة المكونة من الاساتذه التالية اسماؤهم

د. عبد المعز بني عيسى ..... (رئيسا ومشرفا)

أ.د محمد العناقرة ..... (عضواً)

د.محمد المزاودة ..... (عضواً)

أ.د محمد صياح العيسى ..... (عضواً)

تاريخ مناقشة الرسالة 2021/1/13

الإهداء

إلى روح صغيرتي (لجين) رحمها الله

إلى عوض الله الجميل رفيق دربي ورجلي الصغير (آدم)

إلى والداي الغاليين حفظهما الله

إلى من كان إلى جانبي خلال هذه المرحلة

أهدي هذا الجهد المتواضع

الطالبة: ناهد مراونة

شكر وتقدير

لا يسعني وقد أعانني الله عز وجل على إخراج هذه الرسالة إلى حيز الوجود، إلا أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى استاذي الفاضل الدكتور عبد المعز بني عيسى على جهوده الطيبة، وتوجيهه الدائم طيلة عملي في انجاز رسالتي، وعلى ما أولاني إياه من إرشاد وتشجيع أثرى رسالتي، وأنار لصاحبتها أفقا واسعا من المعرفة والتحليل، فكان له الفضل في إظهار هذه الرسالة في ثوبها الحالي.

وأتقدم بالشكر والامتنان إلى أساتذة قسم التاريخ في جامعة اليرموك لما بذلوه من جهد وتوجيه طيلة فترة دراستي ، ومن كان له من كبير الأثر في نفسي لإتمام رسالتي .

ثبت المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	ج
الشكر والتقدير	د
فهرس المحتويات	هـ
فهرس الملاحق	ط
قائمة المختصرات	ي
المخلص باللغة العربية	ك
المقدمة	1
التمهيد	3
قوافل الحج في العصرين العباسي والفاطمي	6
الفصل الأول: تجهيز القوافل وتنظيمها في العصر الأيوبي	9
اولًا: النداء للحج	11
ثانيًا: محمل الحج	13
(أ) محمل الديار المصرية	14
(ب) المحمل الشامي	15
ثالثًا: إمرة الحج	17
رابعًا: إمرة الموسم	22
خامسًا: مرافقو قوافل الحج	24
(أ) ولاة الطريق	24
(ب) قاضي القافلة	25
(ج) كاتب أمير الحج	25
(د) صاحب البريد	26
(هـ) السقاة	26
(و) الميقاتي	26
(ز) طبيب القافلة	27
(ح) ناظر المواريث	27

(ط) معدي طعام القافلة (الطباخون)	27
(ي) أدلاء الطريق	28
(ك) البيطار	28
(ل) مقدم الضوئية (الإنارة)	28
(م) ضاربو الطبول	29
(ن) مفتش الخيول والجمال	29
(س) الدوادار	29
(ع) حراس القافلة	30
(ف) طرف الصرة	30
سادسًا: أبرز الوظائف التي ظهرت في العصر الأيوبي	30
(أ) الصبيان	31
(ب) الخصية (الأغوات)	31
(ج) نفقة القوافل	32
سابعًا: قافلة الحج وقت خروجها	33
الفصل الثاني: طريق الحج	34
أولًا: طريق الحج المصري	35
(أ) تطورات قافلة الحج المصري	35
(ب) خط سير قافلة الديار المصرية	38
ثانيًا: طريق الحج الشامي	45
(أ) تطورات قافلة الحج الشامي	45
(ب) خط سير القوافل الشامية	46
(ج) محطات القافلة الشامية	47
ثالثًا: الأخطار التي تعرض لها الحجاج	50
(أ) الأخطار الطبيعية	50
(ب) الفتن والحروب	52
(ج) هجمات الأعراب وقطع الطريق	54
(د) التحديات التي واجهها الحجاج	55
رابعًا: أثر العدوان الصليبي على قوافل الحج	56
(أ) أثر الصليبيين على طريق الحج المصري	56

(ب) أثر الصليبيين على طريق الحج الشامي	60
خامسًا: رعاية البيت الأيوبي لقوافل الحج الشامي والمصري	61
(أ) صلاح الدين الأيوبي	61
(ب) المعظم عيسى	63
(ج) ربيعة خاتون	64
الفصل الثالث: أثر وانعكاسات قوافل الحج الشامي والمصري على الأوضاع العامة في مكة في العصر الايوبي	66
أولًا: أمراء مكة زمن الأيوبيين	67
ثانيًا: العلاقات بين أمراء مكة وحكام الدولة الأيوبية وتدخل السلاطين الأيوبين بالشأن الداخلي لمكة	68
ثالثًا: الصراع بين آل رسول والأيوبيين في مكة وأثره على الحجاج	71
رابعًا: أوضاع مكة زمن الأيوبيين	74
(أ) الحياة الاجتماعية في مكة خلال العصر الأيوبي	74
أولا: طبقات المجتمع	75
ثانيا: بعض العادات والتقاليد في مكة	76
(أ) الحياة الدينية والتعدد المذهبي في مكة خلال العصر الأيوبي	78
(ب) الحياة العلمية في مكة خلال العصر الأيوبي	80
(ج) الحياة الاقتصادية في مكة	83
أولًا: الأسواق في مكة زمن الايوبيين	83
ثانيًا: المعاملات المالية	84
ثالثًا: الموارد المالية لمكة	85
رابعًا: الأزمات الاقتصادية التي مرت بها مكة	86
الفصل الرابع: مناسك الحج	87
اولًا: المواقيت الزمانية والمكانية للقوافل الشامية والمصرية	89
ثانيًا: الاحتفالات ببدء الموسم	90
(أ) احتفال بشهر شوال	90
(ب) احرام الكعبة	91
(ج) شهادة رؤية هلال ذي الحجة	91
(د) كسوة الكعبة	92

ثالثًا: الخدمات التي تقدم للحجاج في مكة	93
(أ) توفير المياه	93
(ب) توفير الطعام	95
رابعًا: نزل الحجاج والمبيت في مكة	96
خامسًا: البيمارستان وتقديم الخدمات الصحية للحجاج في مكة	98
سادسًا: مناسك الحج في العصر الأيوبي	99
(أ) الانتقال من مكة إلى عرفات دون المبيت في منى	99
(ب) المرور ببطن عرنة	100
(ج) المبيت بعرفات بعد غروب شمس يوم عرفة	100
(د) الحج بدون رمي الجمرات	100
(هـ) تجاوز الإقامة بمنى بعد النحر	101
سابعا: المدة التي تقضيها القوافل في مكة	101
ثامنا: الطريق التي تسلكه القوافل أثناء العودة إلى ديارهم	102
(أ) طريق عودة القوافل الشامية	102
(ب) طريق عودة القوافل المصرية	103
تاسعا: مبشر الحج	103
عاشرا: استقبال الحجاج بعد عودتهم من الحج	104
الخاتمة	105
قائمة المصادر والمراجع	107
قائمة الملاحق	129
الملخص باللغة الإنجليزية "Abstract"	138

فهرس الملاحق:

الملحق	الصفحة
الملحق رقم (1): كتاب السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي وجهه الى أمير مكة من اجل إبطال المكوس	130
الملحق رقم (2): خارطة المشاعر المقدسة	131
الملحق رقم (3): خارطة الدولة الأيوبية	132
الملحق رقم (4): الميزاب	133
الملحق رقم (5): طريق الحج المصري عبر عيذاب	134
الملحق رقم (6): طريق الحج الشامي	135
الملحق رقم (7): مواقيت الحج المكانية	137

قائمة المختصرات

المختصرات	
ت	تاريخ الوفاة
ج	جزء
د.ت	دون تاريخ نشر
د.م	دون مكان نشر
د.ن	دون ناشر
ص	صفحه
ق	قسم
م	ميلادي
هـ	هجري
مج	مجلد

الملخص

المراونة ، ناهد عبد الرزاق محمد

قوافل الحج الشامية والمصرية في العصر الايوبي

(٥٦٩-٦٤٨هـ/١١٧٣-١٢٥٠م)

رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك ، الاردن ٢٠٢٠

اشراف الدكتور : عبد المعز بني عيسى

تناولت هذه الدراسة موضوع قوافل الحج الشامية والمصرية خلال فترة حكم السلاطين الايوبيين وتهدف لبيان طبيعة قوافل الحج في الديار المصرية والشامية والطرق التي سلكتها خلال فترة العصر الايوبي حيث تطرقت الدراسة بداية لموضوع إعداد القوافل وتنظيمها ابتداءا من النداء للحج ودوران المحمل وأمرتا الحج و الموسم وما ارتبط بهما من مسؤوليات اظافة لمرافقين الحجاج خلال رحلتهم لاداء الفريضة وانتهاءا بالقافلة عند مغادرتها متجهة الى مكة وتنازلت المراحل التاريخية لقافلتا الحج الشامي والمصري وخط السير لكلتاهما والمخاطر التي تعرض لها الحجاج سواءا اثناء طريقهم الى مكة او خلال فترة اقامتهم في الديار المقدسة وأثارت الدراسة ايضا الاثر الذي احدثه العدوان الصليبي على قوافل الحج والطرق التي تسلكها وبينت كذلك دور السلاطين الايوبيين وصلا الدين الايوبي في دعم الحجاج وتوفير الامن والحماية والدعم المادي لهم كما أشارت الى أثر وانعكاسات موسم الحج على الاوضاع العامة في مكه خلال فترة خضوعها لسيطرة السلاطين الايوبيين دينيا واقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وانهى الباحث الدراسة بالحديث عن فترة اداء المناسك وما ارتبط بها من احتفالات ومراسم تقام كنوع من الابتهاج والاحتفال بفريضة الحج كما ووضح مناسك الحج خلال فترة الدراسة وما طرأ عليها من تغيير

تبعا للظروف الحاصلة والمواقيت الزمانية والمكانية للحجاج وفترة مكوثهم في مكة واخيرا اشار الباحث لطرق العودة التي سلكوها حجاج بيت الله حتى وصولهم لديارهم سالمين.

وخلصت الدراسة الى مجموعة من النتائج كان ابرزها :

– بيان اهمية امرة الحج وامرة الموسم في اتمام رحلة الحج وعودة الحجاج سالمين واهمية المرافقين لهم في رحلتهم تعرض خطوط سير القوافل لعدة ظروف ادت لتغييرها نتيجة لهذا كما واثرت على الحجاج انفسهم ولم تخلو رحلة الحاج المصري والشامي من المخاطر التي لعبت دورا هاما في ادائهم لفريضة الحج واتمامهم مناسكهم وعمل السلاطين الايوبيين وصلاح الدين الأيوبي على دعمهم للحجاج وحمايتهم من الاعتداءات الصليبية والفتن والحروب التي كانت تحصل بين حين واخر وما قدموه من جهود واضحه في سبيل خدمتهم لحجاج بيت الله وقد قدم للحجاج الكثير من الخدمات والتسهيلات خلال فترة تواجدهم في مكة وارتباط موسم الحج بعدة احتفالات تبدأ قبل انطلاق حجاج بيت الله مغادرين الى مكة وتنتهي مع وصولهم لديارهم واستقبالهم فيها

– **الكلمات المفتاحية** : الحج الشامي ، الحج المصري ، مكة، السلاطين الايوبيين.

المقدمة:

موسم الحج السنوي مثل جزءًا مهما في ديننا الاسلامي ليس لأنه فريضة دينية وحسب، بل لما له من أهمية تاريخية نقلت لنا طبيعة الطرق والتحديات التي واجهتها على مدى العصور عدا عن ذلك عد موسم الحج عبر التاريخ موسم يتجدد به الترابط الاسلامي الاقتصادي والحضاري والاجتماعي سنويا، وقد وثقت لنا رحلات الحج على مدى عقود زمنية مختلفة جزءا مهما من التاريخ الاسلامي فبينت لنا طبيعة المجتمعات وطبيعة الطرق ومدى تأثرها بالتغييرات والأحداث التي حصلت حيث أنها كانت تتغير من زمن الى اخر تبعا للظروف المحيطه بها.

ومن هذا المنطلق اقدمنا على دراسة هذا الموضوع قوافل الحج في العصر الأيوبي وقد حصرت الدراسة هذه في قوافل الديار المصرية والقوافل الشامية، وتأتي أهمية دراسة قوافل الحج الشامية والمصرية خلال فترة العصر الأيوبي في بيان جانبا مهما من التاريخ الأيوبي وتسليط الضوء على قوافل الحج، وطبيعتها ومدى تأثرها بالأحداث التي زامنت العصر الأيوبي تحديدا لم يتطرق إليه الباحثين من قبل حسب علم الباحث ولم تكتب به رسائل علمية حتى هذا الوقت، وقد اعتمدت الدراسة منهج البحث التاريخي القائم على جمع المعلومات التاريخي وتبويبها وتحليلها ونقدها والخروج بالنتائج التي تتعلق بهذه الدراسة. فقسمت إلى مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة.

حيث تناولت الدراسة في الفصل الاول عن اعداد قوافل الحج وتنظيمها في العصر الأيوبي فتحدثنا عن النداء للحج ومحمل الحج في الديار المصرية وبلاد الشام وتحدثت لإمرة الحج وإمرة الموسم والمرافقين لهم اثناء رحلة الحج والوظائف التي تختص بالحج وتم استحداثها اثناء العصر الأيوبي وفي نهايته تناولنا الشكل النهائي للقوافل وقت خروجها.

اما الفصل الثاني فقد كان تحت عنوان طريق الحج وجاء الحديث عن التطور التاريخي لقافلة الحج المصري والشامي والمراحل التي مرت بها وتتبعنا خط سير القوافل من نقطة الانطلاق انتهاءًا بوصولها إلى مكة بالإضافة للحديث عن المخاطر التي تعرضت لها قوافل الحجيج اثناء طريقها للديار المقدسة وخلال تواجدهم في المشاعر المقدسة وأثر الاحتلال الصليبي على خط سير القوافل ودعم السلاطين الأيوبيين القوافل الحج وما قدموه للحجاج.

وفي الفصل الثالث جاء الحديث عن أثر وانعكاسات موسم الحج على الأوضاع العامة في مكة، فتناولنا الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية.

اما الفصل الرابع فكان الحديث فيه عن مناسك الحج وفيه تناولنا المواقيت الزمانية والمكانية لحجاج بلاد الشام والديار المصرية والاحتفالات التي تتزامن مع بدء موسم الحج، والخدمات التي تقدم للحجاج اثناء تواجدهم في مكة ومناسك الحج، وما طرأ عليها من تغيير خلال العصر الأيوبي، والمظاهر الخاصة بالنساء، والمدة التي تقضيها القوافل في مكة والطريق التي تسلكه تلك القوافل في عودتها، وكان الحديث كذلك عن مبشر الحج واستقبال الحجاج بعد عودتهم لديارهم.

التمهيد:

أولًا: قوافل الحج في العصرين العباسي والفاطمي

قال تعالى:

"وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿27﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿28﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ".[1]

يحتلّ الحجّ مكانةً خاصّةً في نفوس المسلمين؛ فمنذ أن فُرض الحجُّ في السنة التاسعة للهجرة/ تسع وعشرون وستمائة[2] كان واضحًا اهتمام الرسول –عليه الصلاة والسلام– بأمر تنظيمه، ومن بعده سار الخلفاء على نهجه في تنظيم الذهاب لأداء هذه الفريضة. ولعلّ المكانة الخاصّة للحجّ لا تنبُع من كونها فريضةً على المسلم القادر فحسب، وإنَّما للمزايا والمنافع الأخرى التي دفعت المسلمين للاهتمام بهذا الرُكن الديني، منها: تزايد النشاطُ التجاريُّ والنموُّ الاقتصاديُّ في مواسم الحج، والتبادل الثقافي والتعرف على الشعوب والثقافات الأخرى، وتحقيق معنى الوَحدة بين مُسلمي الأرض كافة، والتأثير النفسيُّ الذي يَحدُثُ لدى المسلم عَقِبَ تأديته هذه الفريضة بشهادة الحُجّاج أنفسهم، وحديثهم عن التغير الذي يحدث لهم بعد الانتهاء من الحج.[3]

ومن هنا بدأ اهتمام الخلفاء والسلاطين المسلمين على مدى الزمان ومنذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام بهذه الفريضة وما ارتبط بها من دعم لقوافل الحجيج وتأمين طرقها، وخلال فترة العصور الوسطى الإسلامية بدى واضحا اهتمام الخلفاء العباسيين ومن بعدهم الفاطميين بخدمة حجاج بيت الله

([1]) سورة الحج، آية 24.

([2]) الجزيري، محمد بن عبد القادر بن محمد الأنصاري (ت: 977هـ/ 1569م)، درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وتاريخ مكة المكرمة، تحقيق: محمد حسن محمد إسماعيل، بيروت، دار الكتب العلمية، 2002م، ج1، ص121. سيُشار إليه لاحقًا بـ الجزيري، درر الفرائد

([3]) الحشاش، عبد اللطيف شاكر، الحج الشامي في العصر المملوكي (648-923هـ/ 1250-1017م)، رسالة ماجستير، إشراف: رياض مصطفى شاهين، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار، الجامعة الإسلامية، غزة، 2016م، ص261-291. سيُشار إليه لاحقًا بـ الحشاش، الحج الشامي.

وتقديم كل السبل التي تضمن سلامة الحجاج وراحتهم خلال رحلتهم للديار المقدسه. وهنا سنعرض ما قدمه حكام الدولتين العباسية والفاطمية لقوافل وطرق الحج.

بداية اعتبر المؤرخون العصر العباسي الاول 132هـ/749م[1] الفترة الذهبية للتاريخ الاسلامي لما كان الخلفاء العباسيين من دور كبير في بناء الحضارة الإسلامية آنذاك، ومن ضمن الجهود التي قدموها وبذلوها خدمتهم لحجاج بيت الله التي امتدت حتى العصور العباسية المتأخرة عمل الخلفاء العباسيين عامة على بناء البرك، والمنازل، والقصور على طول طريق الحج، وسعوا الى توفير كل المرافق التي يحتاجها الحجاج خلال طريق ذهابهم وإيابهم، وما يميز العصر العباسي هو استحداث وظيفة خاصة يقع على عاتق صاحبها الاشراف والاهتمام بمحطات الحجاج وأماكن استراحتهم وتزودهم بالماء وحمايتها من أي اعتداء قد تتعرض له، وأطلق على صاحب هذه الوظيفة متولي المنازل[2].

ارتبطت اسماء ابرز خلفاء بني العباس بخدمة الحجاج ومنهم الخليفة ابو العباس السفاح (132هـ/749م إلى 136هـ/753م).[3] اذ تميز عهده ببناء المنازل وعدة قصور للحجاج العراقيين في طريقهم[4].

ومن بعده جاء الخليفة المهدي (158هـ/775م إلى 169هـ/785م)[5] الذي لم يقل اهتمامه بالحجاج عن اهتمام ابو العباس السفاح فبنى الأخبار والبرك وأمر كذلك بإجراء التحسينات على طريق

([1]) ابن الأثير، ابو الحسن بن محمد الجزري (ت: 630هـ/1233م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1997م، ج5، ص63. سيشار إليه لاحقا بـ ابن الأثير، الكامل في التاريخ

([2]) المقريزي، تقي الدين ابو العباس احمد بن علي بن عبد القادر العبيدي (ت: 845هـ/1441م)، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الأمراء والملوك، تحقيق: جمال الدين، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 2000م، ص19. سيشار إليه لاحقا بـ المقريزي، الذهب المسبوك؛ الحشاش، الحج الشامي، ص34.

([3]) ابو العباس السفاح: عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، كان أول خلفاء بني العباس، حكم من سنة 132 هـ حتى عام 136هـ. للمزيد انظر: الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي (ت: 463هـ/1070م)، تاريخ بغداد او مدينة السلام، تحقيق: مصطفة عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، ج10، ص49. سيشار إليه لاحقا بـ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت: 911هـ/1505م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد غسان نصوح، وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية، قطر، 2013م، ص417-418. سيشار إليه لاحقا بـ السيوطي، تاريخ الخلفاء.

([4]) المقريزي، الذهب المسبوك، ص19؛ الجزيري، درر الفرائد، ج2، ص282؛ الحشاش، الحج الشامي، ص262.

([5]) المهدي: ابو عبد الله محمد بن ابي جعفر عبد الله بن محمد المنصور امتدت فترة خلافتة لعشرة سنوات. للمزيد انظر: الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني (ت: 832هـ/1428م)، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ج1، ص108. سيشار إليه لاحقا بـ الفاسي، العقد الثمين؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص440؛ ابن عبد القادر الطبري، علي (ت: 1070هـ/1659م)، الآرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء، تحقيق: أحمد جمال، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، 1996م، ص290-291. سيشار إليه لاحقا بـ ابن عبد القادر الطبري، الأرج المسكي.

الحج من خلال وضع العلامات في طريقهم لإرشاد القوافل، ومن ابرز اعماله أيضا كسوة الكعبة بالديباج المذهب ونزع الكسوة القديمة التي كانت عليها هذا بالإضافة الى عمل توسعة في المسجد النبوي، وصرف مكافئات لكل شخص يساهم في خدمة الحجاج وتسهيل رحلتهم، وفي سنة 160هـ/ 777م وزع الموال الكثيرة والثياب على ضيوف الرحمن في مكة جميعا[1] وبالإشارة لاداءه فريضة الحج فقد ذكر أن الخليفة المهدي حج خلال مسيرته كحاكم الاولى كانت سنة 160هـ/777م والثانية سنة 164هـ/780م.[2]

لم تتوقف جهود العباسيين هنا فقد استمرت حتى عهد هارون الرشيد (170هـ/786م إلى 193هـ/809م) الذي ذكر انه ادى فريضة الحج تسع مرات في حياته وكان ذلك ما بين عامي 170هـ/786م و 193هـ/809م، وبذل جهود كبيرة لخدمة الحجاج حيث حرص على استدامة البرك والآبار في طريق الحجاج وإصلاحها وإنشاء العديد منها[3]، وقد ارتبط كذلك اسم زوجته زبيده[4] ام الامين بالإحسان الى الحجاج وخدمة طريق الحج التي اتبعت نهج زوجها وأمرت بإنشاء العديد من البرك على طول طريق الحج، وقدمت الاموال الكثيرة لبلاد الحجاز كذلك[5] كما أنشأ الخليفة المأمون (198هـ/813م إلى 218هـ/833م)[6] كذلك خمس برك للماء في مكة[7]. وبالحديث عن كسوة الكعبة

([1]) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: 310هـ/922م)، تاريخ الطبري–تاريخ الأمم والملوك، بيت الأفكار الدولية، الأردن، د.ت، ص1615. سيشار إليه لاحقا بـ الطبري، تاريخ الطبري؛ القلقشندي، أبو العباس أحمد (ت:821هـ/1418م)، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922م، ج4، ص279. سيُشار إليه لاحقًا بـ القلقشندي، صبح الأعشى؛ المقريزي، الذهب المسبوك، ص17؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص442؛ الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص287؛ السباعي، أحمد، تاريخ مكة- دراسات في السياسة والعلم والاجتماع، نادي مكة الثقافي، مكة المكرمة، 1984م، ص150-158. سيشار إليه لاحقا بـ السباعي، تاريخ مكة..

([2]) المقريزي، الذهب المسبوك، ص22

([3]) الطبري، تاريخ الطبري، ص1660-1678؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج16، ص619؛ المقريزي، الذهب المسبوك، ص82؛ الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص290-291؛ السباعي، تاريخ مكة، ص150-156،151؛ كمال، سليمان صالح، "إمارة الحج في العصر العباسي من سنة 132-247هـ"- رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: محمد داود، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1988م، ص220. سيشار إليه لاحقا بـ كمال، إمارة الحج.

([4]) زبيدة: ام جعفر آمت العزيز بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور زوجة هارون الرشيد وأم ولده الأمين. للمزيد انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج14، ص434.

([5]) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج14، ص434؛ الفاسي، العقد الثمين، ج1، ص109-115؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص456-463؛ السباعي، تاريخ مكة، ص156.

([6]) المأمون: عبد الله ابو العباس بن الرشيد، امتدت فترة حكمه من 198 هـ /813م إلى 218هـ/ 833م. للمزيد انظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص485.

([7]) الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص301؛ السباعي، تاريخ مكة، ص156

خلال العصر العباسي فكانت تصنع وتحاك في مدن مصر: تونة[1]، تنيس[2]، شطا[3]، دمياط[4]، وترسل منها للديار المقدسة سنويا[5] فكسوها الخلفاء العباسيين بالديباج[6] الاحمر والقباطي[7] والديباج الابيض، ويعتبر الخليفة العباسي المهدي اول الخلفاء العباسيين الذين كسوة الكعبة في سنة 160هـ/ 777م حيث امر في بإبدال كسوة الكعبة القديمة في هذه السنة[8] وذلك بعدما وصلت له شكاوى أهل مكة وخوفهم من تهدم الكعبة نتيجة كثرة الأستار عليها[9] واتخذها من بعد الخلفاء العباسيين تقليدا سنويا فكانت تهدى الكسوة للكعبة من قبلهم فكسى هارون الرشيد الكعبة المشرفة بالقباطي المصرية سنة 190هـ/806م[10] وكذلك المأمون الذي كان يرسل ثلاثة كسوات للكعبة من الديباج الأبيض والأحمر في السنة الواحدة.[11]

ثانيًا:

منذ بداية الحكم الفاطمي سنة 297هـ/910م[12] لم يتوانوا عن منافسة العباسيين للسيطرة على مكة وتقديم كافة الخدمات لحجاجها والطرق التي يسلكونها وقد كان لهم سيطرة واضحة على مكة فنجد أن منابر مكة قد خطب بها بإضافة عبارة "حي على خير العمل"" والتي تعتبر سمة للخلافة الفاطمية،

([1]) تونة: جزيرة قرب تنميس ودمياط من الديار المصرية من فتوح عمير بن وهب يضرب المثل بحسن معمول ثيابها وطرزها. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت: 622هـ/1225م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1993م، ج2، ص 62-63. سيشار إليه ياقوت الحموي، معجم البلدان.

([2]) تنيس: جزيرة في بحر مصر قريبة من البر ما بين الفرمة ودمياط وفيها تعمل الثياب الملونة. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص51

([3]) شطا: بلدة في مصر تنسب إليها الثياب الشطوية على ثلاثة أميال من دمياط. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص342-343.

([4]) دمياط: مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم والنيل وتعد ثغرا من ثغور الإسلام. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص472.

([5]) القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص57-58؛ أحمد، يوسف، المحمل والحج، مطبعة حجازي، القاهرة، 1937م، ج1، ص241. سيشار إليه لاحقا بـ احمد، المحمل والحج؛ كمال، إمارة الحج، ص216-217.

([6]) الديباج: وهو أقدم الأقمشة الثمينة المعروفة في الشرق قبل الإسلام وكان يصنع في الصين وأرمينيا، ويغلب عليه أن يكون حريرا. للمزيد انظر: دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1990م، ص78. سيشار إليه لاحقا بـ دهمان، معجم الألفاظ؛ زيناتي، أنور محمد، معجم المصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، دار زهران للنشر، الأردن، 2011م، ص166. سيشار إليه لاحقا بـ زيناتي، معجم المصطلحات.

([7]) القباطي: وهو ثوب من ثياب مصر رقيق أبيض ينسب إلى الأقباط من أهل مصر. للمزيد انظر: الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق: عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1985م، ص196. سيشار إليه لاحقا بـ الفاسي، شفاء الغرام.

([8]) الطبري، تاريخ الطبري، ص1615؛ المقريزي، الذهب المسبوك، ص73؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص442؛ أحمد، المحمل والحج، ج1، ص237؛ كمال، إمارة الحج، ص218.

([9]) القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص279-280؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص442.

([10]) محمد، صبحي عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، ص258. سيشار إليه لاحقا بـ محمد، العلاقات بين مصر والحجاز؛ أحمد، المحمل والحج، ج1، ص238

([11]) القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص280-281؛ السباعي، تاريخ مكة، ص161؛ أحمد، المحمل والحج، ج1، ص239-240.

([12]) المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق، مال الدين شيال، د.ن، القاهرة، 1996م، ج1، ص22. سشار إليه لاحقا بـ المقريزي، اتعاظ الحنفا.

وقد سعوا للسيطرة الكاملة على مكة وخدمة حجاجها؛ وذلك لإكتساب الشرعية والتأييد لهم، وكذلك لتكون بيدهم الزعامة الروحية والسياسة لهم[1]؛ حيث بدأ اهتمامهم بالحج وطرقه منذ تولّي قائدِهم جوهر الصِقِلّيّ[2] قيادة جيوشهم إذ زحف نحو مصرَ واستولى عليها سنة 358هـ/969م، وخطب بأهلها قائلًا إنه جاء مصر لحماية الحجيج وتأمين طرقهم وتسهيل عبورهم للديار المُقَدَّسة،[3] وقد بلغ اهتمام الفاطميين بالحجاج وقوافل الحج اوجه خلال فترة العصور الاسلامية الوسطى حيث كانت الاموال المنفقة على القوافل وتحهيزها في العصر الفاطمي الاضخم عبر تاريخ الدول الاسلامية ونذكر ان نفقة الحجاج خلال فترة حكم الخليفة العزيز (365هـ/975م إلى 386هـ/996م)[4] بلغت نحو مئة الف دينار[5] وهذا النهج في المبالغه بالاتفاق على الحجاج وقوافلهم سار عليه ايضا الخليفة الحاكم المستنصر بالله (428هـ/1036م إلى 487هـ/1094م)[6] حيث خصص نفقة للحجاج والقوافل قدرت بمئة وعشرين الف دينار ولم يقتصر الاهتمام بنفقة الحجاج على الخلفاء فقط فقد دفعت نفقة لقوافل الحج قدرت بمئتا الف دينار[7] خلال فترة تولي الوزير الفاطمي ابو الحسن بن علي اليازوري[8] ولعل ابرز التحديات التي

([1]) ابن تغرى بردي، يوسف (ت: 874هـ/1469م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ج4، ص30-34. سيشار إليه لاحقا بـ ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة.

([2]) جوهر الصقلي: أبو حسن جوهر بن عبد الله المعروف بالكاتب الرومي، كان مُواليًا لمُعزّ بن المنصور بن القائم بن المهدي صاحب إفريقيا، جهّزه للديار المصرية ليأخُذَها بعد موت كافور الإخشيدي، وسيّر معه العساكر وهو المقدم. كان رحيله من إفريقيا في الرابع عشر من شهر ربيع الأول سنة 358هـ، وقد تسلّم مصر يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان من السنة المذكورة، صعِدَ خطيبًا بها يوم الجمعة من شعبان، ودعا لموالاة المُعِزّ. للمزيد انظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت: 681هـ/1282م)، وَفَيَات الأعيان وأنباء أبناء هذا الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت، ج1، ص375. سيُشار إليه لاحقًا بـ ابن خلكان، وَفَيَات الأعيان؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص54.

([3]) خرابشة، سليمان، التنافس السلجوقي الفاطمي على بلاد الحجاز وأمرة الحج، جامعة اليرموك، إربد-الأردن، 1999م، ص101–102. سيشار إليه لاحقا بـ خرابشة، التنافس السلجوقي الفاطمي.

([4]) العزيز: نزار ابو المنصور العزيز بالله بن المعز لدين الله ثاني خلفاء مصر من بني عبيد ولي أباؤه الخلافة في المغرب توفي في القاهرة. للمزيد انظر: المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص134-135

([5]) المقريزي، اتحاظ الحنفا، ج1، ص252

([6]) المستنصر بالله: ابو تميم المعد الملقب بالمستنصر بالله بن الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم بأمر الله المنصور يعد أول الخلفاء الفاطميين في مصر ، مغربي الأصل خامس خلفاء مصر من بني عبيد. للمزيد انظر: النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت: 733هـ/1332م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: نجيب مصطفى فواز، حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م، ج13، ص154. سيشار إليه لاحقا بـ النويري، نهاية الأرب؛ الذهبي، شمس الدين بن محمد بن عثمان (ت: 748هـ/1674م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م، ج10، ص95. سيشار إليه لاحقا بـ الذهبي، سير أعلام النبلاء.

([7]) خرابشة، التنافس السلجوقي الفاطمي، ص105.

([8]) ابو الحسن بن علي اليازوري: ابو الحسن محمد الحسن بن عبد الرحمن الازوري نسبة الى يازور اعمال الرملة تولى الوزارة في الدولة الفاطمية سنة 442هـ ولقب بالوزير الآجر المكين سيد الوزراء وتاج الأصفياء قاضي القضاة وداعي الدعاة. للمزيد انظر: ابن القلانسي، ابو يعلى حمزة (ت: 555هـ/1160م)، ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1908م، ج8، ص298. سيشار إليه لاحقا بـ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، تحقيق: جمال الدين الشيال، د.ن، القاهرة، 1996م، ج2، ص212.

واجهها الحجاج خلال فترة حكم الفاطميين هي الاعتداءات عليهم من قبل القرامطة[1] الذين اشتعروا بوحشيتهم وسوء معاملتهم للحجاج وبالحديث عن ما اقترفوه في حق الحجاج نذكر ما حصل سنة 294هـ /907م حين اعتدت جماعة من القرامطه على احدى قوافل الحج المارة بالعقبة وقتلوا عددا كبيرا من الحجاج واخذوا اموالا كثيرة وسبوا نسائهم.[2]

لم تتوقف اعتداءات القرامطه عند هذا الحد ففي سنة 317هـ/ 929م حيث تعرض ابو طاهر القرمطي[3] واتباعه للحجاج في مكة ونهبوا اموالهم وقتلوا الحجاج واقتلعوا الحجر الاسود من مكانه والقوا جثث الحجاج القتلى في بئر زمزم ودفنوا جزءا منهم احياء ونهبوا كسوة الكعبة واقتسموها بينهم[4]، وعلى اثر ذلك تعطلت مناسك الحج لعدة سنوات حيث ورد انه من عام 317هـ/929م حتى عام 326هـ /938م لم يحج احدا من الناس خوفا من القرامطه ووحشيتهم مع الحجاج[5]. اما عن كسوة الكعبة خلال الحكم الفاطمي فقد نافس الخلفاء الفاطميين خلفاء بنو العباس في ذلك فقد عملوا جاهدا للاستحواذ على تقديم الكسوة للكعبة فقد كسوها بالديباج الاحمر بداية وسار على نفس النهج الخليفه الفاطمي المعز لدين الله الذي كان يرسل الكسوة سنويا إلى مكة طوال فترة حكمه[6] كما وكساها الخليفه الظاهر سنة 423هـ /1032م[7] وارسل مع الكسوة اموالا كثيرة لاهل مكة[8] اما في عهد الخليفة المستنصر ارسلت الكسوة باللون الابيض الذي يعد رمزا للفاطميين.[9]

([1]) القرامطة: فرقة منشقة عن الفاطميين بقيادة ابو طاهر القرمطي، وصفت بوحشيتها وسوء تعاملها. للمزيد انظر: ابن مسكويه، ابو علي أحمد بن يعقوب (ت: 421هـ/1030م)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: سيد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م، ج5، ص115-116. سيشار إليه لاحقا بـ ابن مسكويه، تجارب الأمم

([2]) الطبري، تارخي الطبري، ص2153-2154؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج4، ص422-423؛ ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ/1200م)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق: عبد القادر مصطفى، دار الكب العلمية، بيروت، د.ت، ج13، ص49-50. سيشار اليه لاحقا بـ ابن الجوزي، المنتظم؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص432؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص178

([3]) ابو طاهر القرمطي: سليمان بن حسن القرمطي الجانبي الأعرابي، مات بالجدري سنة 302هـ. للمزيد انظر:الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج15، ص 320-325.

([4]) ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص115؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص281-283؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص53-54؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج15، ص320؛ المقريزي، اتحاظ الحنفا، ج1، ص182؛ مقديش، محمود، نزهة الانظار في عجائب التواريخ والاخبار، تحقيق: علي الزواري، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ج1، ص266-268. سيشار إليه لاحقا مقديش، نزهة الأنظار.

([5]) الفاسي، شفاء الغرام، ج1، ص347-348.

([6]) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص230

([7]) الظاهر: الخليفة باو نصر بن الناصر لدين الله ابو العباس احمد المستضيء . للمزيد انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22، ص264.

([8]) أحمد ، المحمل والحج، ج1، ص241.

([9]) السباعي، تاريخ مكة، ص120.

الفصل الأول: تجهيز القوافل وتنظيمها في العصر الأيوبي

أولًا: النداء للحج

ثانيًا: محمل الحج

أ) محمل الديار المصرية

ب) المحمل الشامي

ثالثًا: إمرة الحج

رابعًا: إمرة الموسم

خامسًا: مُرافقو قوافل الحج

أ) وُلاة الطريق

ب) قاضي القافلة

ج) كاتب أمير الحج

د) صاحب البريد

هـ) السقاة

و) الميقاتي

ز) طبيب القافلة

ح) ناظر المواريث

ط) مُعِدّو طعام القافلة (الطبّاخون)

ي) أدِلّاء القافلة

ك) البيطار

ل) مقدم الضوئية (الإنارة)

م) ضاربو الطبول

ن) مُفتّش الخيول والجِمال

س) الدوادار

ع) حُرّاس القافلة

ف) طرف الصرة

سادسًا: الوظائف المُستحدَثة في العصر الأيوبي

أ) صبيان الباب

ب) الخصية (الأغوات)

ج) نفقة القوافل

سابعًا: الشكل النهائي للقافلة وقت خروجها

أولًا: النداء للحج

قال تعالى: "وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالًا وعلى كل ضامر يأتين من كل فجٍ عميق".[1]

جاءت هذه الآية الكريمة تؤكد على أهمية إعلام الناس ببَدء أشهر الحج حتى يتمكنوا من الاستعداد لأداء مناسك الحج، وقد جرت العادة في البلدان الإسلامية خلال فترة العصور الوسطى أن يُنادَى سنويًّا بين الناس لتبليغهم بالبدء في تجهيز أنفسهم، والتهيُّؤ لأداء الفريضة؛ حيث اتُّخذ النداء للحج بين الناس سُنّةً عن النبي –عليه الصلاة والسلام–، إذ كان يُنادَى كل سَنة في الأول من شهر ذي القعدة ويُدعوا الناس إلى تجهيز انفسهم لأداة هذه الفريضة[2]، وسيرًا على نهج رسول الله، فقد كان السلطان يُكلّف أشخاصًا مُعَيَّنين مُهِمّتهم النداء للحج في الأسواق والأماكن العامة والمساجد بعد الانتهاء من أداء الصلوات، وإعلامهم كذلك بتحديد موعد انطلاق القوافل إلى مكة[3]، وكان من خلال قراءة مرسوم يصدر عن الخليفة أو السلطان للعامة، وقد ذكر الرحالة ناصر خسرو[4] الذي وصل إلى القاهرة في القرن الخامس الهجري (401هـ/1010م إلى 500هـ/1106م) المرسومَ الذي قُرِئ على الناس، حيث نصُّ على ما يأتي: "يا معشر المسلمين.. حلّ موسم الحج، وسيُجَهَّز ركب السلطان للحج

([1]) سورة الحج، آية رقم (27).

([2]) المقريزي، الذهب المسبوك، ص40؛ الحشاش، الحج في العصر المملوكي، ص141.

([3]) فرحان، حامد جراح، "استعدادات وتهيئة ركب الحج في العصور العباسية المتأخرة (343-656هـ/ 945-1258م)"- بحث، كلية التربية للبنات، جامعة البصرى، العراق، د.ت، ص6. سيشار إليه لاحقا بـ فرحان، استعدادات وتهيئة ركب الحج

([4]) ناصر خسرو: هو ناصر بن خسرو الحكيم القباذياني، توفي سنة 444هـ، من أصل فارسي، له زاد المسافرين في التاريخ الفارسي، وأُطلق عليه أيضًا اسم "سفر نامة"، تُعَدُّ رحلته من أقدم الرحلات، وتقع حوادثها بين سنة 437 و 444 هجري، فهي قبل رحلة ابن جبير بأكثر من مئة سنة. تتضمن رحلته التجوال في بلاد إيران مُبتدئًا من مرو في خراسان ثم أذربيجان، وأرمينية والشام وفلسطين ومصر والحجاز ونجد وجنوبي العراق، ثم يعود إلى إيران مُنتهيًا إلى مدينة بلخ في خراسان. للمزيد انظر: خسرو، ناصر، سفرنامة، ترجمة: يحيى خشاب، الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1993م، ص8-9. سيُشار إليه لاحقًا بـ خسرو، سفرنامة؛ البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار المعارف الجليلة، إسطنبول، 1955م، ج2، ص487. سيُشار إليه لاحقًا بـ البغدادي، هدية العارفين؛ سيد، أيمن فؤاد، ومجموعة من المصنفين، دراسات عربية وإسلامية، مكتبة المدني، القاهرة، 1982م، ص 145. سيُشار إليه لاحقًا بـ سيد، دراسات عربية؛ عارف، عارف، المفصل في تاريخ القدس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2005م، ص218. سيُشار إليه لاحقًا بـ عارف، المفصل؛ أبو غالي، مختار علي، "انسجام المتخالف في العشر"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، الكويت، ع55، مج14، 1996م، ص326. سيُشار إليه لاحقًا بـ أبو غالي، انسجام المتخالف.

كالمعتاد، ومعه الجنود والخيل والجِمال والزاد"[1]. وخلال فترة حكم الأيوبيّين فقد نُودي للحج في القاهرة سنة 591هـ/1195م بأنّ الشريف ابن ثعلب[2] سيخرج للحجّ بالناس.

وحُدِّدت حينذاك منطقة العباسية[3] مكانًا للقائه بالحُجّاج ومن ثم الخروج بهم إلى الديار المقدسة[4]. وكان يُؤخَذ بعين الاعتبار عند النداء للحج اختلاف المسافة بين الديار المصرية وبلاد الشام إلى مكة، وذلك لتقدير الزمن الذي ستستغرقه القوافل للوصول خلال الموعد المُحَدَّد، أي خلال فترة شهور الحج، وهي: شوال، وذي القعدة، وذي الحجة[5]. وعلى سبيل المثال فقد كان يُنادَى الناس في العراق للحج خلال شهر شوال، أما الديار المصرية والبلاد الشامية فكان النداء فيها على مرّتين سنويًّا، الأولى كانت في منتصف رجب وذلك للإعلان عن موسم الحج، والثانية كانت في رمضان[6]، حيث يتم بعدها استعداد القوافل للانطلاق في رحلتها؛ ولعل السبب في اختيار منتصف شهر رجب للإعلان عن موسم الحج هو الاقتداء بنبينا محمد – عليه الصلاة والسلام–، حيث تُؤخذ بعين الاعتبار المسافة بين مدينتي مكة والمدينة أي ما يعادل 400 كيلو متر، وتقطعها القوافل في مدة في عشرة أيام. فقُدِّم النداء حينذاك بثلاثة المثال المسافة[7]، ونُودِي بالناس في شهر ذي القعدة من كل عام[8]. وهنا نرى أنه

([1]) خسرو، سفرنامة، ص109.

([2]) الشريف ابن ثعلب: خضر الدين أبو ثعلب بن نجم الدين عمر بن فخر الدين إسماعيل بن حصن الدين ثعلب الجعفري، توفي في القاهرة سنة 613هـ. للمزيد انظر: ابن عبد الظاهر، محي الدين ابو الفضل عبد الله بن عبد الظاهر المصري (ت: 692هـ/1293م)، الروضة البهية الزاهرة في خطط القاهرة المعزية، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، دار العربية للكتاب، القاهرة، 1996م، ص91-92. سيُشار إليه لاحقًا بـ ابن عبد الظاهر، الروضة البهية؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ، دار الفكر، بيروت، 2000م، ج5، ص375؛ المقريزي، البيان والإعراب عمّا بأرض مصر من الأعراب، ، مركز التراث للبرمجيات، د.م، د.ت، ج1، ص8. سيُشار إليه لاحقًا بـ المقريزي، البيان والإعراب.

([3]) العباسية: الاسم القديم الريدانية، وهي تقع شرقي القاهرة. للمزيد انظر: ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص55؛ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت: 682هـ/ 1283م)، آثار البلاد واخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت. ص220-221. سيشار إليه لاحقا بـ القزويني، آثار البلاد؛ ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي المحيوي (ت: 809هـ/1406م)، الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، جامعة أم القرى- مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، 1982م، ص6. سيُشار إليه لاحقًا بـابن دقماق، الجوهر الثمين؛ المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ج5، ص347. سيشار إليه لاحقا بـ المقريزي، السلوك

([4]) المقريزي، السلوك، ص245؛ سيد، أحمد فؤاد، تاريخ مصر الإسلامية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2002م، ص211. سيُشار إليه لاحقًا بـ سيد، تاريخ مصر.

([5]) المقريزي، السلوك، ص40.

([6]) فرحان، استعدادات وتهيئة ركب الحج، ص117-118؛ سيد، حسين مراد، ركب الحج المصري في عصر المماليك (648-923هـ/ 1250-1517م) (بحث)، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، د.ت، ص4. سيشار إليه لاحقا بـ سيد، ركب الحج

([7]) أي أن كل أربعمائة كيلومتر تقطع في عشرة أيام، وثلاثة أمثال الممسافة تعني ان ضنرب العدد ثلاثة مرات.: 400×3= 1200 فبالتالي تحتاج هذه المسافة لثلاثين يوما لقطعها فيقدم النداء قبل موعد الحج بثلاثين يوم.

([8]) المقريزي، السلوك، ص410؛ فرحان، استعدادات وتهيئة ركب الحج، ص117-118؛ سيد، ركب الحج، ص4

وبحسب المسافة التي يستغرقها حجاج الشام ومصر للوصول إلى مكة، والتي تقَدَّر بـ (1680) كيلو متر[1]، أي ما يعادل أربعين يومًا؛ لذلك قُدِّمَ النداء إلى المنتصف من شهر رجب من كل عام[2].

ثانيًا: محمل الحج

قبل بَدءِ الحديث عن الاحتفال بالمحمل[3] المصري والشامي، لا بُدّ من العودة إلى تاريخ نشأة وتأسيس المحمل، حيث أشارت بعض المصادر الإسلامية إلى روايتين حول نشأة المحمل وبدء العمل بتقاليده؛ الرواية الأُولى تُرجع تاريخ ظهور المحمل إلى أواخر العصر الأيوبيّ في الفترة التي كانت شجرة الدر[4] تحكم فيها الديار المصرية، أيْ في سنة 654هـ/1256م[5]، والرواية الثانية تعيد تاريخ تأسيسه إلى عهد الرسول –عليه الصلاة والسلام–[6]، ولعلّ الرواية الثانية الأرجح والأقرب إلى الحقيقة؛ وحين العودة إلى المصادر الإسلامية يجد القارئ أنّ جملة المحمل العراقي أو الشامي أو المصري تكرّرت في أغلب مصادر الأمويّين والعباسيّين والفاطميّين، وهذا يدُلُّ على وجود المحمل قبل العصر الأيوبي، ولعلّ المقصود أيضًا بالرواية الأولى هو الهودج[7] الذي حَجّت عليه شجرة الدر، والأرجح أنّ المقصود بالرواية الأولى أيضًا تقاليد خروج المحمل والاحتفال به؛ حيث إنّ بدايات ظهور هذا الاحتفال كانت في أواخر العصر الأيوبي، وعلى أيّ حال فقد حظي المحمل بأهمّية كبيرة عبر التاريخ بصفته جُزءًا من السيادة

([1]) تقدير الباحثة.

([2]) المقريزي، الذهب المسبوك، ص40

([3]) المحمل: صندوق خشبي يعلوه هرم مُزَيَّن بالحُلِيّ والنفائس، يحمله جمل مُزَيَّن بالحُلِيّ. للمزيد انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص42.

([4]) شجرة الدر: هي شجرة الدر بنت عبد الله أم خليل الصالحية، المُلَقَّبة عصمت الدين ملكة مصر، تركية الأصل كانت إحدى جواري الملك الصالح نجم الدين أيوب اشتراها ثم أعتقها ثم تزوجها، تولت إدارة مصر عند وفاة الملك الصالح سنة 647هـ، وأصبحت ملكة مصر في 10 صفر من نفس السنة، وخطب لها على المنابر وسكّت العملة باسمها. للمزيد انظر: الذهبي، العبر في أخبار من غبر، ج3، ص276؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص373؛ فواز، زينب بنت علي بن حسين، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، دار المعرفة، بيروت، 1892م، ج7، ص463. سيُشار إليه لاحقًا بـ فواز، الدر المنثور.

([5]) البتنوني، محمد لبيب، الرحلة الحجازية لولي النعم عباس حلمي باشا الصاني خديو مصر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006م، ص190-192. سيشار إليه لاحقا بـ البتنوني، الرحلة الحجازية

([6]) الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص86.

([7]) الهودج: مراكب للنساء مُقَبَّبة وغير مُقَبَّبة، تُصنَعُ من العِصِيّ ويوضع فوقها الخشب. للمزيد انظر: ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الرويفعي الإفريقي (711هـ/1311م)، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، مصر، د.ت، ج52، ص4631. سيُشار إليه لاحقًا بـ ابن منظور، لسان العرب.

على بلاد الحجاز[1]، وقد جاء في وصف المحمل الشامي والمصري على لسان ابن فضل العمري[2]ما يأتي:

"فإنّ المحامل السلطانية وجماهير الركبان تخرج من مصر ودمشق –ولله الحمد– بسبيل لا ينقطع في كل سنة، ويخرج الرَكْبُ من كل من مصر ودمشق بالمحمل السلطاني، والسبيل المسبل للفقراء والضعفاء المنقطعين بالماء والزاد والأشربة والأدوية والعقاقير والدريقات[3] والمعاجين والأطباء والكحالين[4] والمجبرين والجرايحية في أكمل زِيٍّ وأتم أُبَّهة، وبالأعلام والكوسات السلطانية[5] والأدِلّاء والأئمة والمُؤذِّنين والأمناء ومُغَسِّلي الموتى، والأمراء والجند والقاضي والشهود والدواوين بطليعة وساقة[6] وضويّة[7] في أوائل الركب ووسطه وآخره، كل هذا ليسهل الطريق إلى بيت الله الحرام، وزيارة مدينة النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–".[8]

أ) محمل الديار المصرية:

اتّبع الأيوبيّون خلال حكمهم الديار المصرية تقاليدَ مُعَيَّنَةً عند خروج المحمل للاحتفال به، حيث تُزَيَّن الساحاتُ والشوارعُ والأماكن العامة بأحسن زينة فتظهر بأبهى حُلَّةٍ لها، وتفتح كذلك الدكاكين وسائر المحلات التجارية تُعَلَّق عليها حِبال الزينة ابتهاجًا بدوران المحمل المصري، حيث يدور مرّتين في أرجاء

([1]) فرحان، استعدادات وتهيئة ركب الحج، ص119.

([2]) ابن فضل العمري: هو شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري المتوفى سنة 749هـ/1349م، صاحب كتاب "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"، الإمام الفاضل القاضي الفقيه، ولد في دمشق، سمع بالقاهرة ودمشق. للمزيد انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج16، ص228؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مقدمة المحقق، ص 5-7؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مصر، 2002م، ج3، ص65. سيُشار إليه لاحقًا بـ المقريزي، المواعظ والاعتبار.

([3]) الدريقات: مفردها درقة، وهو الترس من الجلود لا يدخل في صناعته الخشب أو الأعقاب. للمزيد انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج16، ص1363.؛ دهمان، معجم الألفاظ، ص76؛ زيناتي، معجم مصطلحات، ص155.

([4]) الكحالين: مفردها كحال، وهو طبيب العيون أو من يداويها بالكحول. للمزيد انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، شروق الدولية، مصر، 2004م، ص778. سيشار إليه لاحقا بـ المعجم الوسيط؛ دهمان، معجم الألفاظ، ص131؛ زيناتي، معجم المصلطحات، ص333.

([5]) الكوسات السلطانية: وهي الطبول وفسرها البعض بأنها صنوج ونحاس شبه الترس الصغير يدق بإحداها على الأخر ، ويدعى ضاربها بالكوسي. للمزيد انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص9؛ الخطيب، مصطفى عبد الكريم، معجم المصلطحات والالقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م، ص373. سيشار إليه لاحقا بـ الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب؛ المعجم الوسيط، ص805؛ زيناتي، معجم المصطلحات، ص342؛ دهمان، معجم الألفاظ، ص134.

([6]) ساقة: هم ولاة الطريق الذين يتولون مهمة إرشاد القوافل ويشترط بهم علمهم التام بالطرق. للمزيد انظر: فرحان، استعدادات وتهيئة الحج، ص114.

([7]) ضوية: الاشخاص الموكل إليهم مهمة توفير الإنارة للحجاج أثناء طريقهم. للمزيد انظر: الجزيري، درر الفرائدد، ج1، ص194.

([8]) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج2، ص338.

البلاد؛ الأُولى تكون في منتصف شهر رجب تزامُنًا مع النداء للحج، والثانية تكون في شهر شوال[1]. ومن مظاهر الاحتفال به أن يسير أمير الحج بعد اختياره أمام المحمل ويرافقه أربعة من القضاة، بالإضافة إلى وكيل بيت مال المسلمين والمُحتسِب[2] [3]، وقد حُدِّد يوما الاثنين والخميس من أجل الدوران به[4]، وخلال دورانه كانت تُمارَس العديد من الألعاب وترتفع الأصوات والزمامير وتُقرَع الطبول تعبيرًا عن ابتهاج الناس بذلك، وقد بالغ الأيوبيّون بهذا الاحتفال الكبير خلال فترة حكمهم لمصر[5]وأنفقوا في سبيله الكثير من الأموال، وقد جاء في وصف المحمل المصري على وجه التحديد ما ياتي:

" ويَخرُجُ الرَكْبُ من مصر بالمحمل السلطاني والسبيل المسبل للفقراء والمنقطعين بالماء والزاد والأشربة والأدوية والعقاقير والأطباء والكحالين والمجبّرين الأدلّاء والأئمة والمؤذنين والأمراء والجند والقاضي والشهود والدواوين والأمناء ومُغَسِّل الموتى في أكمل زِيٍّ وأتمّ أُبّهة، وإذا نزلوا منزلًا أو رحلوا تُدَقُّ الكوسات، وينفر النفير ليؤذن للناس للرحيل والنزول".[6]

ب) المحمل الشامي:

إنّ التقاليد المُتَّبَعة في المحمل الشامي تختلف عمّا أسلف الباحثُ ذِكرَه في الديار المصرية، حيث كانت للمحمل الشامي طقوس مُتَّبعة ظلّت متبعة في أكثر المناطق الشامية حتى نهاية العصر

([1])ابن الجزري، شمس الدين أبو عبد الله محمد إبراهيم بن أبي بكر الجزري القرشي (ت: 738 هـ/1337م)، تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه- المعروف بتاريخ ابن الجزري، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، 1998م، ج2، ص391. سيُشار إليه لاحقًا بـ ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص57؛ ابن الصيرفي، علي بن داود (ت: 842هـ/ 1438م)، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، مطبعة دار الكتب، مصر، 1973م، ج3، ص194،73. سيشار إليه لاحقا بـ ابن الصيرفي، نزهة النفوس والابدان؛ الرشيدي، أحمد الشيخ، حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحج، تحقيق: ليلى عبد اللطيف أحمد، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م، ص31-32. سيُشار إليه لاحقًا بـ الرشيدي، حسن الصفا؛ الحشاش، الحج في العصر المملوكي، ص62.

([2]) المحتسب: مُشتقٌّ من قول: (حسبك) بمعنى اكفُفْ، سُمّي بذلك لأنه يكفى الناس مَؤونة من يبخسهم حقوقهم، فهو شخص مهمته مراقبة أرباب الحرف المختلفة في الحوانيت والأسواق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المكاييل والموازين، ومن أعماله أيضًا جباية الضرائب المعروفة باسم (المشاهرة) و (المجامعة). للمزيد انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص451-452؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج15، ص60؛ بن كنان، محمد بن عيسى الصالحي الدمشقي (ت: 1153هـ/1740م)، المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، تحقيق: حكمت إسماعيل، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1993م، ج2، ص39. سيُشار إليه لاحقًا بـ بن كنان، المواكب الاسلامية؛ زيادة، نقولا، الحسبة والمحتسب في الإسلام، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1963م، ص41. سيُشار إليه لاحقًا بـ زيادة، الحسبة والمحتسب؛ العودات، محمد، "الحسبة في التراث الإسلامي"، مجلة الفيصل، الرياض، 1413هـ، ع192، ص54. سيُشار إليه لاحقًا بـ العودات، الحسبة.

([3]) القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص57-58.

([4]) القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص57؛ ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد بن طولون الصالحي (ت: 953هـ/1546م)، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ص407. سيُشار إليه لاحقًا بـ ابن طولون، مفاكهة الخلان

([5]) البتنوني، الرحلة الحجازية، ص192-193.

([6]) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ص 338

الأيوبي 648هـ/1250م، وكانت تلك الطقوس يتم العمل بها في الجامع الأموي[1]؛ حيث تبدأ من شهر جمادى الآخرة بوضع السنجق[2] على الباب الأوسط للجامع الأموي تحت قبة النسر[3] ليبدأ بعدها الناس بالاستعداد للحج، ثم يُزَيَّن المحمل ويظهر في أبهى صورة ويبدأ بعد ذلك بالدوران حول مدينة دمشق إلى أن ينتهي في دار السعادة[4]، ويبقى المحمل في الديار إلى أن يحين موعد انطلاق قوافل الحجيج، ثم يحضر القضاة والأعيان، وتُطلق المدافع أصواتها وتقام احتفالات كبيرة ابتهاجًا بهذا الحدث.[5]

وفي وصف ابن الجزيري المحمل الشامي جاء ما يأتي:

"وفي يوم الاثنين الخامس من رجب، أخرجوا المحمل السُّلطانيّ من قلعة دمشق إلى سوق الخيل، وحضر القضاة والأعيان والقُرّاء ومَن جرت العادة لحضوره وداروا به حول البلد، وكان يومًا مشهودًا".[6]

([1]) الجامع الأموي: أعظم مساجد الدنيا، تولّى بناءَه الوليد بن عبد الملك بن مروان، ووجّه إلى ملك الروم في القسطنطينية أن يبعث له الصُنّاع، فبعث له اثني عشر ألف صانع، وزيّن المسجد بفصوص الذهب، وتوفي ولمّا يتم بناؤه، وأتمّه أخوه سليمان، فكان جملة ما أنفق على بنائه أربعمئة صندوق؛ في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار. للمزيد انظر: ابن جبير، ابو الحسن محمد بن أحمد الكناني الأندلسي (ت: 614هـ/1217م)، رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، 1900م، ص204. سيُشار إليه لاحقا بـ ابن جبير، الرحلة؛ ابن بطوطة، محمد بن عبد الله طنجي (ت: 779هـ/1377م)، رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، 1987م، ج1، ص311،309. سيشار إليه لاحقا بـ ابن بطوطة، الرحلة؛ الدميري، كمال الدين (ت: 808هـ/1405م)، الحيوان الكبرى، المطبعة العامرية، مصر، 1306هـ/1888م، ص61. سيُشار إليه لاحقًا بـ الدميري، الحيوان الكبرى؛ محبي، محمد أمين بن فضل الله (ت: 1111هـ/ 1699م)، من تاريخ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المطبعة الوهبية، القاهرة، ج1، ص111. سيُشار إليه لاحقًا بـ محبي، من تاريخ خلاصة الأثر؛ كنعان، علي، ابن جبير: أمراء وأسرى وخواتين، علي كنعان، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي- الإمارات، 2009م، ص151. سيُشار إليه لاحقًا بـ كنعان، أمراء وأسرى

([2]) السنجق: رافع الراية والسنجق هو العلم والراية ويسمى رافعها بالسنجق دار. للمزيد انظر: النويري، نهاية الأرب ، ج12، ص107؛ القلقشندي، صبح الأعشى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م، ج5، ص430؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج12، ص322؛ ابن كنان، محمد بن عيسى (ت: 1153هـ/1740م)، حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، دار النفائس، بيروت، 1991م، ص38. سيُشار إليه لاحقًا بـ ابن كنان، حدائق الياسمين؛ الخطيب، معجم المصطلحات ص259؛ زيناتي، معجم المصطلحات، ص259

([3]) قبة النسر: قبة بالجامع الأموي، عمل على بنائها الوليد بن عبد الملك عند بنائه الجامع الأموي، كان يحضر رجال العلم لسماع الحديث تحتها. للمزيد انظر: ابن عساكر، فخر الدين أبو منصور عبد الرحمن بن الحسن الدمشقي (ت:620هـ/1223م)، الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين، دار الفكر للطباعة النشر، دمشق، 1986م، ص18. سيُشار إليه لاحقًا بـ ابن عساكر، الأربعين؛ الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت: 977هـ/ 1061م)، لطف السمر وقطف الثمر: من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1981م، ج1، ص52. سيُشار إليه لاحقًا بـ الغزي، لطف السمر؛ المُرادي، أبي الفضل محمد خليل بن علي بن محمد (ت: 1206هـ/1791م)، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ج1، ص326. سيُشار إليه لاحقًا بـ المُرادي، سلك الدرر؛ إسماعيل، عمرو، في الفن المعماري الإسلامي: نماذج من تشكيل العمارة الدينية، وكالة الصحافة العربية، القاهرة، 2020م، ص130. سيُشار إليه لاحقًا بـ إسماعيل، في الفن المعماري.

([4]) دار السعادة: دار العدل أنشأها محمود بن زنكي في دمشق قريبة من باب النصر قبلي قلعة دمشق، حيث كانت مسكنًا لنواب السلطنة بدمشق. للمزيد انظر: النويري، نهاية الأرب، ج14، ص9؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص248؛ شهابي، قتيبة، معجم دمشق التاريخي للأماكن والأحياء والمشيدات ومواقعها وتاريخها كما وردت في نصوص المؤرخين، وزارة الثقافة، سوريا، 1999م، ج2، ص126. سيُشار إليه لاحقًا بـ شهابي، معجم دمشق.

([5]) ابن طولون، مفاكهة الخلان، ص289-292؛ علي، محمد كرد، خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق، 1983م، ج5، ص169. سيُشار إليه لاحقًا بـ علي، خطط الشام.

([6]) ابن الجزري، حوادث الزمان، ج2، ص4.

وفي العودة إلى خروج المحملين سواء الذي في مصر او ذاك الشامي ومرورهما على أكثر المناطق في عواصم تلك البلاد، دليل كبير على قدسية فريضة الحج، ومكانتها الكبيرة عند جميع المسلمين على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية.

ثالثًا: إمرة الحج

قال تعالى: "إن الله يأمركم أن تُؤدُّوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل".[1] دأب الحُكّام المسلمون في العصور الإسلامية الوسطى من خلفاء وسلاطين وملوك على الاهتمام بالتنظيم الإداري لقوافل الحجيج؛ حيث جرت العادة في كل حقبة زمنية، وقبل انطلاق قافلة الحج إلى الديار المقدسة، باختيار شخص يتحمل مسؤولية إدارتها ويتولى حمايتها وتنظيمها ذهابًا وإيابًا، وهذا ما أكّده رسول الله –عليه الصلاة والسلام– في حديثه: "إذا خرج ثلاثة في سَفَر فليُؤَمِّروا أحدَهم"[2]. ومن هنا جاءت أهمية اختيار أمير الحج في منصبه الإداري؛ كونه يمثل السلطان خلال الرحلة إلى بلاد الحجاز، وكذلك منصبه الديني لمسؤوليته في أن يؤدي حجاج القوافل أهم أركان الإسلام ألا وهي الحج[3]، ويُعدُّ منصبه في المرتبة الثالثة من وظائف الدولة[4]. وذُكر أنّ منصب أمير الحج استُحدِث في بدايات العصر الأيوبي، أي في سنة 591هـ/1195م، وذلك حين نُودي بالناس ليجتمع مَن أراد الحج منهم بعد أن تولّى الشريف ابن ثعلب مسؤولية الخروج بهم إلى مكة[5]، ولعلّ هذه الرواية أقلّ دِقّة؛ حيث إنّ المُطّلع على أحداث التاريخ الإسلامي يرى أنّ هذا المنصب كان منذ زمن الرسول –عليه الصلاة والسلام– بصفته كان أوّل من تولّاه وحج بالناس، وانتقل من بعده إلى الخليفة أبي بكر الصديق ثم

([1]) سورة النساء، آية (58).

([2]) النووي، محيي الدين أبي زكريا (ت:667هـ/1277م)، شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، شرحه: محمد بن صالح العثيمين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م، ج3، ص223. سيُشار إليه لاحقًا بـ النووي، شرح رياض الصالحين

([3]) ابن شاهين الظاهري، غرس الدين خليل شاهين (ت: 893هـ/ 1488م)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، المطبعة الجمهورية، باريس، 1892م، ص114-115. سيشار إليه لاحقا بـ الظاهري، زبدة كشف الممالك؛.الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص35.

([4]) فرحان، استعدادات وتهيئة ركب الحج، ص103.

([5]) المقريزي، السلوك، ج1، ص245؛ العيني، بدر الدين محمود (ت: 855هـ/1451م)، العقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2009م، ج3، ص35. سيشار إليه لاحقا بـ العيني، العقد الجمان.

الخليفة عمر بن الخطاب[1]، فأصبح سنة مُتَّبعة لدى الحُكّام المسلمين الذين ساروا على نهج الرسول – عليه الصلاة والسلام– واستمر حتى نهاية العصر الأيوبي ومن بعده المملوكي.[2]

إمرة الحج هي ولاية سياسية ودينية، ويُعدُّ صاحبها نائبًا للسلطان خلال ذهابه إلى بلاد الحجاز على رأس قافلة الحج[3]، وتُعدّ ولاية مؤقتة تزول عن صاحبها بانتهاء موسم الحج[4]، وقد تكون عامّة، أي تتكرّر توليتها لشخص واحد في أكثر من عام[5]، ومثال ذلك تولّي إسماعيل بن ثعلب الجعفري الطالبي[6] ولاية الحج للقوافل المصرية في عامين مُتَتاليين 591هـ/1195م[7] و592هـ/1196م[8]، وكذلك تولّى أمير الحج الشامي شجاع الدين علي بن السلار[9] إمارة القوافل الشامية في عامي 602هـ/1205م[10] و 624هـ/1227م[11] وقد تكون إمرة الحج ولاية خاصة؛ أي يتولّاها شخصٌ مرة واحدة فقط.

([1]) ابن هشام، محمد عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري (ت: 218هـ/833م)، السيرة النبوية، دار ابن حزم، بيروت، 2009م، ص611. سيشار إليه لاحقا ب، ابن هشام، السيرة؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الشافعي (ت: 774هـ/ 1382م)، البداية والنهاية، اعتناء: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، الأردن، 2004م، ص706. سيشار إليه لاحقا بـ ابن كثير، البداية والنهاية ؛الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص297؛ ؛ رفعت، إبراهيم، مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، دار الكتب المصرية، مصر، 1925م، ج1، ص297. سيُشار إليه لاحقًا بـ (رفعت، مرآة الحرمين)؛ عطية، حسن فرحان عبد الستار، "الدور السياسي والحضاري لأمراء الحج المصري في مكة في العصر المملوكي –(648-923هـ/1250-1517م)"، المجلة العلمية، كلية اللغة العربية، جامعة آسيوط، ع34، ج4، 2015م، ص5. سيُشار إليه لاحقًا بـ عطية، الدور السياسي

([2]) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت: 450هـ/1058م)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة، الكويت، 1989م، ج1، ص139. سيُشار إليه لاحقًا بـ الماوردي، الأحكام السلطانية

([3]) الفراء، أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (ت:458هـ/1065م)، الأحكام السلطانية، صححه: محمد حماد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م، ص111. سيُشار إليه لاحقًا بـ الفراء، الأحكام السلطانية.

([4]) الفراء، الأحكام السلطانية، ص111.

([5]) الماوردي، الأحكام السلطانية، ج1، ص141.

([6]) إسماعيل بن ثعلب الجعفري: هو أبو نصر إسماعيل بن حصن الدولة فخر العرب ثعلب بن يعقوب بن مسلم بن أبي جميل دحية بن جعفر بن أبي طالب -رضي الله عنه-، الجعفري الزينبي، أمير الحج، وأحد أمراء مصر في الدولة الأيوبية. للمزيد انظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج3، ص463؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ج6، ص124.

([7]) المقريزي، السلوك، ج1، ص245؛ ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص124.

([8]) سبط ابن الجوزي، شمس الدين ابو المظفر يوسف بن قزاوغلي بن عبد الله (ت: 654هـ/1256م)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، نسخة مكتبة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1951م، ج22، ص45. سيشار إليه لاحقا بـ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان

([9]) شجاع الدين علي بن السلار: هو علي بن سليمان بن إيداش بن السلار الأمير، شجاع الدين أبو الحسن الدمشقي الحنفي أمير الحج، توفي سنة أربع في الثالث والعشرين من جمادى الآخرة. للمزيد انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج2، ص2؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج8، ص2602؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1998م، ج46، ص206. سيُشار إليه لاحقًا بـ الذهبي، تاريخ الإسلام؛ زيبق، إبراهيم، أبو شامة مؤرخ دمشق في عصر الأيوبيين (599هـ/1203م-665هـ/1267م): دراسة تحليلية في سيرته وآثاره التاريخية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2010م، ص53. سيُشار إليه لاحقًا بـ زيبق، أبو شامة؛ المنجد، صلاح الدين، تصحيح كتاب الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1981م، ص84. سيُشار إليه لاحقًا بـ المنجد، تصحيح كتاب الدارس.

([10]) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص168.

([11]) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج45، ص24؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص237.

ومثال ذلك تولي زين الدين قراجا[1] إمرة القوافل الشامية سنة 594هـ/1198م[2]، ولأمير الحج خلال فترة توليه إمرةَ القوافل حقُّ الطاعة والولاية على الحجاج؛ لأنّه نائب السلطان شخصيًّا ويُعَيَّنُ من قبله[3]، ويجب فيمن يتولى هذه الولاية أن تتتوفر فيه عدة شروط، منها:

أولًا: أن يكون مسلمًا بالغًا سن الرشد فلا يجوز لمن هو دون ذلك السن تولي هذا المنصب.[4]

ثانيًا: يتصف بالشجاعة والقوة والبأس.[5]

ثالثًا: سليم الجسم أي خلوُّه من الأمراض والعاهات.[6]

رابعًا: ثبوت استقامته بين الناس، وأن يشهد له بحسن السيرة والسلوك.[7]

خامسًا: أن يكون عقلانيًا وذو رأي سديد.[8]

وأما فيما يتعلق بأمر المسؤوليات المُلقاة على عاتق أمير الحج خلال فترة تولّيه هذه الولاية، نذكر منها:

أولًا: اختيار أسهل الطرق على الحجاج ودوابهم وأكثرهم آمنًا والسير فيها.[9]

ثانيًا: العمل على توفير الأمن والحماية للحجاج من أيّ اعتداء أو سرقة قد تحدث لهم في الطريق أو في الديار المقدسة وحمايتهم كذلك من من الأعراب[10]. ففي بعض السنوات كان يُعزَل أمير الحج لتقصيره في حماية أفراد القافلة، وعلى سبيل المثال ذكر الباحث ما حدث سنة 608هـ/1211م

([1]) زين الدين قراجا: هو زين الدن قراجا الصلاحي، صاحب صرخد، وُصف بأنه كان خَيِّرًا دَيِّنًا أديبًا، توفي سنة 604هـ. للمزيد انظر: ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم أبو عبد الله المازني التميمي الحموي (ت: 697هـ/1280م)، مفرج الكروب، نسخة مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، 1953م، ج3، ص175،124. سيشار إليه لاحقا بـ ابن واصل، مفرج الكروب؛ ابن فضل العمري، مسالك الأبصار، ج15، ص118؛ ابن الفرات، محمد بن عبد الرحيم (ت:807هـ/1405م)، تاريخ ابن الفرات، المطبعة الأميركانية، بيروت، 1942م، مج7، ص226. سيُشار إليه لاحقًا بـ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي و المستوفى بعد الوافي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1984م، ص115. سيُشار إليه لاحقًا بـ ابن تغري بردي، المنهل الصافي.

([2]) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص220.

([3]) الفراء، الأحكام السلطانية، ص108.

([4]) الماوردي، الأحكام السلطانية، ج2، ص139؛ الفراء، الأحكام السلطانية، ص108.

([5]) الماوردي، الأحكام السلطانية، ج2، ص139؛ الفراء، الأحكام السلطانية، ص108.

([6]) الماوردي، الأحكام السلطانية، ج2، ص139؛ الفراء، الأحكام السلطانية، ص108.

([7]) إبراهيم، مرآة الحرمين، ج1، ص196.

([8]) الماوردي، الأحكام السلطانية، ج2، ص139؛ الفراء، الأحكام السلطانية، ص108.

([9]) الماوردي، الأحكام السلطانية، ج2، ص139-142؛ الفراء، الأحكام السلطانية، ص108؛ الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص135.

([10]) الماوردي، الأحكام السلطانية، ج2، ص139-142؛ الفراء، الأحكام السلطانية، ص109-111؛ الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص135.

حين تعرّض الحجاج للأذى والنهب والقتل؛ ويعود ذلك إلى أنّ أحد الباطنيَّين خرج على واحدٍ من أهل أمير مكة قتادة وقتَله اعتقادًا منه أنه الأمير قتادة[1] نفسه، فغضب قتادة وخرج بجنوده على الحُجّاج فقتل الكثير منهم وتعرضوا للنهب والسرقة حيث سادت حالة من الهلع والخوف بينهم، فعُزِل أمير الحج حينذاك وكان أبو ياقوت[2] بسبب تقصيره في أداء واجبه بحماية الحُجّاج، وعُيِّن مكانَه أبو فراس الحلبي[3] أميرًا للحج.[4]

ثالثًا: الإصلاح وحل النزاعات بين المتخاصِمِين من الحجاج وعقاب المتجاوز منهم بشرط ألّا يتجاوز ذلك عقوبة التعزير[5].[6]

رابعًا: تحديد أنسب أماكن الاستراحة والنزول، واختيار أفضل محطات الطريق.[7]

خامسًا: إلزام الحجاج بأداء صلواتهم في أوقاتها فلا يفوتون وقت الصلوات المفروضة عليهم.[8]

([1]) الأمير قتادة: هو قتادة بن إدريس العلوي الحسيني أمير مكة، اتسعت ولايته إلى نواحي اليمن، كان حسن السيرة في بداية سيرته ثم أساء السيرة وجدّد المظالم والمكوس، خنقه ابنه الحسن وعمره نحو تسعين سنة عندما كان مريضًا حينما أرسل ابنه وأخاه للاستيلاء على مدينة النبي وأخذها من صاحبها، فرجع حينها ابنه الحسن وخنقه. للمزيد انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص601؛ أبو شامة، الذيل على الروضتين، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، د.م، 1947م، ص123؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج4، ص308؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج2، ص282؛ المقريزي، السلوك، ج1، ص180؛ الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص368؛ دحلان، أحمد بن زيني (ت: 1304هـ/1886)، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام من زمن سيدنا النبي إلى وقتنا هذا التمام، تحقيق: محمد فارس الشيخ، أرض الحرمين، مكة، ص78. سيشار إليه لاحقا بـ دحلان، خلاصة الكلام؛ المديرس، عبد الرحمن مديرس، المدينة المنورة في العصر المملوكي (648-923هـ/1250-1517م)، د.ن، د.م، 2001م، ص64. سيُشار إليه لاحقًا بـ المديرس، المدينة المنورة.

([2]) أبو ياقوت: هو مجاهد الدين ياقوت أمير الحج، ولد سنة سبع وستمائة، ولّاه أبوه إمارة الحج وهو صغير السن وجعل معه من يدبر الحج معه. للمزيد انظر: الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م ج5، ص468. سيُشار إليه لاحقًا بـ الفاسي، العقد الثمين؛ الجزيري، درر الفرائد، ج، ص365؛ العاصمي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي المكي (ت: 1111هـ/1699م)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ج4، ص226. سيُشار إليه لاحقًا بـ العاصمي، سمط النجوم؛ عبد الغني، عارف، تاريخ أمراء مكة المكرمة من 1 - 1344هـ، دار البشائر، دمشق، 1992م، ص5. سيُشار إليه لاحقًا بـ عبد الغني، تاريخ أمراء مكة.

([3]) أبو فراس الحلبي: هو أبو فراس بن جعفر أبو نواس الحلبي، كان مُرافقًا للحج مع الأمير أبي ياقوت عندما كان صغيرًا في السن. للمزيد انظر: الرشيدي، الصفا والابتهاج، ص119.

([4]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص62؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص186-187؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص210-211؛ الدواداري، أبو بكر عبد الله بن أيبك الدواداري (ت:736هـ/1335م)، كنز الدرر وجامع الغرر (الدرة اليتيمة في أخبار الأمم القديمة)، تحقيق: إدوارد بدين، قسم الدراسات الإسلامية في المعهد الإسلامي، القاهرة، 1994م، ج1، ص171. سيُشار إليه لاحقًا بـ الدواداري، كنز الدرر؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج40، ص7؛ اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي (ت: 768هـ/1366م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ج4، ص13. سيُشار إليه لاحقًا بـ (اليافعي، مرآة الجنان)؛ المقريزي، السلوك، ج1، ص294؛ سيد، تاريخ مصر الإسلامية، ص215-216.

([5]) عقوبة التعزير: وهي التأديب بالضرب دون الحد. للمزيد انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص562.

([6]) الماوردي، الأحكام السلطانية، ج1، ص139.

([7]) الفراء، الأحكام السلطانية، ص109-111.

([8]) الماوردي، الأحكام السلطانية، ج1، ص139،135.

سادسًا: تقسيم حجاج القوافل إلى عِدّة فِرَق، ولكل فرقة قائد ليعرف مكانها ومسارها تجنُّبًا لحدوث الإرباكات والنزاعات والتزاحم بسبب الأعداد الكبيرة.[1] ففي بعض السنوات كان التزاحم والأعداد الكبيرة لحجاج بيت الله يؤدي إلى حدوث الوفيات بين صفوفهم كما حدث في سنة 581هـ/1185م، وأدى ازدحام الحجاج في البيت الحرام لوفاة أربع وثمانون حاج.[2]

سابعًا: إحصاء وتقييد أعداد الحجاج عند الانطلاق وفي كل محطّةٍ عند النزول وعند وصولهم إلى مكة وبعد الانتهاء من الحج وتفقد من كان ناقصًا منهم فلا يغادرون قبل اكتمال العدد وتقييد حالات الوفيات الحاصلة.[3]

ثامنًا: وصلت بعض صلاحيات أُمَراء الحج إلى التدخل في الشأن الداخلي لمكة وأمرائها بأمر من السلطان صلاح الدين الأيوبي، ومثال ذلك ما حدث سنة 571هـ/1175م، ففي هذه السنة كانت إمارة مكة بيد مكثر[4] الذي وصل إلى منصبه بعد مناوشات طويلة مع أخيه داود[5]، وكان مكثر بدوره يعمل على تثبيت حكمه في ذلك الوقت حتى لا يتدخل الخليفة العباسي في أمر عزله، فبنى حصنًا على جبل أبي قُبَيس[6]، وجنّد مجموعةً من الرجال تحت إمرته، واشترى الأسلحة استعدادًا للقتال في حال تدخل العباسيّين أو السلطان الأيوبي في عزله، وهو ما اعتبره الخليفه العباسي تحَدِّيًا من مكثر له، فأرسل صلاح الدين الأيوبي طاشتكين[7]، وكان أميرَ الحج العراقي وقتها، وأمره بعزل مكثر عن إمارة

([1]) الفراء، الأحكام السلطانية، ص109.

([2]) دحلان، خلاصة الكلام ، ص78.

([3]) الماوردي، الأحكام السلطانية، ج1، ص141.

([4]) مكثر: هو مكثر بن عيسى بن فليتة الهاشمي الحسني، آخر أمراء مكة من الهواشم ومن بني فليتة. للمزيد انظر: الفاسي، العقد الثمين، ج6، ص121؛ الجزيري، درر الفرائد، ج2، ص238.

([5]) داود: أحد أمراء مكة، وهو داود بن عيسى بن فليتة الهاشمي، كانت إمارة مكة تتداول بينه وبني أخيه مكثر. للمزيد انظر: الفاسي، العقد الثمين، ج4، ص68.

([6]) جبل أبي قُبَيس: يُلفَظ التصغير كأنه تصغير قبس النار، وهو اسم الجبل المشرف على مكة، وجهه إلى قُعيعان ومكة بينهما. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص80؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، نسخة مطبعة التقدم، مصر، 1904م، ص89؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص247؛ الخوارزمي، محمد بن إسحاق (ت:827هـ/1424م)، إثارة الترغيب والتشويق إلى المساجد الثلاثة والبيت العتيق، تحقيق: مصطفى محمد الذهبي، المكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، 1998م، ج1، ص99،75. سيُشار إليه لاحقًا بـ الخوارزمي، إثارة الترغيب؛ الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح (ت:852هـ/1448م)، المستطرف في كل فن مستظرف، وضع هوامشه: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص344. سيُشار إليه لاحقًا بـ الأبشيهي، المستطرف؛ القلصادي، ابو حسن علي الأندلسي (ت: 891هـ/1486م)، رحلة القلصادي، تحقيق: محمد ابو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978م، ص141. سيشار إليه لاحقا بـ القلصادي، رحلة القلصادي.

([7]) طاشتكين: الأمير مجد الدين أبو سعيد المستنجدي، كان أميرًا للوفد العراقي للحج عدة سنوات، مات عن عمر يتجاوز التسعين، وُصِف بالسخاء وحسن السيرة. للمزيد انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج16،ص121؛ الكتبي، محمد بن شاكر (ت:764هـ/1362م)، فوات الوفيات والذيل

مكة، فما كان من طاشتكين إلا أن سار إلى مكة وانتظر انتهاء الحُجّاج من أداء مناسكهم، واشتبك في قتال مع أمير مكة مكثر، وعلى إثر قتالهم هذا تضرّر الحُجّاج ونهب أتباع مكثر أموالهم، وأُحرقت بيوت مكة ونُهِب تُجّارها، وبعد هذا هرب هو وأتباعه من طاشتكين إلى حصنه في الجبل فلحقه طاشتكين وتمكن من إخراجه وهزيمته وعزله وأُعطِيت الإمارة في مكة لأخيه داود.[1]

رابعًا: إمرة الموسم

يتبع هذا المنصب أمير الحج وإمرة الموسم هي ولاية دينية بحته، حيث تنحصر واجبات من يتولّاها في أداء المناسك[2] ولم تكن وليدة العصر الأيوبي، بل كانت معروفةً منذ أوائل العصر العباسي، فقد ذُكِر في عدّة مصادر أنّ بداية ظهور منصب أمير الموسم يعود إلى سنة 230هـ/ 844م، وكان أمير الحج حينذاك محمد بن داود[3]، وأمير الموسم إبراهيم بن مصعب[4]، وهذا دليل على أنهما ولايتان منفصلتان عن بعضهما يتولّاهما شخصان مختلفان مع تبعية أمير الموسم لأمير الحج.

إمرة الموسم وهي كولاية الحج ولاية مُؤقَّتة تزول عن صاحبها بانتهاء أيام الحج، وتنحصر في أيام تأدية المناسك من السابع حتى الثالث عشر من ذي الحجة[5]، فيتولى أمير الموسم إمامة الرَكْب في جميع مناسكهم وتعليمهم كيفية تأديتها[6]، وهي أيضًا على شكلَيْن: إمّا أن تكون عامّة يتولّاها شخص

عليها، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت، ج2، ص129. سيشار إليه لاحقًا بـ الكتبي، فوات الوفيات؛ الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص359؛ دحلان، خلاصة الكلام، ص76

([1]) ابن الجوزي، المنتظم، ج18، ص224؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص77؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج41، ص7؛ المقريزي، السلوك، ج1، ص294؛ ابن فضل العمري، مسالك الأبصار، ج27، ص61؛ دحلان، خلاصة الكلام، ص76-77

([2]) الفراء، الأحكام السلطانية، ص112.

([3]) محمد بن داود: هو محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي العباسي، أمير مكة والمدينة، كان واليا على مكة سنة إحدى وعشرين ومئتين إلى سنة سبع وعشرين ومئتين. للمزيد انظر: الفاسي، العقد الثمين، 1998م، ج2، ص172؛ ابن كثير، ، البداية والنهاية، مطبعة كردستان العالمية، القاهرة، 1929م، ج10، ص311.

([4]) إبراهيم بن مصعب: هو ابو عبد الله ابراهيم بن مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ب العوام الزبيري الأسدي من أهل المدينة، توفي في بغداد سنة ست وثلاثين ومائتين، وينتسب إلى الزبير بن العوام. للمزيد انظر: ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م، ج1، ص400. سيشار إليه لاحقا بـ ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب.

([5]) الماوردي، الأحكام السلطانية، ج1، ص141.

([6]) الفراء، الأحكام السلطانية، ص112؛ الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص136.

واحد عدة سنوات، وإمّا أن تكون خاصّة أي يتغيّر مُتولّيها بتغَيُّر السنوات[1]، ولاختيار أمير الموسم عدة شروط يجب أن تتوفر فيمن يتولى هذا المنصب، هي كما يأتي:

أولًا: أن يمتلك أمير الموسم القدرة على تولّي أمر الحجاج جميعهم في أداء المناسك.[2]

ثانيًا: أن يكون عالِمًا بأيام الحج وميقاته ومناسكه وسُنَنِه وذلك لأنه يعد المرشد والموجه للحجاج فوجب عليه المعرفة التامة بذلك.[3]

ثالثًا: أن يكون إمامًا فقيهًا في الدين وهذا الشرط مرتبط بما قبله إضافة إلى ذلك فقد تحدث بعض الاستثناءات بين الحجاج التي تتطلب أن يكون أمير الموسم فقيهًا بالدين للبت فيها.[4]

رابعًا: سليم اللفظ وذلك لأنه يعد إمامًا لهم في صلواتهم وتأديتهمم لأركان الحج وكذلك خلوه من الأمراض والعلل أن يكون بصحة جيدة تمكنه من أداء الواجبات الملقاة على عاتقه.[5]

وعلى مُتولّي هذا المنصب عدّة واجباتٍ يُؤدّيها خلال فترة ولايته، وهي على النحو الآتي:

اولًا: إقامةُ المناسك وأداؤُها على أكمل وجه بالترتيب فلا يُقدِّم ولا يُؤخِّر أيًّا منها وهذا مرتبط بالشروط السابقة فأداء المناسك على أكمل وجه يتطلب العلم بأيام الحج وسننه وأركانه.[6]

ثانيًا: إعلام الحُجّاج بمواقيت إحرامهم ومكانها.[7]

ثالثًا: أن يكون إمامًا للحُجّاج في أداءهم للصلوات وفي تأدية أركان الحج.[8]

ولا بُدّ من الإشارة إلى ظهور عدّة نقاط كانت محلَّ خِلاف كونها من ضمن واجبات أمير الموسم أو خارجة عن واجباته، وتكمن هذه في ما يأتي:

([1]) الفراء، الأحكام السلطانية، ص112؛ الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص136.
([2]) الماوردي، الأحكام السلطانية، ج1، ص141؛ الفراء، الأحكام السلطانية، ص112؛ الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص136-138.
([3]) الماوردي، الأحكام السلطانية، ج1، ص141؛ الفراء، الأحكام السلطانية، ص112؛ الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص136-138.
([4]) الماوردي، الأحكام السلطانية، ج1، ص141؛ الفراء، الأحكام السلطانية، ص112؛ الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص136-138.
([5]) الماوردي، الأحكام السلطانية، ج1، ص112؛ الفراء، الأحكام السلطانية، ص113-115.
([6]) الماوردي، الأحكام السلطانية، ج1، ص112؛ الفراء، الأحكام السلطانية، ص113-115.
([7]) الماوردي، الأحكام السلطانية، ج1، ص112؛ الفراء، الأحكام السلطانية، ص113-115.
([8]) الماوردي، الأحكام السلطانية، ج1، ص112؛ الفراء، الأحكام السلطانية، ص113-115.

أولًا: التعزير وإقامة الحدود؛ حيث جعلوا الأمور والأفعال التي تكون عقوبتها التعزير من صلاحياته، وأخرجوا من يده الأفعال التي تتطلب إقامة الحدود، فإذا فعل الحاجُّ أمرًا يقتضي إقامة الحدّ، لا يكون لأمير الموسم سلطة بإقامته.[1]

ثانيًا: عدم جواز الحكم بين الحجاج إذا كان نزاعهم خارج أمور الحج أي أن الخلافات التي تحدث لأسباب لا تتعلق بالحج وأركانه هي خارج مسؤولية أمير الموسم.[2]

ثالثًا: إذا خرج من الحاج أمرًا او فعلًا اقتضى تقديم فدية انقسم فريقان حول ذلك، فمنهم من منح أمير الموسم مسؤولية إعلام الحاج بوجوب الفدية ولكن دون إلزامه بذلك ومنهم من قال أنه وجب على أمير الموسم اعلام الحاج والزامه فيها.[3]

خامسًا: مُرافقو قوافل الحج

أ) وُلاة الطريق

اهتمّ السلاطين الأيوبيّون على مدار حكمهم بأمر الحج والحُجّاج، فأعطَوا هذا الأمر حقَّه من الأهمّية خصوصًا فيما يتعلّق بالجانب الأمني والسهر على راحة الحُجّاج خلال سفرهم إلى البلاد الحجازية، فعيَّنوا مُوظَّفين يتولَّون أمر الطريق الذي ستسلكه قافلة الحُجّاج وسلامتها من كل شرٍّ أو اعتداء، وأطلقوا عليهم اسم ولاة الطريق، وكان من مُهِمّاتهم المغادرة قبل قوافل الحج للاطمئنان على سلامة الطريق الذي تسلكه القوافل وإصلاح أي خراب يجِدونه، ويُذكَر أنَّ منصب والي الطريق ظهر في نهاية القرن الثالث الهجري.[4]

([1]) الماوردي، الأحكام السلطانية، ج1، ص144؛ الفراء، الأحكام السلطانية، ص113-115.
([2]) الماوردي، الأحكام السلطانية، ج1، ص144؛ الفراء، الأحكام السلطانية، ص113-115.
([3]) الماوردي، الأحكام السلطانية، ج1، ص144؛ الفراء، الأحكام السلطانية، ص113-115.
([4]) الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص169.

ب) قاضي القافلة:

لن يخلو الأمر من قيام خلافات ونزاعات بين أفراد القافلة، فلا بُدّ من وجود أصحاب الاختصاص في فضّ النزاعات والخلافات بين الحجاج، الأمر الذي جعل سلاطين الأيوبيّين يُعَيِّنون في كل قافلة قاضيًا، ومُهِمّاته مثل مُهِمّات قاضي الدولة، ولكن تنحصر مُهِمّاته على الحجاج داخل القوافل وتنتهي بانتهاء موسم الحج، ومن مُهِمّاته النظر والقضاء في الخصومات والنزاعات التي تحدث بين الحجاج، وقد مُيِّز قاضي القافلة عن غيره بتخصيص جمل من جمال القافلة، وبطعام طَوال رحلة الحج أيضًا، وكان له معاونين بمثابة شهود للقافلة يُعَيِّنُهم القاضي، حيث تتوافر فيهم صفات النزاهة والأمانة في أداء الشهادة، ومُهِمّتهم إدلاء أقوالهم وشهاداتهم في الخصومات بين الحجاج.[1]

ومن القضاة الذين تولَّوا مُرافقة القوافل خلال فترة حكم الأيوبيّين الشريف إسماعيل بن ثعلب الذي كان قاضيًا لقوافل الديار المصرية سنة 592هـ/1196م[2]، والقاضي الشجاع علي بن السلار قاضي القوافل الشامية سنة 608هـ/1211م[3].

ج) كاتب أمير الحج:

أفرد الأيوبيون مُوَظَّفًا يرافق أمير الحج في معظم أوقاته ليكون مسؤولًا عن تقييد وتدوين الأوامر الصادرة عن أمير الحجّ، وكذلك حساب نفقات القافلة وهو يتغير بتغير أمير الحج.[4]

([1]) القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص34؛ ابن فضل العمري، مسالك الأبصار، ج3، ص311،305-312؛ الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص136؛ الرشيدي، حسن الصفا، ج1، ص35؛ إبراهيم، مرآة الحرمين، ج2، ص301؛ المالكي، سليمان عبد الغني، بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد (من منتصف القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن السابع الهجري)- رسالة دكتوراة، =إشراف: محمد أمين صلح، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1981م، ص110. سيُشار إليه لاحقًا بـ المالكي، بلاد الحجاز؛ العبدلي، عائشة مانع عبيد، إمارة الحج في عصر الدولة المملوكية وأثرها على الأوضاع الداخلي في مكة المكرمة (648-923هـ/1258-1517م)- رسالة ماجستير، إشراف: جميل عبد الله المصري، جامعة أم القرى، السعودية، 1999م، ص35. سيُشار إليه لاحقًا بـ العبدلي، إمارة الحج؛ الحشاش، الحج الشامي، ص165.

([2]) الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص362.

([3]) الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص365.

([4]) بن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص115؛ الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص170؛ الرشيدي، حسن الصفا والابتهاج، ج1، ص36؛ إبراهيم، مرآة الحرمين، ج2، ص301؛ العبدلي، إمارة الحج، ص41؛ الحشاش، الحج الشامي، ص167.

د) صاحب البريد:

كان من الدواعي الضرورية، وفي كل فترات الدولة الإسلامية في العصور الوسطى عامةً، وفي الفترة الأيوبية خاصّةً، أن يهتمّ خلفاء وسلاطين المسلمين بما يحدث خلال مسير الحُجّاج وإقامتهم في الديار الحجازية للاطّلاع عن كثب على المُستجِدّات والحالات الطارئة، والاطمئنان كذلك على راحة وسلامة الحُجّاج؛ فألقَوا هذه المسؤولية على عاتق صاحب البريد الذي يتولى أمر نقل أخبار الحجاج وما يتعرّضون له في أثناء سفرهم للسلطان الأيوبي، ويُشترَط في اختياره أن يكون على دراية بأحوال الطرق والسرعة في التنقُّل حتى يُسهّل حلّ المُشكلات التي قد تحصل للقوافل خلال مسيرها في الطرق.[1] وهذا يؤكد مدى الاهتمام الكبير لدى سلاطين الدولة الأيوبية تجاه قوافل الحجاج من حيث تعيين مجموعة من الموظفين للسهر على راحة وأمن الحجاج من البداية وحتى النهاية.

هـ) السقاة:

ينضمّ إلى مجموعة الموظفين الذين يغادرون إلى جانب الحجاج ما يُطلَق عليهم اسم السُقاة، وهم الأشخاص الذين يتولَّون مُهمّة تقديم المياه للحجاج وملْء قِرَبِهم في الطريق وفي المشاعر وفي محطات الاستراحة، ويتولى أمرَ الرئاسة عليهم شخصٌ يُدعى صاحب السبيل.[2]

و) الميقاتي:

ترتبط مُهِمّات الشخص الذي يتولى هذه الوظيفة بتحديد أوقات الصلاة ليُخبِر بها المُؤذِّن ويُحدّد القِبلة أيضًا، ويرتبط عمله كذلك بعمل المُؤذِّن الذي يرفع الأذان للصلوات في الطريق باستثناء أوقات

([1]) بن فهد، محمد بن محمد (ت: 885هـ/1480م)، اتحاف الورى في أخبار ام القرى، تحقيق: فهم شلتوت، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1983م، ج2، ص305. سيشار إليه لاحقا بـ بن فهد، اتحاف الورى؛ فرحان، استعدادات وتهيئة ركب الحج، ص113.

([2]) الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص183؛ المالكي، بلاد الحجاز، ص111؛ العبدلي، إمارة الحج، ص66-69؛ الحشاش، الحج الشامي، ص168.

الأذان في مكة والمدينة. وللمُؤذّن والميقاتي ميزاتٌ حيث يُخَصَّصُ لهما من الرواتب نحو أربعين دينار وجملٌ وخيمة.[1]

ز) طبيب القافلة:

من الطبيعي جدًّا في رحلة السفر الطويلة أن يُرافق المسافرين طبيبٌ ليهتمّ بصحة المسافرين، وكذلك الأمر في رحلة الحجّ؛ حيث يُعَيّن السلطان طبيبًا ليُرافق القافلة فينظر في الأحوال الصحية للحجاج ويداوي المرضى منهم. ويزداد عمله أهمية ومشقّة في حال انتشار الأوبئة في المناطق التي يمُرُّ من خلالها الحجاج، فيعمل على تقليل انتشارها بين الحجاج. ويشار إلى أن قوافل الديار المصرية كان بها ما يسمى بالجراحي، وهو مرافق أمير الحج ومعه من الأدوية الكثير وكل ما يحتاج إليه من أدوات طبية.[2] وهذا إن دلّ على شيء فانما يدل على حرصهم الشديد في توفير كافة المستلزمات الطبية للمحافظة على صحة وسلامة الحجاج.

ح) ناظر المواريث:

بلغ اهتمام السلاطين الأيوبيّين بالحجاج أن قاموا بتعيين مُوظَّف يُرافِق كُلّ رحلة حج، ويكون مسؤولًا عن مُمتَلَكات الحُجّاج الذين يتوفّاهم الله خلال رحلة الحج.[3]

ط) مُعِدّو طعام القافلة (الطبّاخون):

حرَص سلاطين الأيوبيّون خاصةً وحكام المسلمين عامةً على تجهيز المُؤن حيث اعتبروها من الأولويات التي يجِبُ تضمينها في قافلة الحج، بالإضافة إلى إلحاقها بمجموعة من الأشخاص تكون

([1]) القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص33؛ الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص204؛ المالكي، بلاد الحجاز، ص113؛ العبدلي، إمارة الحج، ص48؛ الحشاش، الحج الشامي، ص70؛ الكعبي، حنان رضا، قوافل الحج والحجيج في عصر صلاح الدين الأيوبي (598-1201)– دراسة تاريخية، مؤتمر طرق الحج في إفريقيا، الخرطوم – السودان، 28،29 تشرين الثاني 2016م، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، 2017م، ص51. سيشار إليه لاحقا بـ الكعبي، قوافل الحج والحجيج

([2]) الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص205؛ الرشيدي، حسن الصفا، ج1، ص36؛ العبدلي، إمارة الحج، ص49؛ الحشاش، الحج الشامي، ص70؛ الكعبي، قوافل الحج والحجيج، ص51.

([3]) القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص33.

مسؤوليّتهم إعداد الطعام، وطهوه في أماكن نزول الحجاج واستراحاتهم وتوزيعه على الحجاج وعلى نفقة الدولة.[1]

ي) أدِلّاء القافلة:

تحتاج القافلة إلى من يقودها إلى برّ الأمان، لا سِيَّما وإن كانت المسافة طويلة من نقطة البداية وصولًا إلى مكة، حيث دأب الحكام المسلمين على تسيير عدّة أشخاص يتولَّون مهمة إرشاد القوافل على الطريق، ودائمًا ما يكونون في مقدمة القافلة، ويُشتَرَط في اختيارهم علمهم التامّ بالطُرُق ومسالكها.[2] حيث يتولون مهام إرشادية للحجاج المرافقين للقافلة، باختيار الطرق الآمنة للمسير التي ستسلكها الحجاج، والابتعاد عن المسالك الوعرة التي ستعيق حركتهم وحركة الدواب المرافقة للقافلة.

ك) البيطار:

وهو من المرافقين للقوافل، ومسؤوليته الاهتمام بالخيول والجمال والبغال وغير ذلك من الحيوانات التي ترافق الحُجّاج ومعالجتها، ويُشتَرَط فيه علمه بالأمراض التي تُصيب الحيوانات، ويُخَصَّص له جملٌ من الجِمال الشعارة[3].[4]

ل) مقدم الضوئية (الإنارة):

يتولّى مسألة توفير الإنارة عبر الطريق وفي المشاعر المقدسة مجموعة أشخاص يتحملون مسؤولية إنارة المشاعل وحملها في القافلة وأماكن تأدية المناسك ومكانهم دائمًا في مقدمة الحُجّاج[5]. وقد وصفهم ابن جبير في رحلته، بقوله: " ان المشعر ومسجده كان نورًا حيث اتقد من مشاعل الشمع فيخيل الناظر إليه أن كوكبًا من السماء نزل به، وعلى هذه الصفة كان جبل الرحمة[6] ومسجده ليلة الجمعة؛ لأن

([1]) الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص183-212؛ المالكي، بلاد الحجاز، ص111؛ الحشاش، الحج الشامي، ص172.
([2]) فرحان، استعدادات وتهيئة ركب الحج، ص114.
([3]) الجمال الشعارة: الجمال التي تُخَصَّص لحمل مُؤَن القوافل. للمزيد انظر: الجزيري، درر الفرائد، ج، ص159؛ وزارة الحج السعودية، مجلة الحج والعمرة، مجلد 58، ع3، 2003م، ص5. سيُشار إليه لاحقًا بـ وزارة الحج، مجلة الحج.
([4]) الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص217؛ الرشيدي، حسن الصفا، ج1، ص36؛ الحشاش، الحج الشامي، ص174.
([5]) الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص194؛ الرشيدي، حسن الصفا، ج1،ص36؛ الحشاش، إمارة الحج الشامي، ص36.
([6]) جبل الرحمة: أحد جبال عرفة المشرف على بطن عرنة. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص104.

الأعاجم الخُرَسانِيّين وسواهم من العراقيين أعظمُ الناس همّة في استجلاب الشمع والاستكثار منه إضاءة لهذا المشهد الكريم".[1]

م) ضاربو الطبول:

رافق قوافل الحجاج الديار المقدسة مجموعة من الأشخاص مُهِمّتهم ضرب الطبول وإعلام الحجاج عند النزول بأماكن الراحة والوصول لمحطات معينة في الطريق، وحين النزول في مكة، وبعد الانتهاء من أداء المناسك، وعند الرحيل من مكة عائدين إلى ديارهم.[2]

ن) مُفتّش الخيول والجِمال:

تنحصر مُهمّة المُفتِّش المُرافق لقافلة الحج في تفقُّد أحوال الجِمال وخيول القوافل، والإشراف كذلك على أعلافها وشرابها، كما ويأمر سائقيها بإراحتها من حينٍ لآخر، وألّا تُحَمَّل أكثر مِمّا تُطيق، وتكون أُعطِيات مُفتِّش الخيول من الحُجّاج أنفسهم.[3] أي أن أجور لقاء الخدمات التي يقدمها للحجاج تكون على حساب الحجاج، حيث يتحملون النفقة على المفتش، ولم تشر المصادر إلى المبالغ الذي كان يتقاضاها من الحجاج عند مرافقة القافلة.

س) الدوادار:

يُمَثِّل صاحب هذا المنصب حلْقة الوصل بين أمير القافلة والحجاج، إذْ يعمل على تأمين احتياجاتهم وتسهيل الرحلة عليهم قدر الإمكان، وتنظيم جمال القوافل بما يُعرَف بالتعقيب والترتيب[4]

([1]) ابن جبير، الرحلة، ص48.

([2]) الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص218.

([3]) القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص460؛ الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص179؛ بن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص114-115؛ الرشيدي، حسن الصفا والابتهاج، ج1، ص35؛ المالكي، بلاد الحجاز، ص111؛ العبدلي، إمارة الحج، ص40-41.

([4]) التعقيب والترتيب: وهي ترتيب الحجاج في المسير والنزول واعطاء كل طائفة منهم محلا معروفا ليعرف كل فريق منهم مكانه اقامة وسيرا لئلا يتنازعوا ويتزاحموا. للمزيد انظر: الجزرير، درر الفرائد، ج1، ص138

والتصرف أوقات الازدحام والمضائق[1]، وكانت مُخَصَّصات الدوادار من السلطان نفسه، بالإضافة إلى المخصصات التي كان يتقاضاها من أمير مكة.[2]

ع) حُرّاس القافلة:

لم تختلفْ قوافل الحجيج عن القوافل التجارية التي تقطع مئات الأميال من حيث الأهمية بالنسبة للحكام المسلمين، بل تتفوق عليها بسبب مكانتها الدينية؛ لذا نَجِدهم قد عيَّنوا العديد من الأشخاص الذين يتولَّون مسؤولية توفير الأمن والأمان للقافلة وحِمالها، والتجوّل ليلًا بين الحجاج، وقد خُصِّص لهم نفقةٌ قُدِّرت في سنة 641هـ/1243م على سبيل المثال بنحو (20000) دينار.[3]

ف) طرف الصرة:

يتولّى هذه الوظيفةَ شخصٌ تقع على عاتقه مُهِمّة توزيع الأموال على عربان الطريق وهداياهم، وعادةً ما يكون هذا المُوظَّف من أعيان الدولة وكبارها.[4] وربما كان تعيين شخص يتولى أمر هذه الوظيفة لأجل تذليل الصعاب على الحجاج وحماية له ولمقتنياتهم المرافقة لهم أثناء الرحلة، حيث يتوفر الأمن والحماية للحاج ويتم تجنيبهم التعرض للإعتداءات القبائل العربية القريبة من طريق الحاج، فيدفعون لهم العطاءات لقاء الحصول على الأمن والأمان.

سادسًا: الوظائف المُستحدَثة في العصر الأيوبي:

بالإضافة إلى هذه الوظائف التي كانت معروفة قبل العصر الأيوبي واستمرّت بعده، فقد وُجدت بعض الوظائف التي تُعَدُّ وليدة العصر الأيوبي، ومنها:

([1]) المضائق: مفردها مضيق، وهو نقيض السعة. للمزيد انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج29، ص2627

([2]) بن فضل العمري، مسالك الأبصار، ج30، ص305-309؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص462؛ الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص163؛ بن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص115؛ إبراهيم، مرآة الحرمين، ج2، ص301؛ العبدلي، مرآة الحج، ص139

([3]) بن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص115؛ إبراهيم، مرآة الحرمين، ج2، ص301.

([4]) الرشيدي، حسن الصفا والابتهاج، ج1، ص35.

أ) صبيان الباب:

وهم عبارة عن مجموعةٌ من الصبيان الذين يرافقون أمير القافلة ويساعدونه في معظم أعماله، مثل: استدعاء العربان للتفاوض معهم والتواصل مع بدو الصحراء ونقل مُخَصَّصاتهم، وقد تميز صبيان الباب بزِيِّهِم المُوَحَّد.[1] قد يكون الاختلاف عن طرف الصرة الذي كان موجودًا قبل العصر الأيوبي في التسمية لاسيما وأن هناك تشابه في المهام المسندة لكلا الطرفين.

ب) الخصية (الأغوات):

الخَصِيُّ هو الذكر الذي استُلَّت منه خِصيَتاه ولم يعُدْ قادرًا على مُعاشرة النساء[2]، وقد عُرف الخِصيان منذ القِدَمِ حتى قبل الإسلام وفي الإسلام، ويُذكَر أنّ معاوية بن أبي سفيان هو أوّل من اتّخذ الخصيان لخدمته في القصور[3] حتى مجيْء السلاطين الأيوبيّين، وعُدَّ صلاح الدين الأيوبي أول من استخدم الخِصيان لخدمة الحرمين الشريفين[4] وأوكل لهم مُهِمّة خدمة الحرمين وحجاج بيت الله، وكانت تنحصر مُهِمّاتهم كالآتي:

اولًا: خدمة المسجد النبوي نهارًا وإغلاق أبوابه ليلًا وحراسته.[5]

ثانيًا: إطفاء قناديل المسجد النبوي وتعبئتها بالوقود وتعليقها في أرجاء المسجد.[6]

ثالثًا: كَنس وتنظيف المسجد النبوي نهارًا وليلًا.[7]

([1]) القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص138؛ الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص201.

([2]) السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1958م، ج1، ص62-63 .سيشار إليه لاحقا بـ السخاوي، التحفة اللطيفة؛ الخطيب، مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م، ص163. سيُشار إليه لاحقًا بـ الخطيب، معجم المصطلحات.

([3]) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص332.

([4]) ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي (ت: 930هـ/1524م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتب، مصر، 1984م، ج1، ق1، ص243. سيشار إليه لاحقا بـ ابن إياس، بدائع الزهور

([5]) ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ق1، ص243.

([6]) باقاسي، عاشة عمر عبد الله، بلاد الحجاز في العصر الأيوبي (567-648هـ/ 1171-1250م)- رسالة ماجستير، إشراف: حسين محمد ربيع، كلية الشريعة للدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، 1980م، ص112. سيشار إليه لاحقا بـ باقاسي، بلاد الحجاز.

([7]) باقاسي، بلاد الحجاز، ص112.

رابعًا: الدوران في أرجاء المسجد حاملين معهم الفوانيس بعد الانتهاء من صلاة العشاء[1]، وقد جاء ذكرهم في رحلة ابن جبير خلال وصفه للمسجد النبوي بقوله: "وسدنته فتيان أحابيش وصقالب، ظروف الهيئات نظاف الملابس والشارات"[2].

ج) نفقة القوافل:

جرت العادة في أغلب فترات الدولة الإسلامية وخلال الفترة الأيوبية والمملوكية أن تكون تخصيص النفقة على قوافل الحجاج من ميزانية الدولة[3] او نفقات بيت المال، عدا عن ذلك فقد كان الأمراء والسلاطين وكبار التجار والأغنياء من الناس يتبرَّعون سنويًا بالأموال والعطايا لقوافل الحجيج. وقد ذُكر أنه في سنة 600هـ/1203م قد خُصِّص للقوافل ما يُقَدَّر بـ (500000) دينار، حيث كانت تتنفق في إعداد وتُجهيز المُؤن والحاجيات كالشعير والخبز ورؤوس الأغنام للأضاحي قبل الانطلاق نحو الديار المقدسة.[4]

وكان يُخَصَّص لأمير الحج المُكَلَّف بإمرته مبالغُ كبيرةٌ من أجل الحفاظ على القوافل، إذ كانت تقدر بـ (11 ألف دينار)، حيث يحصل عليها من ديوان السلطان، وقد خُصِّص له راتبٌ سنويٌّ ومساعدات عينيّة مثل: ألف إردبّ[5] من القمح، و 4 أرادب من الفول والجمال الشعارة و 200 جمل، ومن التشريف[6] 14 تشريفة بالإضافة إلى الوقف المُخَصَّص للحجاج والقوافل.[7]

([1]) باقاسي، بلاد الحجاز، ص112.

([2]) ابن جبير، الرحلة، ص82.

([3]) جلال، آمنة حسين، طرق الحج ومرافق في الحجاز في العصر المملوكي- رسالة ماجستير، أم القرى، السعودية، 1987م، ص21. سيُشار إليه لاحقًا بـ جلال، طرق الحج

([4]) الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص172؛ الرشيدي، حسن الصفا، ج1، ص43.

([5]) إردبّ: مكيال ضخم يُستخدم لميزان الحبوب، يساوي 24 صاعًا. للمزيد انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص51؛ ناصر، نجيب موسى، الحياة الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي، دار الشرق للتوزيع والنشر، د.م، 2003م، ص2004. سيُشار إليه لاحقًا بـ ناصر، الحياة الاقتصادية

([6]) التشريف: جمعها تشاريف، وهي الخلع والملابس المهداة من السلطان إلى كبار الأمراء، وفي قول أخر أنها توازي في عصرنا الحالي الوسام . للمزيد انظر: زيناتي، معجم المصطلحات، ص85؛ دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص45.

([7]) الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص430.

سابعًا: قافلة الحج وقت خروجها:

بعد الحديث عن مسألة الإعداد لقافلة الحج المصري او الشامي خلال العصر الأيوبي الذي لا يختلف كثيرًا عما كان سابقًا في العهود الإسلامية للعصر الأيوبي لا بد من وصف الشكل النهائي للقافلة عند انطلاقها لأداء مناسك الحج حيث تأتي المقدمة وتكون لكبار الحجاج والأقربين لأمير القافلة، وتكون أعلام أمير القافلة في مقدمتها، وكما أشرنا سابقًا يتواجد في المقدمة إلى جانب الأمير وكبار الحجاج الأدِلّاء والأشخاص المسؤولون عن الإنارة للحُجّاج، وبعدهم يأتي مُعِدّو طعام القوافل والسُقاة والعسكر، وحماة القوافل على الجوانب يتولَّون حمايتها من أي اعتداء وفي مُؤخَّرة القافلة يتواجد الفلّاحون والفقراء من على شاكلتهم من أبناء الطبقة الحُجّاج.[1]

([1]) الرشيدي، حسن الصفا والابتهاج، ج1، ص43-45؛ جلال، طرق الحج، ص20-21.

الفصل الثاني: طريق الحج

اولًا: طريق الحج المصري:

(أ)التطورات التاريخية لقافلة الحج المصري

(ب) خط سير قافلة الديار المصرية

ثانيًا: طريق الحج الشامي:

(أ) التطورات التاريخية لقافلة الحج الشامي

(ب)خط سير القوافل الشامية

(ج) محطات القافلة الشامية

ثالثًا: الأخطار التي تعرض لها الحجاج

(أ)الأخطار الطبيعية

(ب)الفتن والحروب

(ج)هجمات الأعراب وقطع الطريق

(د)التحديات التي واجهها الحجاج

رابعًا: أثر الصليبيين على قوافل الحج

(أ)أثر الصليبيين على طريق الحج المصري

(ب)أثر الصليبيين على طريق الحج الشامي

خامسًا: الدعم البيت الأيوبي لقوافل الحج

(أ)صلاح الدين الأيوبي

(ب)المعظم عيسى

(ج) ربيعة خاتون

الفصل الثاني: طريق الحج

أولًا: طريق الحج المصري:

(أ)التطورات التاريخية لقافلة الحج المصري:

يتناول هذا الفصل المراحل التي احتضنت انطلاق القوافل المصرية والشامية وفقًا للفترات التاريخية عبر العصور الإسلامية الوسطى ابتداءًا من العصر الراشدي ومرورًا في العصر الأيوبي وانتهاءًا في العصر الأيوبي، ومشيرًا إلى تلك التغيرات التي تحدث من عصر إلى اخر وتشمل هذه المراحل على ما يلي:

المرحلة الأولى: وهي التي تمتدّ من الفتح الإسلامي لمصر على يد عمرو بن العاص سنة 20هـ/641م[1] إلى منتصف القرن الخامس الهجري/ عشرة وألف ميلادية[2]، وتكون بداية الطريق من الفسطاط[3]، وبعدها يتوجّه الحُجّاج لجُب عُمَيرة[4] ثم السويس[5] تليها محطة عجرود[6]، بعدها يكملون

([1]) ابن عبد الحكم،عبد الرحمن (ت: 268هـ/1231م)، فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر، الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ج1، ص118. سيشار إليه لاحقا بـ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب.

([2]) بكر، سيد عبد المجيد، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، جامعة الملك فيصل، المملكة العربية السعودية، 1981م، ص76-77. سيشار إليه لاحقا بـ بكر، الملامح الجغرافية؛ المغلوث، سامي بن عبد الله بن أحمد، أطلس الحج والعمرة تاريخًا وفقهًا، مكتبة العبيكان، الرياض، 2010م، ص116. سيشار إليه لاحقا ب المغلوث، أطلس الحج والعمرة

([3]) الفسطاط: هي مدينة مبنيّة على ضفة النيل الشرقية سُمّيت على ألسنة العامة في مصر، كانت فضاءً وفراغًا بينها وبين النيل والجبل الشرقي الذي يُعرَف بالمقطم، وفي بدايتها كانت حِصنًا يُشحَن بالمُقاتِلة والجنود، وبجوارها أشجار وكروم، وعندما فتح عمرو بن العاص الإسكندرية الفتح الأول نزل بجانب الحصن واختطّ الجامع العتيق المعروف بجامع عمرو بن العاص، واختطت القبائل حول الجامع فصارت مدينة عُرفت بالفسطاط ونزل الناس بها. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص262؛ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت: 682هـ/1283م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، 1998م، ص224-225. سيشار إليه لاحقا بـ القزويني، آثار البلاد؛ ابن فضل العمري، مسالك الأبصار، 1971م، ج3، ص334؛ ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت، ص3-5. سيشار إليه لاحقا بـ ابن دقماق، الانتصار؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار ، ج1، ص190-191

([4]) جُب عميرة: احدى منازل الحج المصري قرب القاهرة بينها وبين الفسطاط ستة أميال يجتمع فيها الحجاج قبل الخروج وأطلق عليها اسم جب يوسف نسبة إلى سيدنا يوسف عليه السلام. للمزيد انظر: اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن الواضح الكاتب (ت: 284هـ/ 897م)، البلدان، المكتبة مكتبة المرتضية، العراق، 1918م، ص99. سيشار إليه لاحقا بـ اليعقوبي، البلدان؛ المهلبي، الحسن بن أحمد (ت: 380هـ/990م)، الكتاب العزيزي-المسالك والممالك، التكوين للطباعة والنشر، دمشق، د.ت، ص21. سيشار إليه لاحقا بـ المهلبي، المسالك والممالك؛ البكري، المسالك والممالك، تحقيق: جمال طلبه، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ج1، ص328. سيشار إليه لاحقا بـ البكري، المسالك والممالك؛ ابن سباهي زاده، محمد بن علي البرسوي (ت: 997هـ/1589م)، أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، تحقيق: المهدي عيد الرواضية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006م، ص194. سيشار إليه لاخقا بـ ابن سباهي زاده، أوضح المسالك

([5]) السويس: بلد على سواحل القلزم من نواحي مصر وهو ميناء أهل مصر اليوم إلى مكة والمدينة بينهما وبين الفسطاط سبعة أيام يحمل إليه الميرة من مصر ثم تطرح في المراكب ويتوجه بها إلى الحرمين. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص286؛ بن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص25؛ ابن سباهي زاده، أوضح المسالك، ص405-406.

([6]) عجرود: إحدى محطات الحج المصري تلي جُب عميرة غرب السويس على مسافة عشرين متر يلتقي بها أهل السويس مع الحجاج. للمزيد انظر: اليعقوبي، البلدان، ص99؛ ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله مولى أمير المؤمنين (ت: 300هـ/912م)، المسالك والممالك، مطبعة بريل المسيحية، ليدن، 1889م، ص190. سيشار إليه لاحقا بـ ابن خرداذبة، المسالك والممالك؛ البكري، المسالك والممالك، ج1، ص228-229؛ صبري باشا، أيوب، مرآ ة جزيرة العرب، ترجمة: أحمد فؤاد متولى، احمد مرسي، دار الآفاق العربية، القاهرة، د.ت، ص187. سشار إليه لاحقا بـ صبري باشا، مرآة جزيرة العرب.

طريقهم نحو شبه جزيرة سيناء[1] ثم إلى أيلة[2] بعدها مدين[3] تليها عينونة[4] ثم النبك[5] بعدها تأتي منطقة الوجه[6] أو الوجيه ثم حوراء[7] وصولا إلى ميناء الجار[8] ويمرون بعدها بالجحفة[9] ثم وصولًا إلى بمكة المكرمة.[10]

المرحلة الثانية: تزامنت هذه المرحلة مع الوجود الصليبي في بلاد الشام، وأشار إليها المقريزي[11] بقوله: "أقام حُجّاج مصر والمغرب زيادة على مئتي سنة لا يتوجهون إلى مكة المكرمة إلّا من صحراء عيذاب[12].

([1]) جزرة سيناء: تسمى بالطور أو طور سيناء تقع قرب أيلة وهي عبارة عن حجارة. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص48؛ الحميري، ابو عبد الله محمد بن عبد المنعم (ت: 900هـ/1496م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1974م، ص318. سيشار إليه لاحقا بـ الحميري، الروض المعطار؛ ابن سباهي زاده، أوضح المسالك، ص104.

([2]) أيلة: مدينة على ساحل البحر الأحمر مما يلي الشام، وهي آخر الحجاز وأول الشام، وهي مدينة عامرة. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص292؛ المقريزي، السلوك، ج1، ص150.

([3]) مدين: تقع على ساحل القلزم وهي مدينة أكبر من تبوك وبها البئر الذي استقى منها موسى عليه السلام ومنها إلى أيلة خمس مراحل وإلى تبوك شرقا ست مراحل. للمزيد انظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ص345،145،10-346؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، نسخة المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003م، ص387؛ المقريزي، المواعظ، ج1، ص347؛ القهيدان، تركي بن إبراهيم، "مدينة مدين: مغاير شعيب ليست مدين"، مجلة الفيصل، ع391-392، شباط 2009م الموافق محرم 430هـ، ص47.

([4]) عينونه: وهي محطة في طريق مكة من مصر ومن أراد أن يخرج من مدين إلى مكة أخذ ساحل البر الملح لموضع يقال له عينونة فيه عمارة ونخل. للمزيد انظر: الحميري، الروض المعطار، ص122؛ بكر، الملامح الجغرافية، ص128.

([5]) النبك: إحدى المنازل التي يمر بها الحاج المصري وهي على ساحل بحر القلزم ماؤها مالح رديء لا يستساغ. للمزيد انظر: اليعقوبي، البلدان، ص100؛.بن فضل العمري، المسالك، ج2، ص141

([6]) الوجه: إحدى محطات الحاج المصري يرد الحجاج ماؤها العذب الذي يسيل ليلًا ويشح نهارًا وعادة ما يحصل بها إزدحام للحجاج. للمزيد انظر: اليعقوبي، البلدان، ص110؛ بن فضل العمري، المسالك، ج2، ص341؛ بكر، الملامح الجغرافية، ص134.

([7]) حوراء: إحدى محطات الحجا المصري على ساحل البحر القلزم يرد الحاج ماؤها الشبيه بماء البحر وتسقى الجمال منه وهي قرية عامرة بالسكان فيها مسجد جامع آبار عذبة ونخل وأهلها من عرب جهينة وبلى. للمزيد انظر: البكري، المسالك، ج1، ص98؛ البكري، معجم ما استعجم، ص447،38.؛ بن فضل العمري، المسالك، ج2، ص141؛ الحميري، الروض المعطار، ص205.

([8]) ميناء الجار: وهو ساحل المدينة على بحر القلزم في الإقليم الثاني طولها من جهة الغرب أربع وستون درجة وعشرون دقيقة وعرضها أربع وعشرون درجة ترفئ إليها السفن. للمزيد انظر: البكري، المسالك، ج1، ص98؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص93؛ الحميري، الروض المعطار، ص153.

([9]) الجحفة: قرية كبيرة ذات منابت في المدينة من مكة على أربعة مراحل وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يسيروا على المدينة فإن مروا في المددينة فميقاتهم ذي حنيفة وسميت بالجحفة لأن سير اجتحفها وحمل أهلها في بعض الأعوام وهي الان خراب بينها وبين ساحل الجار ثلاثة مراحل. للمزيد انظر: البكري، المسالك، ج1، ص42؛ البكري، معجم ما استعجم، ص11،9، 162؛.ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص90؛ ابن فضل العمري، المسالك، ج2، ص340؛ الحميري، الروض المعطار، ص156؛ القزويني، آثار البلاد، ص108

([10]) بكر، الملامح الجغرافية، ص76-77؛ جلال، أمينة حسين، "طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي (684-923هـ)/ (258-1517م)"- رسالة ماجستير، إشراف: أحمد السيد دراج، جامعة أم القرى، السعودية، 1978م، ص5. سيشار إليه لاحقًا بـ جلال، طرق الحج.

([11]) المقريزي: هو أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبرهيم بن محمد بن تميم، التقى، أبو العباس بن العلاء ابن المحيوى الحسيني العبيدي البعلى الأصل، القاهرى، سبط ابن الصائغ، ويعرف بابن المقريزي وهي نسبة لحارة في بعلبك تعرف بحارة المقارزة، جده من كبار المحدثين. للمزيد انظر: المقريزي، رسائل المقريزي، ص3.

([12]) عيذاب: مدينة في أعلى الصحراء المنسوبة إليها في ضفة البحر الملح ومنها المجاز إلى جدة وعرضه مجرى يوم وليلة ومرسى عيذاب جزيرة ليست بكبيرة ومساكنها من حجارة والماء العذب يجلب إليها على مسيرة يوم، وهي محط السفن من جدة من التجار وغيرهم وهي تقابل من الصعيد الأعلى قوط وقفط، وبينها وبين قفط خمس مراحل في البر لا ماء فيها إلا بموضعين. للمزيد انظر: ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي (ت: 367هـ/978م)، صورة الأرض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ص144. سيشار إليه لاحقا بـ ابن حوقل، صورة الأرض؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص171؛ بن جبير، الرحلة، ص42؛ القزويني، اخبار البلاد، ص18-19؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج1، ص566-567؛الحميري، الروض المعطار، ص423؛ بن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص25

يركبون النيل من ساحل مدينة مصر الفسطاط إلى قوص[1] ثم يركبون الإبل في قوص ويعبرون هذه الصحراء ثم يركبون البحر في الجلاب[2](مراكب) إلى جدة[3] من أعوام بضع وخمسين وأربعمئة إلى أعوام بضع وستين وستمئة"[4] وسيتحدث الباحث عن هذه المرحلة بالتفصيل فيما بعد .

المرحلة الثالثة: امتدت هذه المرحلة من عام 667هـ/1268م و عام 1301هـ/1884م[5] وأول من سلكها السلطان المملوكي الظاهر بيبرس[6] وتبدأ من بركة الحاج[7] ثم يليها السويس ثم بئر نخل[8] ثم العقبة ومن بعدها مغاير شعيب[9] تليها محطة عيون القصب[10] ثم الوجه ثم أكرا[11] ثم الحوراء ثم المغيرة[12] ثم ينبع النخيل[13] بعدها تأتي محطة الدهناء[14].

([1]) قوص: مدينة كبيرة من البلاد المصرية من الجهة الشرقية من النيل بها منابر وأسواق جامعة وتجارات ودخل وخرج إليها المسافر كثيرًا، كثيرة البضاعات النافعة والمكاسب رائجة والبركات ظاهرة وشرب أهلها من ماء النيل. للمزيد انظر: البكري، المسالك، ج2، ص24؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص413؛ الحميري، الروض المعطار، ص484؛ بن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص33

([2]) الجلاب: وهي المراكب التي يستقلها الحجاج للمرور في البحر. للمزيد انظر: ابن جبير، الرحلة، ص42.

([3]) جدة: بلد على ساحل مكة شرفها الله تعالى بينهما أربعون ميلا وأهلها مياسير وذو أموال واسعة ولهم موسم قبل وقت الحج. للمزيد انظر: البكري، معجم ما استعجم، ص6-12،7؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص114؛ القزويني، اثار البلاد، ص112-113؛ الحميري، الروض المعطار، ص157؛ بن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص13

([4]) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج1، ص567؛ المغلوث، أطلس الحج، ص116

([5]) بكر، الملامح الجغرافية، ص79؛ المغلوث، أطلس الحج، ص116

([6]) الظاهر بيبرس: رابع ملوك الترك وأولادهم في الديار المصرية، تسلطن بعد قتل الملك المظفر قطز سنة 658هـ. لقب بداية بالملك القاهر ومن بعده الملك الظاهر. للمزيد انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص155-156؛ الكتبي، محمد بن شاكر (ت: 764هـ/1362م)، فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت، ج1، ص235-238. سيشار غليه لاحقا بـ الكتبي، فوات الوفيات.؛ ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي (ت: 930هـ/1523م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق: محمد مصطفى، دار فرانز ستاينر، فيبادن، 1975م، ج1، ص608. سيشار إليه لاحقًا بـ ابن إياس، بدائع الزهور؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج7، ص610

([7]) بركة الحاج: وهي جُب عميرة لكن اتخذت اسم بركة الحاج فيما بعد. للمزيد انظر: بكر، الملامح الجغرافية، ص1.

([8]) بئر نخل: إحدى محطات الحاج المصري عبر شبه جزيرة سيناء وفيها قلعة قديمة وهي من منازل بني ثعلبة من المدينة على مرحلتين. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص267؛ بكر، الملامح الجغرافية، ص107-111.

([9]) مغاير شعيب: مغارة كبيرة مرتفعة السمك جدا معجبة الصفة متسعه من بابها إلى داخلها مضيئة لأجل اتساعها، ومعجبة الصفة وهي في حجر أصم بأصل حدب غليظ. للميزد انظر: العبدري، محمد البلنسي (ت: 720هـ/1320م)، الرحلة المغربية، دار سعد الدين، دمشق، 2005م، ص341. سيشار إليه لاحقا العبدري، الرحلة المغربية.

([10]) عيون القصب:وهي عينونة قديما.

([11]) أكرا: واد كبير وماؤه أحساء يحفر عنه نحو القامة وهو غزير عذب. للمزيد انظر: الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص137؛العبدري، الرحلة المغربية، ص343.

([12]) المغيرة: تصغير مغارة، وهي واد بين جبلين محفورة في بطن الوادي ومدخلها ضيق يهبط منه درج وماؤها قليل، لوم يزل الحجاج يتضايقون عندها ويتقاتلون ويموتون عطشا حتى الهمهم الله للحفر عندها نحو قامتين. للمزيد انظر: العبدري، الرحلة المغربية، ص344.

([13]) ينبع النخيل: وهي حصن به نخل وماء وزرع وبها وقوف إلى علي بن أبي طالب على تسعة برد من المدينة في طريق مكة ويقال أنها أرض تهامة التي غزاها الرسول. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص450؛ بن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص14.؛ الحميري، الروض المعطار، ص621

([14]) الدهناء: وهو منزل بطريق مكة من البصرة صبحت به أقماع الدهناء من جانبه الأيسر واتصلت أقماعها بعجمتها وفرعت جبالها من عجمتها وقد جعلوا رمل الدهناء بمنزلة بعير وجعلوا أقماعها التي شخصت من عجمتها نحو الينسوعة ثفنا كثفن البعير، وهب خمسة أجبل على عدد الثفنات: فالجبل الأعلى منها الأدنى إلى حفر بني سعد واسمه خشاخش لكثرة ما يسمع من خشخشة أموالهم فيه، والجبل الثاني يسمى حماطان، والثالث جبل الرمث، والرابع معبر، والخامس جبل جبل حزوى. للمزيد انظر: البكري، معجم ما استعجم، ص150،82،13؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص493

ثم بدر[1] وصولًا إلى مكة. وقد سلك هذا الطريق الرحالة العبدري[2].

المرحلة الرابعة: وتمتدّ من عام 667هـ/1268م وحتى وقتنا الحاضر ويعبرها الحجاج بالسكك الحديدية والوسائل الحديثة.[3]

(ب)خطّ سير قافلة الديار المصرية:

لم تقتصرْ القافلة المصرية على حجاج مصر فحسب،وإنما ينضمُّ إليها الحجاج القادمين من غرب ووسط إفريقيا وحجاج الأندلس الذين كانوا يتم استقبالهم في ميناء الإسكندرية[4] سلك حجاج مصر ومن انضم اليهم عبر الزمان ثلاثه طرق نحو الديار المقدسه وهي الطريق البري والبحري وطريق عيذاب[5] فيبدا الطريق البري من بركة الحاج التي يقضي الحجاج فيها ثلاثه ايام يبتاعون حاجياتهم وكل ما يلزمهم فيجدون فيها سوق يوفر لهم كل ما يحتاجونه في رحلتهم الى مكة من بعدها ينطلقون الى السويس التى تستغرق خمسه ايام الوصول اليها يلي السويس نخل ومنها الى ايلة بعد مسير خمسه ايام فيجدون فيها اسواق و اماكن للاستراحه ويلتقون في اي أيلة بتجار بلاد الشام الذين يوفرون للحجاج لهم كل ما يحتاجونه من سلع وملابس واطعمة[6].

ومن ايلة يكملون الى حقل ثم مدين وعلى بعد يومين يصلون لعيون القصب ومن عيون القصب يواصلون الى الازلم[7] التي تستغرق ثلاثه ايام للوصول اليها ومن الازلم يسيرون لمدة يومين حتى

([1]) بدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء بينها وبين الجار وهو ساحل البحر يقال أنه ينسب إلى بدر بن يخلد بن النصر. للمزيد انظر: البكري، معجم ما استعجم، ص11؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص157؛ القزويني، اثار البلاد، ص78

([2]) العبدري: محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود أبو عبد الله الحاحي المشهور بالعبدري نسبة إلى عبد الدار هي قبيلة جنوب المغرب الأقصى كان يسكن مدينة حاحة في المغرب الأقصى. للمزيد انظر: العبدري، الرحلة المغربية، تقديم: سعد بوفلاق، منشورات بونة، الجزائر، 2007م، ص6.

([3]) بكر، الملامح الجغرافية، ص76-78.؛ المغلوث، أطلس الحج والعمرة، ص116.

([4]) ميناء الإسكندرية: ذكر في بعض المصادر بمنار الإسكندرية وهناك عدة روايات على بناؤه ومن هذه الروايات ان الذي بناه الملكة كليوبترا وهي التي وضعت بلاطه وادخلت اليه الماء، ورويا أخرى أن الحارث بن سكين قاضي مصر هو من بناه، والرواة الثالثة ترجع بناؤه إلى الاسكندر المقدوني، وللميناء عدة ترع مبني من الحجارة والجص تجري فيه المياه طوال العام. للمزيد انظر: المسعودي، ابو الحسن بن علي (ت: 346هـ/957م)، مروج الذهب ومعادن الجواهر، المكتبة العصرية، بيروت، 2005م، ج1، ص280. سيشار إليه لاحقا بـ المسعودي، مروج الذهب؛ ابن بطوطة، الرحلة، ج1، ص182؛ القزويني، اثار البلاد، ص143-147؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج1، ص206

([5]) عناقرة. محمد خلف، الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك (648-923 هـ/ 1250-1700م)، دارة الملك عبد العزيز، السعودية، 2006، ص 62-63. سيشار اليه لاحقا: عناقره، الحياة الاقتصادية.

([6]) الجزيري، درر الفرائض، ج2، ص 54؛ عناقرة، الحياة الاقتصادية، ص62؛ جلال، قوافل الحج في العصر المملوكي، ص 31.

([7]) الأزلم: احدى محطات الحج المصري، تبعد ما يقارب أربعة أيام عن النبك وفيها بئر ينتفع به الحاج، للمزيد انظر: الجزيري، درر الفرائض، ج2، ص56.

يصلون الى اكره ثم الحوراء بعد الحوراء يصلون الى نبط [1] التي تاخذ منهم مسير يومين لوصولها ومن ثم تكون محطتهم التالية وعلى بعد خمسه ايام ينبع ومن ينبع يكملون الى الدهناء التي تقع على بعد مسير يوم من ينبع من بعدها يكملون الى بدر ثم رابغ وهي ميقات اهل مصر من بعد رابغ يصلون الى خليص[2]ثم بئر عسفان[3]من بعدها بطن مر وبعد مسيرهم يوم واحد يصلون الى مكه[4] قبل انضمامهم إلى حُجّاج مصر، وبعد ذلك يتوجه الجميع نحو القاهرة التي أما الطريق الثاني وهو طريق صحراء عيذاب فيبدأ من القاهرة الي تُعدُّ نقطة التقائهم بحُجّاج مصر ومكانًا للتجمُّع قبل بَدء رحلة إلى الديار المقدسة[5] حيث تبدأ رحلة الحجاج أولًا بالتجمُّع في مدينة القاهرة وينتظرون لحين اكتمال القافلة والمغادرة، كانت القاهرة أيام الأيوبيين مركز جذب لهؤلاء الحجاج؛ حيث كانت مركزًا للأيوبيّين وحكمهم ومقرًّا لحكم السلاطين ونُوّابهم وما يميزها في العصر الأيوبي أنّها كانت مقرًّا للعلماء وطلاب العلم، حيث انتشرت فيها المدارس التي كان من أبرزها: المدرسة الكاملية[6]،وفيها أيضًا المدرسة الصالحية[7] أضف إلى ذلك انتشار الخوانق[8] التي أُدخلت لأول مرة إلى القاهرة على عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي،

([1]) نبط: جبل بطريق مكة على ثلاثة أميال من توز ، للمزيد انظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5، ص 258.

([2]) خليص: موضع بين مكة والمدينة فيه قرى ونخل كثيف ، للمزيد انظر: ياقوت الحموي ، ج2، ص 352.

([3]) عسفان: منزل من منازل طريق الحاج المصري بين جحفة ومكة ، وعلى مرحلتين من مكة. للمزيد انظر: ياقوت الحمويمعجم البلدان، ج4، ص121-122.

([4]) الجزيري، درر الفرائض، ج2، ص 55-58؛ عناقرة، الحياة الاقتصادية، ص 62-64 .

([5]) ابن جبير، الرحلة، ص18؛ ابن بطوطة، الرحلة، ج1، ص180؛ الجزيري، درر الفرائد، ج2، ص54؛ القلصادي، ابو الحسن علي الأندلسي (ت: 891هـ/ 1486م)، رحلة القلصادي، تحقيق: محمد ابو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، د.ت، ص124. سيشار إليه لاحقا بـ القلصادي، رحلة القلصادي؛ المغلوث، أطلس الحج والعمرة، ص117؛ صبحي، عبد المنعم محمد، العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين- بحث، د.ن، د.م، د.ت، 269. سيشار إليه لاحقا بـ صبحي، العلاقات بين مصر والحجاز؛ الكعبي، قوافل الحج والحجيج، ص48؛ المصري، يونس، رحلات فارتيما، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1994م، ص23. سيشار إليه لاحقا بـ المصري، رحلات

([6]) المدرسة الكاملية: بناها الملك الكامل سنة (622هـ/1225م) وسميت أيضًا بدار الحديث درس بها علم الحديث وما يلحق به من علوم كانت بسوق الوراقين وسبب اعتبارها مدرسة أن الكامل جعل بها دروسًا في الفقه، وهي ثاني دار عملت للحديث. للمزيد انظر: ابن دقماق، الانتصار، ص95؛ ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص229؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ص262؛ سلامة، أيمن شاهر، المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني في الفترة (567-648هـ/1172-1251م)، -رسالة ماجستير، إشراف: أحمد عبد الحميد خفاجة، جامعة طنطا، كلية اداب، مصر، 1999م، ص97-98. سيشار إليه لاحقا بـ سلامة، المدارس الإسلامية.

([7]) المدرسة الصالحية: تعرف بدار الديباج وهي دار الوزير ابو الفرج، أنشأها صفي الدين عبد الله ابن علي بن شكر وجعلها وقفًا على المالكية. للمزيد انظر: بن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك، 31؛ الدمشقي، عبد القادر بن محمد النعيمي (ت: 978هـ/1570م)، الدارس في تاريخ المدارس، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م، ج1، ص239-241.، ص107. سيشار إليه لاحقا بـ الدمشقي، الدار في تاريخ المدارس؛ الرشيدي، حسن الصفا والابتهاج، ص263.

([8]) الخوانق: خانقاه كلمة فارسية وتعني محل للتعبد وللتزهد والبعد عن الناس وبمعنى بيت أيضًا وعرفت أيضًا بأنه بناء ينقطع فيه الصوفية للعباد وللذكر وكان أول من أطلق في التاريخ الإسلامي على أماكن اجتماع الفرقة المعروفة بالكرامية. للمزيد انظر: الزيناتي، معجم المصطلحات، ص136؛ الدهمان، معجم الألفاظ، ص66.

وكان من أبرزها الخانقاه الصلاحي[1] الذي أُنشئ عام 569هـ/1173م، وأُطلِق عليه اسم دار سعيد السعداء، ولعل أبرز أسباب إدخال صلاح الدين الخوانق إلى مصر رغبته في إنهاء وجود المذهب الشيعي.

وتمر رحلة الحُجّاج إلى الديار المقدسة في هذا الطريق بعد التجمُّع في القاهرة بثلاثة مراحل يقطعونها وصولًا إلى مكة. ويمكن تصنيفها على النحو التالي:

المرحلة الأولى: وهي المرحلة المقطوعة عبر نهر النيل والتي يجتازها الحجاج عبر النهر وتصل القاهرة حيث مكان التقاءهم بقوص التي تعد نقطة انتهاء هذه المرحلة النهرية [2] والتي يقطعونها بحوالي ثمانية عشر يومًا.[3]

المرحلة الثانية: وهي المقطوعة برًا وكان الحجاج يعبرونها اما على دوابهم من جمال وخيول او سيرًا على الأقدام، تبدأ بقوص تنتهي بعيذاب[4]، والتي يقطعونها بحوالي سبعة عشرة يومًا.[5]

المرحلة الثالثة والأخيرة: وتعد المرحلة الأخطر يقطعها الحجاج عبر البحر الأحمر تكون بدايتها من عيذاب وتنتهي بجدة ويعبرونها بالقوارب أو كما يسمونها الجلاب[6] وتقطع هذه المرحلة بثمانية أيام.[7]

ويبدأ المسير من القاهرة ثم ينطلق الحجاج عبر نهر النيل إلى الصعيد[1] الذي يُعدُّ الوجه القِبليّ لمصر، ويتكون من عشرين كورة[2]. وما يميز أراضيه خلوُّها من الرمل وكثرةُ المواشي فيها، والتنقل بين

([1]) الخانقاه الصلاحي: ويطلق عليه دار سعيد السعداء خادم المستنصر من خدام القصر وصارت في أخر الوقت سكنًا للوزير طلائع بن زريك وولده زريك بن طلائع الذي سار إليه الملك ثم رجعت إلى صلاح الدين فأوقفها على الفقراء الفاطميين المترددين من الصوفية كذلك وقف عليها بستنان الجبانية. للمزيد انظر: ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص45-49؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج9، ص406؛ ابن دقماق، الانتصار، ص101؛ الدمشقي، الدارس في تاريخ المدارس، ج2، ص139-141؛ العليمي، عبد الرحمن بن محمد، الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، المطبعة الوهيبية، مصر، 1866م، ج2، ص398. سيشار إليه لاحقا بـ العليمي، الأنس الجليل.

([2]) ابن جبير، الرحلة، ص37-40؛ حرب، بلاد الحجاز، ص168؛ جلال، مرافق الحج، ص8-11.

([3]) صبحي، العلاقات بين مصر والحجاز، ص270.

([4]) ابن جبير، الرحلة، ص41-45؛ حرب، بلاد الحجاز، ص168.

([5]) صبحي، العلاقات بين مصر والحجاز، ص270.

([6]) ابن جبير، الرحلة، ص46-53؛ حرب، بلاد الحجاز، ص168-169؛ جلال، مرافق الحج، ص8-11.

([7]) صبحي، العلاقات بين مصر والحجاز، ص270

كُوَر الصعيد عبر نهر النيل يتوجه الحجاج إلى أنصنا[3]، وهي إحدى قرى الصعيد الواقعة غربيّ النيل ويعود بناؤُها إلى الملكة دلوكة[4] إحدى ملوك مصر قديمًا، حيث تكثر فيها الآثار القديمة، وكان لها سور عتيق هُدم وأُزيل أيام صلاح الدين الأيوبي[5] بأمرٍ منه. ثم يُواصل الحُجّاج مسيرَهم بعد خروجهم من أنصنا مُتَوجّهين إلى جبل المقلة[6]، وهو شرقي النيل في منتصف المرحلة النهرية للحُجّاج.[7]

وبعد جبل المقلة ينتقل الحاجّ إلى منفلوط[8]، وهو مَوضعٌ على مقرُبةٍ من الشطِّ الغربيّ للنيل. ومنفلوط نقطة مُهِمّةٌ للحُجّاج للتزوُّد والشراء، ففيها تكثُر الأسواق والمرافق العامّة التي يحتاجون إليها، ويُذكَر أن ما يُميِّز منفلوط هو كثرة إنتاجها من القمح[9]، بعدها يُواصِلُ الحُجّاج مسيرَهم إلى أسيوط[10] الواقعة على الضفة الغربية للنيل، ويُلاحَظُ أن نخيلها الكثيف أكثر ما يُميّزها عن باقي كُوَر الصعيد في مصر[11] وبعد ذلك يواصل الحُجّاج المسير على الضفة الغربية للنيل ويصلون إلى مكان يُعرَف بأبي تيج[12] وهذا الموضع الثاني الذي يُعَدُّ مأهولًا بالأسواق والمرافق العامة[13]. ثم يواصلون إلى أخميم[14]

([1]) الصعيد: المرتفع من الأرض وقيل الرض المرتفعة من الأرض المنخفضة وقيل ما لم يخالطه ولا سبخة وقيل هو وجه الأرض وقيل الأرض الطيبة وقيل هو كل تراب طيب وتسمية هذه الجهة من ارض مصر بهذا الإسم إنما حدث في الإسلام وسماها العرب بذلك لأنها جهة مرتفعة عن أرض مصر لهذا يقال فيها أعلى أرض. للمزيد انظر: البكري، معجم ما استعجم، ص125؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص408؛ القزويني، اثار البلاد، ص345،147؛ المقريزي، المواعظ، ج1، ص532؛ الحميري، الروض المعطار، ص 361.

([2]) كورة: وهي الصقع والبقعة التي يجتمع فيها القرى. للمزيد انظر: معجم الوسيط، ص84.

([3]) أنصنا: وهي إحدى كور الصعيد قرية فسيحة بها آثار قديمة وكانت مدينة عتيقة لا سور عتيق هدمه صلاح الدين الأيوبي وجعل كل منحدر من النيل وظيفته حمل صخرة إلى القاهرة فنقل بأسره إليها. للمزيد انظر: البكري، معجم ما استعجم، ص199؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص139؛ القزويني، اثار البلاد، ص149؛ بن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص33؛ الحميري، الروض المعطار، ص571.

([4]) دلوكة: إحدى ملكات مصر قديمًا ابنة الزباء وصفت برجاحة عقلها وخبرتها في الحكم، أمرت ببناء جدار أحاط بمصر كاملًا سمي بجدار العجوز. للمزيد انظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص40.

([5]) ابن جبير، الرحلة، ص30؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص362؛ المقريزي، المواعظ، ج1، ص571؛ الجزيري، درر الفرائد، ج2، ص246

([6]) جبل المقلة: إحدى معالم الصعيد في الشط الشرقي من النيل مياسرًا للصاعد فيه وهو نصف الطريق إلى قوص من مصر إليه ثلاثة عشر بريدًا ومن إلى قوص مثلها، قديم البنيان منه ما تهدم ومنه من بقي. للمزيد انظر: ابن جبير، الرحلة، ص30.

([7]) ابن جبير، الرحلة، ص31؛ الجزيري، درر الفرائد، ج2، ص246.

([8]) منفلوط: موضع في الصعيد قرب الشط الغربي ميامنا للصاعد في النيل فيه الأسواق وسائر ما يحتاج إليه من مرافق وهي بلدة في نهاية الطيب ليس في الصعيد مثلها وقمحها يجلب إلى مصر لطيبة ورزانة حبه وق اشتهر عندهم بذلك فالتجار يصعدون إلى المراكب لإستجلابه. للمزيد انظر: ابن جبير، الرحلة، ص32؛ بن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص33

([9]) ابن جبير، الرحلة، ص32؛ الجزيري، درر الفرائد، ج2، ص246.

([10]) أسيوط: مدينة غربي النيل نواحي صعيد مصر فيها خمس وسبعوون كنيسة للنصاربوهم بها كثر. لمزيد انظر: ياقوت الحموي، ج1، ص193؛ ابن جبير، الرحلة، ص32؛ القزويني، اثار البلاد، ص147؛ بن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص33.

([11]) ابن جبير، الرحلة، ص32؛الجزيري، درر الفرائد، ج2، ص246

([12]) أبي تيج: أحد كور مصر فيها الأساق وسائر مرافق المدن على الشط الغربي من النيل . للمزيد انظر: ابن جبير، الرحلة، ص32

([13]) ابن جبير، الرحلة، ص32؛ الجزيري، درر الفرائد، ج2، ص247

([14]) أخميم: وهي إحدى مدن الصعيد مدينة عظيمة أصيلة البنيان عجيبة الشام كان فيها صور الملوك الذين يملكون مصر مبنية بالحجر المرمل وطول كل حجر منها خمسة أذرع في سمك 1راعين وهي سبعة دهاليز سقوفها حجارة طول الحجر فيها ثمانية عشر ذراعًا. للمزيد انظر: ابن خرداذبة، المسالك، ج1، ص665-666؛ البكري، المسالك،ج1، ص133؛ البكري، معجم ما استعجم، ص125؛ القزويني، اثار البلاد، ص139

على الجانب الشرقي للنيل أقدم مدن الصعيد، فيها مسجد ذي النون[1]، وبعض الآثار القبطية وكنائسهم وهياكل عظيمة، وكذلك الأمر في سابقتها فقد تميّزت بتوافر الأسواق فيها والمرافق العامة التي يحتاج إليها الحُجّاج من المساجد والحَمّامات.[2]

يتوجه الحُجّاج إلى منشآة السودان[3] وهي معمورة بالسكان على غربي النيل، وبعد منشأة السودان يصل الحجاج إلى بلينة[4] ذات النخل الكثيف، وهي أيضًا من كُوَر الصعيد غربي النيل[5] ينتقلون منها إلى دشنة[6] الواقعة إلى الغرب من النيل أيضًا التي تحتوي على عدة مرافق يحتاج إليها الحُجّاج[7] ومنها يتّجهون نحو كورة أُخرى من الصعيد وتُدعَى دندرة[8] ذات النخل الكثيف والرطب والهياكل العظيمة الواقعة في الاتجاه الغربيّ من النيل[9] ومنها تصلُ قوافل الحُجّاج إلى قنا[10] على الشاطئ الشرقي القريب من قوص وصولًا إلى قفط[11] من أقدم كُوَر الصعيد شرقي النيل وتُسَمّى أيضًا بقفطريم. وبالوصول إلى هذا المكان تنتهي المرحلة النهرية للحُجّاج، وما يُميّز هذه المرحلة حيث أنّ

([1]) مسجد ذي النون: ذي النون وهو ثوبان بن إبراهيم الزاهد شيخ الديار المصرية ثوبان بن إبراهيم وقيل فيض بن أحمد وقيل فيض بن إبراهيم النوبي الاخميمي يكنى أبا الفيض ويقال أبا الفيض ولد في أواخر أيام المنصور أصله من النوبى، وكان من قرية من قرى صعيد مصر يقال لها اخميم وكان حكيمًا فصيحًا زاهدًا. للمزيد انظر: ابن عساكر، ابو قاسم علي بن الحسن بن هية الله الشافعي (ت: 571هـ /1175م)، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الاماثل واجتاز بنواحيها من واريديها واهلها، تحقيق: محبي الدين العمروي، دار الفكر، بيروت، 1995م، ج17، ص398-401. سيشار اليه لاحقا بـ ابن عساكر، تاريخ دمشق؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج11، ص532-534

([2]) ياقوت الحموي معجم البلدان، ج1، ص12؛ ابن جبير، الرحلة، ص33؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص383؛ المقريزي، المواعظ، ج1، ص665؛ الحميري، الروض المعطار، ص115؛ الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص247

([3]) منشآة السودان: إحدى مدن الصعيد بعد اخميم على الشط الغربي للنيل وهي قرية معمورة ويقال أنها كانت مدينة كبيرة بينها وبين النيل رصيف عال من الحجارة كانت السور يضرب فيه النيل ولا يعلوه عند فيضه وحده فالقرية بسببه في أمن من اتيه. للمزيد انظر: ابن جبير، الرحلة، ص39-40.

([4]) بلينة: وهي إحدى مدن الصعيد ذات نخل كثيف على الشط الغربي من النيل بينها وبين قوص أربعة يرد وفيها عدة حسابك للسكر. للمزيد انظر: ابن جبير، الرحلة، ص39-40؛.المقريزي، المواعظ، ج1، ص569

([5]) ابن جبير، الرحلة، ص36؛ الجزيري، درر الفرائد، ج2، ص248.

([6]) دشنة: تقع على الشط الشرقي للنيل وهي مدينة مسورة فيها جميع مرافق المدن وبينها وبين قوص بريدان. للمزيد انظر: ابن جبير، الرحلة، ص40.

([7]) ابن جبير، الرحلة، ص36؛ الجزيري، درر الفرائد، ج2، ص248

([8]) دندرة: احدى مدن الصعيد كثيرة النخل مستحسنة المنظر مشتهرة بطيب الرطب، بينها وبين قوص برد فيها هيكلًا عظيمًا وهو المعروف عند أهل هذه الجهات بالبربا ويقال أن هيكلها أعظم وأضخم من هيكل اخميم بناها قفطريم بن مصرايم بن نوح عليه السلام. للمزيد انظر: ابن خرداذبة، المسالك، ص247؛ البكري، معجم ما استعجم، ص647،205؛ ابن جبير، الرحلة، ص40؛ القزويني، أخبار البلاد، ص194؛ المقريزي، المواعظ، ج1، ص650.

([9]) ابن جبير، الرحلة، ص36؛.القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص383؛ القلقشندي، المواعظ، ج1، ص565

([10]) قنا: مدينة بصعيد مصر على الشاطئ الشرقي للنيل بينها وبين قوص يوما واحدًا. للمزيد انظر: البكري، معجم ما استعجم، ص647،205؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص399؛ ابن جبير، الرحلة، ص40؛ الحميري، الروض المعطار، ص473.

([11]) قفط: مدينة بشرقي النيل إحدى مدن الصعيد وتعرف بقفطريم بن قبطيم بن مصرايم بن حام بن نوح وكانت بالظهر الأول ميدنة الإقليم وفيها قباب بأعالي دورها وكانت إشارة من ملك من أهلها عشرة آلاف دينار أن يجعل في داره قبة. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، ج4، ص383؛ ابن جبير، الرحلة، ص40؛ المقريزي، المواعظ، ج1، ص646..

طريق الحاجّ في هذه المرحلة تمُرُّ بين الأماكن المعمورة والمأهولة، ويتوفّر فيها كُلُّ ما يحتاج إليه الحُجّاج من التزوُّد بالماء والطعام وغيرها من احتياجاتٍ لعدة أيام، ويُذكَر أنّ هذه المرحلة يقطعها الحُجّاج بثمانية عشر يومًا، وبعدها تبدأ المرحلة البرية.[1]

بعد الانتهاء من الجزء الأول لرحلة الحُجّاج التي قطعوها عبر نهر النيل وُصولًا إلى قوص، تبدأ المرحلة الثانية برًّا على الجِمال[2].

وتبدأ من قوص باتجاه المبرز[3] على الوجه القِبْلي فيها، حيث يتم تنزيل الحُجّاج لأمتعتهم وثم يقومون بتوزين كلّ ما يحتاجون إليه على الجِمال[4]، ويتابعون طريق المسير حتى الوصول إلى موضع يُسمّى ماء حاجر[5] فيتزودون بالماء ويسقون الجِمال، ويَنزل الجَمّالون فيها ليتفقّدوا بيوتهم وأهاليهم[6]، من بعدها يقظون ليلتهم في اللقيطة[7]، يتزودون فيها بالمياه لأنها تُعدُّ من موارد الماء بسبب كثرة الآبار الجوفية فيها فيستقي الحُجّاج منها هم ودوابهم.[8]

يصل الحُجّاج بعد ذلك إلى موضع آخر يسمى بماء العبدين فينزلون للراحة والتزود بالماء، وقد سُمّي هذا الموضع نسبة للقول الشائع أنّ عَبْدَين في طريقهما ماتا عَطَشًا قبل بلوغ هذا الموضع، فسُمّي المكان نسبةً لهما.[9]

يغادر الحُجّاج ماء العبدين ويواصلون مسيرَهم حتى يصلون مورد ماء آخر يسمى دقناش[10] وسط الصحراء تزوره الإبل والدواب باستمرار والناس يأتونه للتزود بالماء وسقي الجمال[11]. ومن بَعدِه

([1]) ابن جبير، الرحلة، ص40،36؛ الجزيري، درر الفرائد، ج2، ص264-248

([2]) ابن جبير، الرحلة، ص41-45؛ حرب، بلاد الحجاز، ص168

([3]) المبرز: موضع فسيح الساحة محدق بالنخيل يجتمع فيه رحال الحاج والتجار وتشد فيه ومنه يستقلون ويرحلون وفيه يوزن ما يحتاج إلى وزنه على الجمالين من العرب لبيوتهم. للمزيد انظر: ابن جبير، الرحلة، ص41.

([4]) ابن جبير، الرحلة، ص37؛ الجزيري، درر الفرائد، ج2، ص249.

([5]) ماء حاجر: موضع ماء في طريق الحاج المصري إلى مكة. للمزيد انظر: ابن جبير، الرحلة، ص41.

([6]) ابن جبير، الرحلة، ص38؛ الجزيري، درر الفرائد، ج2، ص249

([7]) اللقيطة: إحدى محطات الحاج في طريق من مصر إلى مكة وهي صحراء لا عمارة فيها وتعد من مورد ماء في الطريق وتحوي آبار عذبة وسكانها من البدو. للمزيد انر: ابن جبير، الرحلة، ص41.

([8]) ابن جبير، الرحلة، ص38؛ الجزيري، درر الفرائد،ج2، ص249.

([9]) ابن جبير، الرحلة، ص38؛ الجزيري، درر الفرائد،ج2، ص249.

([10]) دقناش: مورد ماء في طريق الحاج المصري يرد إليه الانام والأنعام ما لا يحصيهم إلا الله عز وجل ولا يسافر في هذه الصحراء إلا على الأقل لصبرها على الضما. للمزيد انظر: ابن جبير، الرحلة، ص42.

([11]) ابن جبير، الرحلة، ص38؛ الجزيري، درر الفرائد،ج2، ص249

يتزوّدون بالماء ليوم وليلة من مكان يُعرَفُ بماء شاغب[1]، ثم يواصلون مسيرهم حتى يُدركوا ماء أمتان[2] فيتزوّدون منه بالماء لمدة ثلاثة أيام، وصف الرحالة ابن جبير ذلك الموضع وماؤه بأنها أطيب وأعذب المياه التي يَرِدُها الحاجُّ، تستقي الجِمال أيضًا منه ويرتوي أصحابها[3]، ثُمّ يسيرون حتى يصلوا إلى ماء مجاج[4] ويتزودون بالماء لأربعة أيام، وقبل نهاية المرحلة الثانية البَرّية وعند الوصول إلى عيذاب ينزل الحجاج في موضع ماءٍ على بُعد يومٍ واحدٍ من عيذاب يُدعى بالعشراء[5]، وتستمرُّ هذه المرحلة نحو سبعةَ عشرَ يومًا برًّا.[6]

تبدأ المرحلة البحرية وهي الأخيرة للحُجّاج من عيذاب ويستقلَّ الحُجّاج مراكب الجلاب إلى جدة، ويُعاني الحُجّاج في هذه المرحلة من عدّة أخطار، نذكر منها على سبيل المثال: سوء معاملة البجاة[7] لهم، وأصحاب المراكب الذين ينقلونهم إلى جدة بتحميلهم في أعداد كبيرة في المركب الواحد وتُقَدَّر إقامتهم في عيذاب بثلاثةٍ وعشرين يومًا حيث يواصلون بعدها المسير عبر البحر حتى الوصول إلى أيلة، ومن بعدها يَحُطُّون رِحالَهم في جدة، ينزلون للراحة في الفنادق والنزل والاستراحات، ومن جدة يُتابعون السيرَ حتى وصولهم إلى الحرم الشريف.[8] أما الطريق الثالث فهو الطريق البحري الاطول مسافة من بين الثلاثة طرق ولهذا السبب يعد الاقل مسلكا من قبل الحجاج وليس فقط لطول مسافته بل بسبب المخاطر التي يواجهونها خلاله[9] .

([1]) ماء شاغب: ماء يرده الحجاج يتزود منه بالماء ليوم وليلة. للمزيد انظر: ابن جبير، الرحلة، ص42.

([2]) ماء أمتان: ماء يرده الحاج المصري يتزود منه بالماء لثلاثة أيام. للمزيد انظر: ابن جبير، الرحلة، ص42.

([3]) ابن جبير، الرحلة، ص39؛ الجزيري، درر الفرائد،ج2، ص249.

([4]) ماء مجاج: ماء يرده الحاج المصري يتزود منه لأربعة أيام. للمزيد انظر: ابن جبير، الرحلة، ص44.

([5]) العشراء: وهو موضع على طريق مكة من مصر على بعد يوم واحد من عيذاب وهو رمل ميثاء يتصل بساحل جدة وهي أرض فسيحة على مد النظر. للمزيد انظر: ابن جبير، الرحلة، ص44.

([6]) ابن جبير، الرحلة، ص36-39؛ الجزيري، درر الفرائد،ج2، ص248-249؛ بكر، الملامح الجغرافية، ص159-161.

([7]) البجاة: هم أقوام يسكنون السودان لهم سلطان من أنفسهم يسكن معهم في الجبال المتصلة في السودان، وهم كالأنعام وأضل سبيلا لا دين لهم سوى كلمة التوحيد التي ينطقون بها إظهارًا للإسلام ووراء ذلك من مذاهبهم الفاسدة وسيرهم ما لا يرضي ولا يحل. للمزيد انظر: بن إياس الأزدي، أبي زكريا يزيد بن محمد (ت: 334هـ /945م)، تاريخ الموصل، تحقيق: أحمد عبد الله محمود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م، ج2، ص35. سيشار إليه لاحقا بـ بن إياس الأزدي، تاريخ الموصل؛ المسعودي، مرج الذهب، ج2، ص15؛ ابن جبير، الرحلة، ص48-49؛ النويري، نهاية الأرب، ج10، ص209؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ، ج18، ص288؛ افاق عربية، المجلد 2، الأعداد 9-12، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 1977م، ص158.

([8]) ابن جبير، الرحلة، ص57-58؛ بكر، الملامح الجغرافية، ص159-161.

([9]) عناقره، الحياة الاقتصادية، ص 65.

ومحطاته الرئيسية هي السويس الطور وينبع ثم جده يبدأ مسير الطريق البحري من السويس التي يسيرون منها برا الى ميناء الطور وعبر البحر الاحمر يكملون حتى وصولهم الى ينبع ويكملون الطريق على الساحل حتى بلوغهم رابغ ومنها يحرمون ثم يتوجهون جنوبا لميناء جده وبعد وصولهم ميناء جدة يواصلون المسير برا حتى يكتمل طريقهم في مكة[1].

ثانيًا: طريق الحج الشامي:

(أ)التطور التاريخي للقافلة الشامية:

تُعدُّ مدينة دمشق نقطة الارتكاز في خطّ سير الحجاج الشاميّين؛ وذلك لأنها كانت نقطة التقاء للحجاج الشاميين كافّة ومَن ينضمّون إليهم كذلك من شعوب أواسط قارة آسيا الإسلامية؛ حيث يجتمعون فيها قبل الانطلاق نحو الديار المُقَدَّسة، ويذكر أن تاريخ خطّ سير حُجّاج الشام يمرّ في مرحلتين تَبَعًا للظروف التي المحاطة به:

المرحلة الأولى: تمتدّ من الفتح الإسلامي 12هـ/633م وحتى بداية الاحتلال الصليبي لمعظم البلدان الشامية سنة 490هـ/1096م[2]، حيث كانت بلاد الشام ترتبط بالحجاز عبر طريقين : الأول الطريق داخلي ويبدأ من دمشق حتى بصرى الشام[3] ثم يتجه نحو تبوك[4]، ومن بعدها نحو المدينة المنورة، والطريق الثاني ساحليٌّ ويبدأ من مدينة دمشق ويتجه نحو تيماء[5] وُصولًا إلى خيبر[1]، ثم ينبع

([1]) عناقرة، الحياة الاقتصادية، ص 65.

([2]) بكر، الملامح الجغرافية، ص170-171؛ جلال، مرافق الحج، ص94.

([3]) بصرى الشام: في موضعين، بالضم، والقصر: إحداهما بالشام من أعمال دمشق، وهي قصبة كورة حوران مشهورة عند العرب قديمًا وحديثًا وهي أرض الشام. للمزيد انظر: البكري، المسالك، ج1، ص119؛ البكري، معجم ما استعجم، 253،110-254؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص441؛ الحميري، الروض المعطار، ص109.

([4])تبوك: بالفتح والضم وواو ساكنة وكاف موضع بين وادي القرى والشام وقيل بركة لأبناء سعد من بني عشرة، وقال أبو زيدد تبوك بين الحجر وأول الشام على أربع مراحل من الحجر نحو نصف طريق الشام وهو حصن به عين ونخل وحائط ينسب إلى النبي عليه الصلاة والسلام ويقال أن أصحاب الأيكة كانوا فيها. للمزيد انظر: البكري، المسالك، ص51،97؛ البكري، معجم ما استعجم، ص121، 124؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص14؛ القزويني، أثار البلاد، ص90-91

([5]) تيماء: من أمهات القرى على سبع ليال من المدينة إلى مكة ولها سور على شاطئ بحر طوله فرسخ ويخرج من تيماء إلى الشام عل حوران والبثينة وحسمى وبين تيماء وأول الشام ثلاثة أيام وبتيماء مياه ونخل ومنه تمتاز البادية وبهت جارات قلائل. للمزيد انظر: البكري، المسالك، ج1، ص97؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص67؛ الحميري، الروض المعطار، ص146.

ثم الجحفة وأخيرًا إلى مكة المكرمة. وهذان الطريقان كانا مسلكًا للحُجّاج والقوافل التجارية والتي عُرِفت قديمًا بالإيلاف[2] وورد ذِكرُها في القرآن الكريم: "لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف"[3] وظلّ هذان الطريقان يُعَدّان المسلك الآمن للحُجّاج ولا يُعكِّرُ راحة الحجاج خلالهما إلا اعتداءات الأعراب على القافلة.[4]

المرحلة الثانية: امتدت من بداية الاحتلال الصليبي 490هـ /1096م واستمرت حتى نهاية عام 670هـ/1272م، وقد تزامنت هذه الفترة مع حكم الأيوبيين للديار المصرية والبلدان الشامية[5]، وسيتم الحديث عنها بالتفصيل لاحقًا.

(ب)خط سير القوافل الشامية:

تبدأ رحلة القوافل الشاميّة بالتجمّع أولًا في مدينة دمشق والتي كانت تعد مركزًا إداريًا لحكم للأيوبييّن في بلاد الشام، وقد تعاقب على حُكمِها عِدّة أمراء من البيت الأيوبي، كان من أبرزهم سيف الدين طغتكين[6]، والملك العادل شقيق السلطان صلاح الدين الأيوبي، وابنه الملك المعظم والأمير شمس الدين ابن المقدم، وعز الدين فرخشاه، والملك الصالح نجم الدين أيوب وغيرهم. وكانت مركزًا للعلم

([1]) خيبر: أرض خيبر على ثمانية برد من المدينة وبها حصون كبيرة وأول حد خيبر الدومة وهو واد وسوق خيبر اليوم المرطة وكان عثمان رضي الله عنه مصرها ثم حصن وجده وبه نخل وأشجار ثم سلالم ثم الأهيل وهي التي سماها الرسول عليه الصلاة والسلام قسمة الملائكة. للمزيد انظر: البكري، المسالك، ج1، ص227؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص409-411؛ الحميري، الروض المعطار، ص228

([2]) الإيلاف: في اللغة هو ضد الإيجاش وهو نظير الإيناس، وهي رحلة الشتاء والصيف لقريش المعاهدات التي عقدتها مع القبائل. للمزيد انظر: الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (ت: 341هـ/952م)، مختار الصحاح، مطبع وادي النيل، القاهرة، 1287هـ-1861م، ص341. سيشار إليه لاحقا بـ الرازي، مختار الصحاح؛ السمعاني، أبي مظفر منصور بن محمد المروزي التميمي الحنفي الشافعي (ت: 489هـ/1096م)، تفسير السمعاني، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م، ج4، ص578. سيشار إليه لاحقا بـ السمعاني، تفسير السمعاني؛ القاسمي، ظافر، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، دار النفائس، بيروت، 1990م، ص22. سيشار إليه لاحقا بـ القاسمي، نظام الحكم؛ مجلة البحوث التاريخية، المجلدات 8-9، مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي، 1986م، ص1؛ طيار، عماد حيدر، المعاهدة الدولية شروطها وأحكامها في الشريعة، دار الحافظ، دمشق، 2000م، ص30. سيشار إليه لاحقا بـ طيار، المعاهدة الدولية.

([3]) سورة قريش، الآية (1-4)

([4]) بكر، الملامح الجغرافية، ص169-170؛ جلال، مرافق الحج، ص94-95.

([5]) جلال، مرافق الحج، ص95؛ بكر، ملامح جغرافية، ص171.

([6]) طغتكين: صاحب دمشق الملك ابو منصور طغتكين الأتابك من أمراء السلطان تتش بن ألب ارسلان السلجوقي، فزوجه بأم ولده دقاق فقتل السلطان وتملك بعده ابنه دقاق وصار طغتكين مقدم عسكره، ثم تملك بعد دقاق وكان شجاعًا مهيبًا مجاهدًا في الفرنج، مؤثرًا للعدل يلقب ظهير الدين. قال أبو يعلى بن القلانسي مرض ونحل ومات في صفر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة، فأبكى العيون وأنكأ القلوب وفت الأعضاء وفتت الأكباد وزاد في الأسف . للمزيد انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19، ص519-521؛ ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص108؛ دحلان، خلاصة الكلام، ص84.

وطُلّابه، وانتشرت فيها كذلك الأربطة[1] وفيها تم تأسيس أول مدرسة للحديث فيها. وعلى الصعيد الاقتصادي اشتُهرت دمشق وما حولها بكثرة أراضيها الزراعية وتنوُّع المحاصيل والثمار فيها، أما في مجال الصناعة فقد تميّزت بصناعة السيوف، حيث كان يُضرَبُ المثل بالسيوف الدمشقية، هذا بالإضافة إلى وجود عدة صناعات مثل: صناعة النسيج وصناعة الورق، هذا كلُّه ساعد على جذب الحُجّاج ليسلكوا طريق الحجّ الشامي حتى مكة، حيث كانوا يجدون كلّ ما يحتاجون إليه في مكان التقائهم في دمشق قبل الانطلاق.[2]

(ج)محطات القافلة الشامية:

تبدأ الرحلة بعد تجمُّع الحجاج والالتقاء في مدينة دمشق، ومنها يبدأون مرحلة السير نحو الكسوة[3] وهي أولى منازل الحج الشامي، وتبعد عن دمشق نحو عشرين كيلو مترًا إلى الجنوب، فيقضي الحجاج فيها ليلة أو ليلتين حتى يكتمل وصول أفراد القافلة والتحاق المتأخّرين من الحُجّاج بها[4]، ويواصل الحُجّاج المسير من الكسوة قاطعين مسافة ثلاثين كيلو متر حيث يصِلون إلى قرية من قرى الشام هي الصنمين[5] وتُوصَف بأنها أرض حجرية[6]، وبعدها يُتابعون المسير لثلاثة أيام حتى درعا، وتشتهر هذه المنطقة بعذوبة مائِها[7] ومنها يتّجهون إلى بُصرى التي تستغرق منهم ثلاثة أيام لوصولها

([1]) الأربطة: جمعها ربط والرباط هو دار يسكنها أهل طريق الله، أي بيوت صغيرة للعبادة تبنى خارج المدن، وهي في الاصل اسم حربي للثغر الذي يرابط فيه الجنود لمجاهدة العدو ثم اطلق على الدار التي يرابط فيها المتصوفون لمجاهدة النفس. للمزيد انظر: المقريزي، المواعظ، ج4، ص302؛ عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، القاهرة، دار الفكر العربي، 1968م، ص104. سيشار إليه لاحقا بـ حمزة، الحركة الفكرية؛ زناتي، معجم مصطلحات التاريخ ، ص178؛ الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب، ص205.

([2]) بن فضل العمري، مسالك الأبصار، ج2، ص143؛ الجزيري، درر الفرائد، ج2، ص58

([3]) الكسوه: قرية هي أول منزل تنزله القوافل اذا خرجت من دمشق إلى مصر فيها نهر جار ومرج افيح يقيم بها الحجاج يوما او يومين وسميت بذلك لأن غسان قتلت بها رسل ملك الروم وأخذوا كسوتهم. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص461؛ بن فضل العمري، المسالك، ج2، ص343؛.ابن بطوطة، الرحلة، ج1، ص344؛ الجزيري، درر الفرائد، ج2، ص60.

([4]) بن فضل العمري، المسالك، ج2، ص343؛ ابن بطوطة، رحلة، ج1، ص344؛ الجزيري، درر الفرائد، ج2، ص60؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص461؛ المالكي، سليمان علي، بلاد الحجاز منذ عصر الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد (منتصف القرن الرابع الهجري حتى السابع الهجري) - رسالة دكتوراة، إشراف: محمد صالح، كلية الآداب، القاهرة، 1981م، ص135. سيشار إليه لاحقًا بـ المالكي، بلاد الحجاز.

([5]) الصنمين: قرية من أعمال دمشق في أوائل حوران بينها وبين دمشق مرحلتان. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص431؛ بن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص117.

([6]) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص431؛ بن فضل العمري، المسالك، ج2، ص343؛ ابن بطوطة، رحلة، ج1، ص344؛ المالكي، بلاد الحجاز، ص135.

([7]) المالكي، بلاد الحجاز، ص135.

حيث يُقيمون فيها ثلاثة أيام[1] وبعدَها يُواصلون المسيرَ حتى يُدركوا أراضي الجنوب الشامي وخاصة الجزء الجنوبي من الأردن حاليًا، وأولها أراضي الزرقاء المعروفة بخُصوبة تربتها وكثرة مياهها. وفي الزرقاء[2] يتزوّدون بالماء[3]، ثم ينتقلون إلى زيزياء[4]، وفيها من بِرك الماء الكثير التي خصصت لجِمالهم يقام فيها سوق كبير للحجاج يبتاعون حاجياتهم منه ويُقيمون فيها ليومين أو لثلاثة أيام[5] ثم من بعدها تأتي محطة الكركيقيمون فيها خمسة أيام [6] ثم قلعة الشوبك[7] وتشتهر الكرك بأراضيها الخصبة ومياهها الوفيرة، ويقيمون فيها ثلاثة أيام[8].

تواصل قوافل الحجاج المسير لمدة يومين وتصل إلى الحسا[9] الواقعة بين الكرك ومعان[10]، حيث يُوْدِعون فيها مُؤَنهم ولا يبيتون فيها[11] ثم يتوجهون إلى عنيزه وعلى بعد يومين منها يصلون الى معان ثم يُكملون طريقهم إلى معان فيقيمون فيها يومًا واحدًا حيث يجدون فيها عيون الماء الوفيرة فيتزود منها الحُجّاج بالماء ويسقون ما معهم جِمالهم[12]، ثم يُتابعون خطّ سيرَهم يصلون الى أيلة (العقبة) التي لا يقيمون فيها أبدًا لقربها من البحر، ثم ينتقلون بعدها إلى منطقة ذات حج[13] الواقعة بين الشام ومكة، حيث تُعدُّ محطّةً للحُجّاج بسبب كثرة بِرَك الماء فيها، وفيها نبع ماءٍ يقال إنّ من حفره هو رسول الله –

([1]) المالكي، بلاد الحجاز، ص135.

([2]) الزرقاء: بلفظ تأنيث الأزرق: موضع بالشام بناحية معان، وه نهر عظيم في شعارى ودحال كثيرة، وهي أرض شبيب التبعي الحميري وفيهه سباع كثيرة مذكورة بالضاروة، وهو نهر يصب في الغور. للمزيد اتظر: ياقوت الحموي، المعجم البلدان، ج3، ص137.

([3]) ابن بطوطة، رحلة، ج1، ص345.

([4]) زيزياء: من قرى البلقاء كبيرة يطؤها الحاج ويقام بها لهم سوق وفيها بركة عظيمة، وأصله في اللغة المكان المرتفع. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص163

([5]) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج2، ص343.

([6]) الكرك: بفتح أوله وثانيه وكاف أخرى، كلمة عجمية: اسم لقلعة حصينة جدا في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين أيلة وبحر القلزم وبين المقدس ووهي على سن جبل عال تحيط بها أودية إلا من جهة الربض. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص453

([7]) الشوبك: بالفتح ثم السكون ثم الباء الموحدة المفتوحة، وآخره كاف، إن كان عربيًا فهو مرتجل: قلعة حصينة في أطراف الشام بين معان وأيلة والقلزم قرب الكرك، وهي بالقرب من وادي موسى. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص370.

([8]) ابن بطوطة، رحلة، ج1، ص445؛ المالكي، بلاد الحجاز، ص135.

([9]) الحسا: من منازل الحج الشامي وهو وادي واقع إلى أقصى الجنوب من مؤاب وهو الحد الفاصل ما بين مؤاب وايدوم، ويتوجه الواد نحو غور الصافي وفيه قلعة قديمة. للمزيد انظر:مجلة الدراسات تاريخية، الاعداد 41-44، جامعة دمشق، دمشق، 1992، ص114؛ كيال، منير، محمل الحج الشامي: دراسة ثقافية، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 2006م، ص144. سيشار إليه لاحقا بـ كيال، محمل الحج.

([10]) معان: تأتي بعد قلعة الشوبك، بها عيون ماء يأتي إليها الجالب في وقت دون وقت. للمزيد انظر: الجزيري، درر الفرائد، ج2، ص66؛ كيال، محمل الحج، ص144.

([11]) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج2، ص343؛ المالكي، مرافق الحجاز، ص135.

([12]) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج2، ص343؛ ابن بطوطة، رحلة، ج1، ص347؛ الجزيري، درر الفرائد، ج2، ص61.

([13]) ذات حج: إحدى محطات الحج الشامي بين المدين والشام. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص204؛ بن فضل العمري، مسالك الأبصار، ج2، ص343.

عليه الصلاة والسلام–[1] ويوصف ماؤها بأنه ماءٌ جِفار[2]، ومن بعدها يواصلون المسير حتى يصلون تبوك[3]، وهي واحة تتبع لشمال الحجاز وفيها من عيون الماء الكثير[4]، ومن عادات حُجّاج الشام أنهم إذا دخلوا تبوك أخذوا أسلحتهم وجرّدوا سيوفهم وضربوا النخيل اقتداءًا بالرسول –عليه الصلاة والسلام– وكان ينزلون فيها أيضا للاستجمام[5].

يغادر الحجاج تبوك فيصِلون إلى العُلا وتسمى المفازة الكبرى وفيها بركة المعظم عيسى[6] وهي إحدى قرى الحجاز حيث يجدون فيها البساتين والماء الوفير، وفيها يقيمون نحو أربعة أيام فيتزوّدون فيها بالماء[7]، وبعد ذلك يكملون الطريق إلى هديّة[8] وهي من أهمّ محطّات الحج الشامي، حيث يصلها بعد خمسة أيام من المسير، وماؤها غير صالح للشرب لسوء طعمه فيتجنب الحجاج التزود منها بسبب ذلك[9]، بعدها يصلون إلى عيون حمزة[10] وبها يبدأون الاستعداد لدخول مكة، فيصلون إلى ذي الحليفة[11] ثم يدخلون مكة[12].

([1]) بن فضل العمري، مسالك الأبصار، ج2، ص343.

([2]) بن فضل العمري، مسالك الأبصار، ج2، ص343؛ ابن بطوطة، الرحلة، ج1، ص347.

([3]) تبوك: بالفتح ثم الضم، واو ساكنة، كاف: موضع بين وادي القرى والشام، وقيل بركة لأبناء سعد من بني عذرة، وقال أبو زيد: تبوك بين الحجر وأول الشام على أربع مراحل من الحجر ننحو نصف طريق الشام وهو حصن به عين ونخل وحائط ينسب إلى النبي عليه الصلاة والسلام. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص14؛ البكر، خالد، "ابن رشيد الفهري وأولى الرحلات المغربية المدونة إلى الحجاز"، مجلة الفيصل، العددان 493-494، 2017م-1439هـ، ص112

([4]) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص14-15

([5]) ابن بطوطة، الرحلة، ج1، ص346؛ الجزيري، درر الفرائد، ج2، ص61.

([6]) العلا: بضم أوله، والقصر وهو جمع العليا وهو اسم موضع من ناحية وادى القرى بينهما وبين الشام نزله رسول الله عليه الصلاة والسالم في طريقة إلى تبوك وبنى مكان مصلاه مسجد. للمزيد انظر: البكري، المسالك، ج1، ص97؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص67؛ الحميري، الروض المعطار، ص146.

([7]) ابن بطوطة، رحلة، ج1، ص339.

([8]) هدية: بالتصغير: موضع حوالي اليمامة، ماؤها رديء مملوك مبورق في مسيل واد يحفر به الحفار وعليه منابت السنا. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص396؛ الجزيري، درر الفرائد، ج2، ص64.

([9]) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص356.

([10]) عيون حمزة: مكان تأهب الركب لدخول المدينة وهناك يتمتع الزائر بطيب الملتقى ويبل شوقه، وهي بعد هدية بخمس مراحل يصل إليها الركب بعد مشقة حصرة. للمزيد انظر: الجزيري، درر الفرائد، ج2، ص64-65.

([11]) ذو الحليفة: وهي موضع قريب من المدينة المنورة يُحرِم منه أهل المدينة وأهل الشام، وتُعرَف أيضًا بآبار علي. تبعد 420 كم عن مكة. للمزيد انظر: البكري، معجم ما استعجم، ص1328،1290؛ ابن فضل العمري، المسالك، ج2، ص345؛ الجزيري، درر الفرائد، ج2، ص67؛ الشيخ، نزار محمود قاسم، المواقيت الزمانية والمكانية للحج والعمرة وزيارة المدينة- دراسة فقهية مقارنة، إشراف: أحمد الكردي، المعهد التكنولوجي التطبيقي، الإمارات، د.ت، ص102. سيشار إليه لاحقًا بـ الشيخ، المواقيت الزمانية.

([12]) بن فضل العمري، مسالك البصار، ج2، ص345؛ الجزيري، درر الفرائد، ج2، ص67.

ثالثًا: الأخطار التي تعرّض لها الحُجّاج

تعرّض الحُجّاج في طريقهم إلى الديار المُقَدَّسة أو في أثناء وُجودهم في مكة لِعدّة أخطار، ويمكن تصنيفها على النحو الآتي:

(أ)الأخطار الطبيعية

تلعب العوامل الطبيعية الجغرافية والمناخية دورًا كبيرًا في خلق الصعوبات أمام حركة قوافل الحج في بعض الأحيان مثل: المناخ أو وُعورة الطرق أو قِلّة وانعدام مصادر المياه في الطريق وقِلّة الطعام ومصادره، ومثال على هذه الأخطار ما تعرّض له الحُجّاج سنة 573هـ/1177م، إذْ هلكت أعدادٌ كبيرة من الجِمال ومات عدد كبير من الحُجّاج المُشاة بسبب تعرُّضهم للجوع والعطش أثناء مسيرهم في الطريق[1]، ولنفس السبب قضى عدد كبير من الحُجّاج نحبهم ومات العديد منهم ومن جِمالهم سنة 625هـ/1228م[2]، وفي بعض السنوات أيضًا كان الحُجّاج لا يُكملون طريقَهم إلى مكة بل يعودون إلى ديارهم بسبب قِلّة مصادر المياه، وهو ما حدث في سنة 574هـ/1178م وذلك حين عاد الحجاج أدراجَهم ولم يُؤدّوا فريضة الحج في هذه السنة بسبب قلة مصادر المياه في الطريق حيث انتاب الحجاج العطش ولم تتوفر مصادر المياه لسقي الحُجّاج وجِمال القافلة مما أرغمهم على عودتهم من حيث أتوا[3].

ومن الأخطار الطبيعية أيضًا العواصف والرياح القوية التي كانت تُعيق من حركة الحجاج وجمال القوافل، فعلى سبيل المثال هبّت في سنة 592هـ/1196م رياحٌ قويةٌ وُصفت بالسوداء حملت معها الرِمال التي أضرّت بالحُجّاج حِينها[4]، ومن الرحّالة الذين قدّموا وصفًا دقيقًا لتأثير العواصف

([1]) ابن الجوزي، المنتظم ، ج18، ص574.

([2]) ابن نظيف، ابو الفضائل محمد بن علي بن عبد العزيز الحموي (ت: 630هـ/1233م)، التاريخ المنصوري – تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، تحقيق: ابوالعيد دودو، مطبعة الحجاز، دمشق، 1981م، ص156. سيشار إليه لاحقا بـ ابن النظيف، التاريخ المنصوري

([3]) ابن الجوزي، المنتظم، ج18، ص252.

([4]) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص8؛ ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص139؛ بن فهد، اتحاف الورى، ج2، ص562؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص454؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج4، ص308.

والرياح على حركة القوافل والحجاج الرحالة ابن جبير، حين وصف معاناة مراكب وسفن الحجاج في البحر من أثر الرياح التي كانت تضطرُّهم لوقف تقدُّمهم حتى تهدأ، فوصفها في الموضع الأول:

"وفي يوم الاثنين الخامس والعشرين من ربيع الأول المذكور، وهو الثامن عشر من يولية ركب الجلب للعبور إلى جدة فأقمنا يومًا لذلك المرسى لركود الريح ومغيب النواتي"[1]. وفي موضع ثانٍ جاء وصفه لها:

"هبّت ريح شديدة صرفت المركب عن طريقه راجعًا وراءَها وتمادى عصوف الريح واشتدت حلكة الظلمة وعمت الآفاق، فلم ندرِ الجهة المقصودة منها إلى أن ظهر بعض النجوم فاستُدِلّ بها بعض الاستدلال"[2]، وفي آخر وصف له:

"وحالت الريح في صبيحة يوم الثلاثاء بعده بينها وبين دخول مرساها"[3].

ويضاف إلى هذه الأخطار الطبيعية قِلّة مصادر الطعام أو نفاده حيث ذكر سنة 573هـ/ 1177م أنّ الحجاج قد عانوا في طريقهم للديار المُقَدَّسة من الجوع الشديد لقِلّة الطعام[4]، ومن هذه الأخطار يذكر الباحث ايضًا انتشار الأوبئة والأمراض في المناطق التي يمُر الحجاج من خِلالها؛ فذكرت بعض المصادر انتشار الأمراض والأوبئة في منطقة قوص وأعمالها وكثرة الموت في الإسكندرية وهذا قد حدث في سنة 583هـ/1187م[5]، وللشُعَب المرجانية خلال المرحلة البحرية دور كبير في احداث المتاعب لقوافل الحجاج؛ حيث كانت مراكبهم تعاني من إعاقة الشعب المرجانية لحركة سيرها في البحر الأمر الذي دفعهم لاستخدام دهن القرش وزيت الخروع لتيسير حركتها، كما جاء على لسان الرحالة ابن جبير:

([1]) ابن جبير، الرحلة، ص39.
([2]) ابن جبير، الرحلة، ص50.
([3]) ابن جبير، الرحلة، ص51.
([4]) ابن الجوزي، المنتظم، ج18، ص135.
([5]) المقريزي، السلوك، ج1، ص245.

"فإذا فرغوا من إنشاء الجلبة على هذه الصفة سقوها بالسمن أو بدهن الخروع أو بدهن القرش وهو أحسنها، وهذا القرش حوت عظيم في البحر يبتلع الغَرقى فيه. ومقصدهم في دهان الجلبة ليلين عُودها ويُرَطِّب لكثرة الشِعاب المُعترِضة في هذا البحر"[1].

(ب)الفتن والحروب في مكة

واجه الحجاج خلال رحلتهم إلى مكّة الكثير من الحروب التي كانت تحدث بين أمراء مكة، وكذلك اشتعال نار الفتن بين أمراء قوافل الحجاج، منها ما حصل في سنة 571هـ/1175م وذلك عندما اشتعلت الفتنة بين أمير الحجّ العِراقي طاشتكين وأمير مكة مكثر بن عيسى؛ نتيجة إقدام طاشتكين على عزل مكثر عن إمارة مكة وإقامة أخيه داود مكانه، الأمر الذي ترتب عليه حدوث قتال بين الطرفين على إثرها تعرض الحجاج في هذه السنة لعمليات السلب والنهب[2].

ومن الفتن التي حصلت بين أمراء القوافل نذكر أحداث الفتنة التي كانت في سنة 583هـ/ 1187م بين أمير الحج العراقي وأمير الحج الشامي وتعود هذه الفتنة بين الأميرين إلى أنّ ابن المقدم[3] أمير الحجاج الشاميين قد وصل بحجاج الشام إلى عرفات[4] وأدَّوا المناسك الواجب منها والسنة وقبل مغادرتهم في ليلة تجهُّزهم للرَحيل، ثم أمر ابن المُقَدَّم أصحابَه بضرب كؤوساته كإشارة منه لحُجّاجه بالرحيل، فأغضب هذا الأمر أميرَ الحجّ العراقي طاشتكين حيث أرسل إليه يُؤَنِّبه ويُبَلِّغه بعدم الخروج من عرفات قبله وأن يُوقف ضرب الكؤوسات. إلا ان ابن المُقَدَّم بدَوره لم يُعِرْ للأمر أهمية، وأرسل له يُخاطِبه بأنّ كُلًّا منّا له حرية التصرُّف، فأنتَ أمير العراقيين وأنا أمير الشاميّين، وكُلّ منا يفعل ما يراه مناسبًا، ثم أكمل مسيره بالحجاج لمُغادرة عرفات وعندما علم طاشتكين بأمر مسيره وعدم التزامه بما أمره به سار هو

([1]) ابن جبير، الرحلة، ص47.

([2]) ابن الجوزي، المنتظم، ج18، ص224؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص77؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج41، ص7؛ بن فضل العمري، مسالك الأبصار، ج27، ص61؛ المقريزي، السلوك، ج1، ص294.

([3]) ابن المقدم: الأمير الكبير شمس الدين محمد بن عبد الملك كان بطل شجاع سلم سنجار إلى نور الدين تملك بعلبك. للمزيد انظر: ابن عمادالحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص454.

([4]) عرفات: موضع في مكة مشعر من مشاعر الحرام. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص104.

الأخر وأصحابه وجنوده وبعض حُجّاج العراق وهاجموا الحُجّاج الشاميّين وقتلوا أعدادًا كبيرةً منهم ثم نهبوا مُمتَلكاتِهم وسبَوا نِساءَهُم، أُصيب في هذا القتال ابنُ المُقَدَّم بعِدّة جراحٍ تفاقمت فيما بعد وأدّت إلى وفاته في مِنى فدُفِن في مقبرة المُعلاة[1].

ومن الاعتداءات التي تعرَّض لها الحُجّاج في أثناء تواجدهم في مكة ما حصل في سنة 587هـ/1191م من قبل أمير مكة داود بن عيسى بن فليتة الذي اعتدى على أموال الكعبة، ونزع طوقًا من الفضة كان يُزيّن الحجر الأسود وهاجم الحُجّاج وأخذ منهم أموالهم[2].

ومن الفتن التي حصلت في مكة أيضًا ما حدث سنة 618هـ/1221م، حيث توفي هذه السنة أمير مكة قتادة بن إدريس[3]، وعلى إثر وفاته نشبت الخلافات بين ابنه الحسن[4] وراجح[5] حيث كانا يتنازعان على إمرة مكة، فبَعد وفاة والدهما تولّى الحسن إمرة مكة وكان أخوه راجح يقيم في ظاهر مكة مع الأعراب وينازع أخاه في إمرته لمكة، وفي سنة 617هـ/1220م كان أمير الحج العراقي أقباش[6] قد قدم بحُجّاج العراق إلى مكة لأداء الفريضة، وفي طريقه اعترضه الأمير راجح وعرض عليه وعلى الخليفة الناصر لدين الله[7] المال الكثير من اجل مساعدته في استعادة إمرة مكة من يد أخيه الحسن فأجابا مطلبه، وسار مع أقباش وعساكره لقتال أخيه الحسن فخرج وأتباعه لمُلاقاته وقتاله أيضًا وصعد

([1]) الأصفهاني، عماد الدين ابو حامد محمد الأصفهاني (ت:597هـ/1200م)، البستان الجامع لجميع تواريخ اهل الزمان، تحقيق: محمد عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، 2002م، ص431. سيشار اليه لاحقا بـ الأصفهاني، البستان الجامع؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص163؛ ابو شامة، الروضتين، ج3، ص275؛ ابي الفداء، المختصر، ج3، ص73-74؛ ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص105؛ الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص361؛ ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص454؛

([2]) ابن كثير، البداية والنهاية، ص1950؛ دحلان، خلاصة الكلام، ص87

([3]) قتادة بن إدريس: هو قتادة بن ادريس ابن المطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن الحسين الحسني، حكم مكة من 598 إلى 617 هـ، وبقيت في يدة لمدة تقارب العشرين سنة. للمزيد انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص 426-427؛ ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج7، ص135؛ السخاوي، شمس الدين (ت: 902هـ/1496م)، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، أسعد الطربزوني =الحسيني، د.م، 1980م، ج3، ص413. سيشار إليه لاحقا ب السخاوي، التحفة اللطيفة؛ الصباغ، محمد ن أحمد بن سالم (ت: 1321هـ/ 1903م)، تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، 2004م، ج2، ص741. سيشار إليه لاحقا بـ الصباغ، تحصيل المرام

([4]) الحسن بن قتادة: هو الحسن بن قتادة بن اردیس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن الحسين الحسني، تولى حكم مكة من سنة 617 إلى 630 هـ، وكان يلقب بشهاب الدين. للمزيد انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج12، ص129؛ الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ج3، ص379. سيشار إليه لاحقا بـ الفاسي، العقد الثمين.

([5]) راجح بن قتادة: هو راجح قتادة بن اردیس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن الحسين الحسني، حكم مكة بعد وفاة اخيه الحسن من سنة 630 الى 639 هـ. للمزيد انظر: الصفدي،صلاح الدين خليل بن أيبك (ت: 764هـ/1362م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000م، ج14، ص42. سيشار إليه لاحقا بـ الصفدي، الوافي بالوفيات؛ الفاسي، العقد الثمين، ج6، ص78-79

([6]) أقباش: وهو الأمير أقباش بن عبد الله مملوك الإمام الناصر توفي سنة 617هـ. للمزيد انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج9، ص178.

([7]) الخليفة الناصر لدين الله: احمد ابو العباس ابن المستضيء بأمر الله حكم 575 إلى 622هـ. للمزيد انظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص686

أمير الحاج أقباش جبلًا مُتذلّلًا لئلّا يتعرّض له أحد، فأحاط به أتباع الحسن وقتلوه وانهزم راجح ومَن معه مِن أتباع الحسن الذي كانوا قد خطّطوا للتعرّض للحُجّاج ونهبهم وقتلهم جرّاء ما حدث، وأرادوا أن يمنعوهم من إكمال أداء مناسك الحج وكاد أن يحصل ذلك لولا تدخُّل الأمير الحسن بن قتادة حيث إرسل عمامته لأتباعه كإشارة منه بإعطاء الحُجّاج الأمان، وعاد الحجاج فعلًا وأكملوا مناسكهم وأقاموا في مكة وعادوا إلى ديارهم آمنين[1].

يظهر على ما يبدو مما سبق أن اندلاع الفتن واستمرارها لعدة سنوات أدى إلى خوف الحجاج الشديد من مغبة هذه الفتن مما اثر سلبا عل حركة الحجيج نحو الديار المقدسة حيث انقطع الحجاج الشاميّين والمصريّين عن تأدية فريضة الحجّ؛ خوفًا ممّا يترتّب على تلك الفتن من أذًى للحُجّاج قتلًا ونهبًا وسلبًا.

(ج) هجمات الأعراب وقطع الطريق

تعرّض الحُجّاج في طريقهم نحو بلاد الحجاز لأداء مناسك الحج وفي أثناء نزولهم في مكة إلى خطر الأعراب وقُطّاع الطرق الذين كانوا يستهدفون الحُجّاج لقطع طريقهم ونهبهم، ومن الهجَمات التي تعرّض لها الحُجّاج ما حصل في سنة 620هـ/1123م للحُجّاج الشاميين، وذلك حين خرجوا إلى الديار المقدسة وكان أمير الحجّ حين ذاك شرف يعقوب بن محمد[2] موصلي الأصل حيث أقام في الشام وتولّى الحج بالناس، وقد تعرّض بعض الأعراب للحُجّاج خلال مسيرهم إلى مكة وخرجوا عليهم يريدون قطع طريقهم؛ فتدخّل أمير الحج ومنعهم عن مقصدهم ثم ساومهم بالمال والثياب ليرُدّ خطرهم عن الحُجّاج[3]. ومن الشواهد التاريخية أيضًا ما حصل للحُجّاج في سنة 638هـ/1240م، إذ أنّ عرب

([1]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص426-427؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج21، ص30؛ ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص186-187؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج9، ص296؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج2، ص374-375؛ بن فهد، اتحاف الورى، ج3، ص27-31.

([2]) شرف يعقوب بن محمد: وهو شرف الدين الأمير الكبير يعقبوب بن محمد بن الحسن الهدباني الأربلي. للمزيد انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23، ص231؛ ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج7، ص403.

([3]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص138.

تيماء[1] وخيبر[2] خرجوا على الحجاج الشاميين وقطعوا عليم طريقهم ونهبو منهم أموالهم[3] وحدث في سنة 571هـ/1175م أن الحُجّاج لم يُتِمّوا مناسكهم لأنّ جماعة من الأعراب خرجوا عليهم في أثناء تأديتهم المناسك وقتلوا جماعة منهم في المشاعر، ونتيجة الخوف منهم خرج الحُجّاج من عرفات ولم يبيتوا في المزدلفة[4] ولم يرموا الجمرات أيضًا[5].

(د)التحديات التي يواجهها الحجاج:

لم تتوقَّف الأخطار التي واجهها الحُجّاج في أثناء رحلتهم للديار المُقَدَّسة على ما ذكر سابقًا من اخطار فقد عانَت قوافلهم من الأخطار الجسيمة التي تمثّلت بغلاء الأسعار في أسواق مكة، فعلى سبيل المثال اشتكى الحُجّاج في سنة 573هـ/1177م من شِدّة الغَلاء الذي وجدوه[6]، ومنها أيضًا ضعف التربة وقِلّة الأمطار والذي ترتّب عليه قِلّة أو انعدام العشب كطعام جِمالهم ودَوابّهم كما حصل في سنة 574هـ/1178م حين عانت القوافل من قِلّة الطعام للدوابّ والجِمال والذي نتج عن ذلك موت الكثير منها وذلك لانعدام توافر الأعشاب والمراعي أثناء طريقهم[7]، إضافة إلى هذا فقد تعرّض الحُجّاج لسوء ورداءة صنع المراكب والسفن التي يستخدمونها لعبور البحر كما جاء على لسان ابن جبير في رحلته[8]، وإضافة إلى سوء صنعها كانوا أيضًا يكابدون سوء معاملة أصحابها للحُجّاج؛ فكانوا يحملون بالجلاب أعدادًا تفوق طاقتها الاستيعابية، فجاء في وصف هذه المعاناة:

([1]) تيماء: من أمهات القرى على سبع ليال من المدينة المكرمة ولها سور على شاطئ بحر طوله فرسخ ويخج من تيماء إلى الشام على حوران والبثينة وحسمى وبين تيماء وأول الشام ثلاثة أيام وبتيماء مياه ونخل ومنه تمتاز البادية وبهت جارات قلائل. للمزيد انظر: البكري، المسالك، ج1، ص97؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص67؛ الحميري، الروض المعطار، ص146.

([2]) خيبر: أرض خيبر على ثمانية برد من المدينة وبها حصون كبيرة وأول حد خيبر الدومة وه واد وسوق خيبر اليوم المرطة وكان عثمان رضي الله عنه مصرها ثم حصن وجده وبه نخل وأشجار يم سلالم ثم الأهيل وهي التي سماها الرسول عليه الصلاة والسلام قسمة الملائكة. للمزيد انظر: البكري، المسالك، ج1، ص227؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص409-411؛الحميري، الروض المعطار، ص228.

([3]) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج46، ص41.

([4]) المزدلفة: بالضمن ثم السكون ولام مكسورة، مشعر من مشاعر الجرام في مكة ويعود سبب تسميتها بالمزدلفة لازدلاف الناس في منة بعد الإقامة. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص221-222.

([5]) ابن جبير، الرحلة، ص150؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج40، ص7؛ بن فهد، اتحاف الورى، ج2، ص549-555.

([6]) ابن الجوزي، المنتظم، ج18، ص235.

([7]) ابن الجوزي، المنتظم، ج158، ص258.

([8]) ابن جبير، الرحلة، ص42-46.

"أقفاص الدجاج"[1] هذا بالإضافة للضرائب والمكوس التي كانت مفروضة على الحُجّاج ومُلزمين بدفعها ليكملوا عبورهم إلى مكة، والتي أُبطِلت على زمن صلاح الدين الأيوبي بأمرٍ منه مقابل تعويض أمير مكة عِوَضًا عنها[2] لكنها أُعيدت وفُرضت من جديد بعد وفاته. وفي بعض السنوات كان ينقطع الحج نتيجة هذه الأخطار أو غيرها كما حصل في سنوات 625هـ/1228م[3] و 627هـ/1230م[4]، ويتضح ممّا سبق أنّ رحلة الحُجّاج ومسيرهم عبر الطريق الذي يسلُكونه، سواء أكان ابتداءً من مصر أو من الشام وُصولًا إلى مكة، كان ينتابها الكثير من الأخطار التي انعكست على الحُجّاج أولًا وذلك بسبب تعرُّضهم وما يملكون إلى السلب والنهب من جهة وكثرة اندلاع الفتن وتزايد هجمات القبائل العربية على القوافل من جهة أخرى، كما أدّت أيضًا إلى انقطاع الشاميّين والمصريّين المُؤَقَّت عن الحجّ.

رابعًا: أثر العدوان الصليبي على طريق الحج المصري

(أ)أثر الصليبيين على طريق الحج المصري

خصعت معظم البلدان الشامية تحت سيطرة الصليبيين منذ عام 492هـ/1099م أي في فترة زمنية قبل وصول الأيوبيين إلى حكم الديار المصرية والبلاد الشامية فلم يكن الوجود الصليبي في الشرق لم يكن وليد العصر الأيوبي بل كان سابقًا له، وحاملًا في طياته الكثير من الآثار السلبية التي اضرت ببلاد الشرق الإسلامي، ما يهمنا هنا التأثير الذي أحدثه الصليبيون على قوافل الحج وردة فعل الأيوبيين تجاه ذلك، إذ كان تعرضهم للحجاج يرتكز على طرقهم او داخل الحرم المكي، وأولى الهجمات التي

([1]) ابن جبير، الرحلة، ص42-46.

([2]) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج21، ص311؛ النويري، نهاية الأرب، ج28، ص240؛ الفاسي، العقد الثمين، ج1، ص342؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج2، ص168؛ ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص94؛

([3]) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص145؛ بن فهد، اتحاف الورى، ج3، ص44.

([4]) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص158؛ بن فهد، اتحاف الورى، ج3، ص46.

قاموا بها كان ما حدث سنة 578هـ/1182م حيث خطط أرناط[1] في هذا العام للهجوم على البحر الأحمر واخضاع طريق الحجاج البحري لسيطرة الصليبيين، وكذلك ضرب المسلمين في مقدساتهم ثم الهجوم على الكعبة، ولتنفيذ هذه الخطه قام بحمل الأخشاب مفككة واوصلها الى ميناء أيلة، حيث بنى اسطولًا بحريًا تكون من خمس سفن كبيرة بالإضافة إلى عدد من السفن الصغيرة، والتي ساهمت في نقل جنوده والذي بلغ عددهم حوالي ألف فارس.[2]

واصل ارناط بعد ان جهز السفن والجنود مسيره الى البحر الاحمر للسيطرة على مدن مكة والمدينة، ولكنه فشل في مسعاه ثم تراجع الصليبيين؛ وكان السبب وراء ذلك عدم قدرتهم على تحمل درجات الحرارة العالية وقلة المياه في الطريق، هذا بالإضافة إلى أن نائب السلطان صلاح الدين الأيوبي في دمشق عز الدين فرخشاه[3] قد سارع عند علمه بتحركات الصليبيين في التوجه للكرك ونهبها وحاصرها، مما جعل أرناط يتراجع هو الاخر للدفاع عن امارة الكرك، ورغم فشل هذا الهجوم الا ان ارناط نهب وسرق القافلة المتجه من دمشق الى مكة.[4]

الاعتداء الثاني للصليبين فقد كان في نفس العام، حيث قصد أرناط خليج أيلة وحمل اليه الاخشاب مفككة وأعد سفنه وشحنها بالجنود والرجال هناك، وقسمهم إلى قسمين منهم انضم إلى جانبه لمهاجمة أيله، والقسم الاخر وجهه نحو غزو الموانئ في البحر الأحمر، حيث هاجموا ميناء عيذاب

([1]) أرناط: هو صاحب الكرك، عرف في يالمصادر العربية باسم ارناط، والمصادر الأوروبية عرف باسم ريفالد شاتون، وصف بانه شديد العداوة للمسلمين. للمزيد انظر: ابن فضل العمري، مسالك الأبصار، ج27، ص67؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج6، ص117.

([2]) الأصفهاني، البستان الجامع، ص416-417؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص117-118؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص140؛ الدواداري، كنز الدرر، ج7، ص71-72؛ بن فضل العمري، مسالك الأبصار، ج27، ص67-68؛ باقاسي، بلاد الحجاز، ص47؛ سالم، سحر السيد عبد العزيز، دراسات في تاريخ مصر في العصرين الايوبي والمملوكي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2009م، ص102. سياشر اليه لاحقا بـ سالم، تاريخ مصر.

([3]) عز الدين فرخشاه: هو الملك المنصور عز الدين فرخشاه صاحب بعلبك ابن اخ السلطان صلاح الدين الأيوبي، وقد استخلفه السلطان صلاح الدين الأيوبي الشام بعد توجهه إلى مصر، توفي سنة ثمان وسبعين وخمسمائة. للمزيد انظر: ابو شامة، الروضتين، ج3، ص83؛ ابن واصل، مفرج الكروب، 2، ص86؛ ابو الفداء، المختصر، ج3، ص62؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص427.

([4]) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج21، ص277؛ ابو شامة، الروضتين، ج3، ص66؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص101-102؛ الذهبي، شمس ، تاريخ الاسلام، ج40، ص44؛ المقريزي، السلوك، ج1، ص187؛ باقاسي، بلاد الحجاز، ص48.

ونهبوا جميع السفن المتواجدة فيه، واحرقوا الطعام على السواحل، وواصلوا اعتدائهم حتى وصلوا ساحل الحجاز، واعتدوا على السفن الراسية في موانئ حوراء[1] وينبع[2].

حيث ارشدهم بعض الخونة لطريق يرشدهم الى داخل البلاد، وكان الهدف من وراء ذلك هو نبش قبر الرسول عليه الصلاة والسلام واخذ جثمانه الى بلادهم.[3]

الأمر الذي جعل السلطان صلاح الدين الايوبي عندما علم بنوايا أرناط يبادر إلى دعوة نائبه، وأخيه العادل سيف الدين[4] ويأمرهم بتجهيز اسطولا تحت قيادة حسام الدين لؤلؤ[5]، وبالفعل حمل السفن مفككه من السويس وجهزها ونزل بها في البحر الاحمر. وقسم رجاله إلى مجموعتين المجموعه الاولى هاجمت مراكب الصليبيين في أيلة وأسرت الجنود الذين كانوا فيها، والمجموعة الثانيه تتبعت الصليبيين حتى عيذاب وأطلقت سراح من اسروا من المسلمين وطاردوا بقايا الجنود الفارين بين الجبال، وكان عددهم نحو ثلاثمائة جندي وتم القبض عليهم، وكانوا على بعد يوم واحد من قبر الرسول عليه الصلاة والسلام، وحتى يكونوا عبرة لغيرهم اخذ حسام الدين لؤلؤ اثنين منهم وقتلهما في منى، وسار بالباقيين الى مصر حيث أمر صلاح الدين الايوبي بأن يقتلوا في شوارع الاسكندريه؛ ليكونوا عبرة لكل من يحاول بالاعتداء على مقدسات المسلمين،[6] فيما كان الاعتداء الثالث عام 583هـ/1187م وذلك عندما خطط ارناط لمهاجمة الحجاج في الطريق، ومنع العسكر المصري من الوصول لصلاح الدين

([1]) حوراء: موضع على ساحل الحجاز قرب ينبع احد موانئ المدينة المنورة، وتتميز بآبارها العذبة ونخيله، أهلها من عرب جهينة وبلى. للمزيد انظر: الأصفهاني، البستان الجامع، ص417؛ الحُميري، الروض المعطار ، ج2، ص205.

([2]) ينبع: تقع على الشاطئ الشرقي للبحر الاحمر، تبعد عن المدينة المنورة مسافة 225 كم، ليس بها مياه عذبه ومياهها مالحه. للمزيد انظر: صبري باشا، مرآة جزيرة العرب، ص152.

([3]) الأصفهاني، البستان الجامع، ص 416-417؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص117-118؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج21، ص285؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص140؛ الدواداري، كنز الدرر، ج7، ص71-72؛ بن فضل العمري، مسالك الأبصار، ج27، ص70-71؛ الباقاسي، بلاد الحجاز، ص48-53.

([4]) العادل سيف الدين: سيف الدين محمد بن ابي الشكر أيوب بن شاذي، الملك العادل، ابو بكر كان أصغر من اخيه صلاح الدين بعامين نشأ في خدمة الملك نور الدين، اتصف بالدهاء والشجاعة، حكم مصر مدة من الزمن ثم حلب والكرك وحران للمزيد انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص74-75؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22، ص115-116.

([5]) حسام الدين لؤلؤ: هو قائد اسطول صلاح الدين الذي انزل بقوات ارناط صاحب امارة الكرك الصليبية هزيمة نكراء في موقعة حوران سنة 578هـ. للمزيد انظر: المغلوث، أطلس الحج والعمرة، ص92.

([6]) الأصفهاني، البستان الجامع، ص416-417؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص117-118؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج21، ص285؛ الدواداري، كنز الدرر، ج7، ص71-72؛ ابن فضل العمري، مسالك الأبصار، ج7، ص70-71؛ باقاسي، بلاد الحجاز، ص48-53؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة (569-661هـ/1174-1263م)، دار النفائس، بيروت، 2008م، ص137. سيشار اليه لاحقًا بـ طقوش، تاريخ الأيوبيين.

الايوبي، حيث سار اليه صلاح الدين الايوبي عندما علم بهذه الاخبار وعند وصول خبر مسير صلاح الدين لارناط تراجع عن خطته، فوصل الحجاج سالمين وأكملت سرايا الايوبيين طريقها في مهاجمة الكرك، والشوبك، وإحراقهما دون ادنى مقاومه من ارناط.[1] ثم واصل صلاح الدين جهوده لحماية الحجاج والطرق التي من الصليبيين، فوصل الى قلعة كوكب وجعل عليها حراس ليأمنوا مرور الحجاج، وحمايتهم من اي اعتداء ولضمان عدم قطع طريقهم والتعرض لهم[2]، وفي نفس العام كتب صلاح الدين الايوبي لكل البلاد بالتجهز للجهاد ضد الصليبيين، فخطط ارناط في هذه الاثناء لمهاجمة الحجاج الشاميين في طريقهم، ومنع العساكر المصريين من الوصول إلى السلطان صلاح الدين الايوبي، والانضمام إلى جيشه، فعلم صلاح الدين الايوبي بذلك وسار الى بصرى لإفشال ما كان يخطط له ارناط، وكذلك لأجل حماية الحجاج، وضمان وصولهم لمكه امنيين، فخاف أرناط من خروج صلاح الدين الايوبي حيث تراجع عن مخططه، وعاد إلى لحصنه وعند وصول عساكر السلطان صلاح الدين إلى الكرك، والشوبك هاجموهما واحرقوا الحصن وما فيه دون اي ردة فعل من ارناط.[3]

عاد ارناط لنقض الهدنه مع صلاح الدين الايوبي تلك الهدنة التي عقدت بينهما على اثر مهاجمة السلطان صلاح الدين الايوبي سنة 583هـ/1187م لحصن الكرك، والذي هو مقر ارناط، فما كان منه إلا ان طلب الامان والصلح من صلاح الدين الايوبي، فهاجم ارناط واعتدى على القافلة التي كانت متجهة من الشام لمصر، وقطع طريقها، واخذ اموالهم، وسلاحهم، وأسرهم، فأرسل له السطان

([1]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص143؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص157.

([2]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص143؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص157.

([3]) الأصفهاني، الفتح القسي- حروب صلاح الدين الأيوبي وفتح بيت المقدس 597هـ- 1201م، دار المنار، القاهرة 2004م، ص45-49. سيشار إليه لاحقا بـ الأصفهاني، الفتح القسي؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص143؛ ابن شداد، ابو المحاسن بهاء الدين (ت: 632هـ/ 1234م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية او سيرة صلاح الدين الأيوبي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1964م، ص110. سيشار إليه لاحقا بـ ابن شداد، المحاسن اليوسفية؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج21، ص316؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص157؛ النويري، نهاية الأرب، ج28، ص261؛ الدوادارى، كنز الدرر، ج7، ص84-87؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج3، ص323؛ العيني، بدر الدين محمد (ت: 855هـ/1451م)، العقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2009م، ج2، ص58. سيشار إليه لاحقا بـ العيني، العقد الجمان.

صلاح الدين الايوبي يؤنبه ويتوعد له، وأمره بإطلاق سراح الأسرى وإرجاع اموالهم لهم لكن ارناط لم يستمع لذلك فنذر السلطان صلاح الدين الايوبي إلا ان يقتله اذا عثر به[1].

(ب)أثر الصليبيين على طريق الحج الشامي

كان لسيطرت الصليبيين على الكرك دورًا كبيرا في تعريض قافلة الحجاج الشاميين الى المخاطر من جهة الصليبيين، والذي يعد من احد اهم معاقلهم في الشرق ومحل الصراع فيما بينهم وبين الأيوبيين، فموقعه على طريق الحج الشامي في الجنوب الأردني الحالي كان يهدد امن القوافل الشاميه المارة في طريقها إلى مكة، مما جعل السلطان صلاح الدين الايوبي يسعى مرارا وتكرارًا لتخليصه من ايدي الصليبيين، ونجح في نهاية الأمر ولكن بعد عدة، كانت المحاولة الاولى في سنة 579هـ/1183م وذلك عندما حاصر الكرك وهاجمها بالمنجنيقات وشدد عليها الحصار ولكن مناعتها حالت دون نجاح الحصار فتراجع السلطان صلاح الدين وعاد إلى دمشق[2]، ثم عاود السلطان صلاح الدين الأيوبي الهجوم عليها في سنة 580هـ/1184م إذ جهز جيشا واختار لمرافقته ابن أخيه تقي الدين[3] وعساكر مصر، والملك العادل نور الدين بن قزا ارسلان[4] صاحب امد ثم واصل السلطان تقدمه وإلى جانبه العساكر المصرية، والشامية، والجزرية، وقاتلوا الصليبيين وهاجموا الكرك وللمرة الثانيه لم يتمكنوا بالسيطرة عليها. فعاد السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى دمشق وانتظر حتى مجيء سنة 584هـ/1188م إذ نجح من الاستيلاء على الكرك والظفر بها، وتخليصها من الصليبيين وترتب على فتحها تأمين امن طريق القافلة الشامية من اعتداءاتهم.[5]

([1]) الأصفهاني، الفتح القسي، ص45-49؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص143؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص125،110؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج21، ص316-317؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص157؛ النويري، نهاية الأرب، ج28، ص261؛ الدواداري، كنز الدرر، ج7، ص84-87؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج3، ص323؛ العيني، العقد الجمان، ج3، ص58.

([2]) ابن شداد، النوادر السلطانية ، مؤسسة هنداوي للتعليم الثقافي، مصر، 2012م، ص110؛ طقوش، تاريخ الأيوبيين، ص138-139.

([3]) تقي الدين بن عمر: هو المظفر الأول تقي الدين بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن اخ السلطان صلاح الدين الأيوبي وصاحب حماة، توفية سنة 587هـ. للمزيد انظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج21، ص202-204؛ الدمشقي، الدارس، ج2، ص113.

([4]) نور الدين بن قزا ارسلان: هو نور الدين بن محمد بن قزا ارسلان بن داود صاحب حصن كيفا، وغيره من ديار بكر. تزوج بنت قلج ارسلان ثم احب مغنية فتزوجها، واعرض عن ابنة قلج ارسلان، وتركها نسيا منسيا، فبلغ اخاها الخبر فعزم على نور الدين واخذ بلاده. للمزيد انظر: ابن الاثير، الكامل، ج10، ص101.

([5]) ابن شداد، المحاسن اليوسفية، ص124،113؛ ابو شامة، الروضتين، ج4، ص27؛ المقريزي، السلوك، ص197،207.

خامسًا: رعاية البيت الأيوبي لقوافل الحج

أشارت بعض المصادر التاريخيّة إلى أن سلاطين الدولة الأيوبيّة الذين حكموا في مصر والشام خلال الفترة ما بين عامي 569هـ/1173م و 648هـ/1250م لم يُؤدُّوا فريضة الحج ومن هذه المصادر كتاب الذهب المسبوك لمؤلفه المقريزي؛ ويُرجع الباحث السبب وراء ذلك إلى انشغالهم في البداية بتثبيت حكمهم ثم التوسُّع في إدخال أراضٍ وممتلكات تعود للفاطميين وأخرى للعباسيين في بلاد الشام والحجاز ومصر، والسبب الثاني هو يتعلق بوجود الصليبيّين ومن ثم انشغالهم بالجهاد ضدهم ومنع تغلغلهم ومحاولة القضاء عليهم وفيما يلي يستعرض الباحث دور بعض الحكام الأيوبيين في دعهم لقوافل الحجيج ورعايتها انطلاقا من حرصهم الدائم على تزويدها بكافة احتياجاتها وكذلك تأمينها عبر المراحل التي تجتازها في طريقها وصولا إلى مكة.

(أ) صلاح الدين الأيوبي:

كان للسلطان صلاح الدين الأيوبي المجهود الواضح في خدمة الحُجّاج وقوافلهم على الرغم من أنه لم يقم بتأدية فريضة الحج طيلة حياته، ولكنه أبدى اهتمامًا وقدّم الدعم الكبير والمتواصل لقوافل الحُجّاج، إذ نَجِدُه قد عزم على تأدية الحجّ مرّتين إلّا أنّها لم تُكتَب له؛ فالمرّة الأُوْلى كانت في سنة 576هـ/1180م ولكن خوفه من الخطر الصليبيّ الذي بات يهدد أمن مصر جعله يتراجع عن ذلك[1]، والمرة الثانية كانت في سنة 588هـ/1192م، حيث عزم على الحج وكتب إلى أخيه صاحب اليمن سيف الإسلام يُعلمه[2] بنِيَّته على الذهاب لتأدية مناسك الحج، وأمر بأن يتم النداء في الناس بأن طرق الحج باتت آمنة، ولكن خوفه ثانية من غدر الصليبيين واسترجاعهم أراضيهم بعدما حرَّرها من أيديهم لاسيما سقوط عكا بين أيديهم سنة 587هـ/1191م جعله يتراجع للمرة الثانية عن الذهاب

(1) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص177؛ ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص48؛ الكعبي، قوافل الحج والحجيج، ص57
(2) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص177؛ الكعبي، قوافل الحج والحجيج، ص58.

للحج[1]، حيث جاء على لسانه مُوضحًا سبب وراء ذلك: "أخافُ أن أُصالح وما أدري أي شي يكون منّي فيقوى هذا العدو، وقد بقيت هذه البلاد فيخرجون لاسترداد بقية بلادهم ونرى كلّ واحد من هؤلاء قد قعد في رأس قلعته يعني حِصنه وقال: "لا أنزل فيهلك المسلمون"[2]، وقد كان دعمه للقوافل أيضًا يتجلّى بعِدّة صور منها إصدار الأوامر بإلغاء ضرائب المكوس التي كانت مفروضة على الحُجّاج في مواني جدة وعيذاب، والتي قُدِّرت بسبعة دنانير ونصف حيث كانت ثقيلة على كاهل حُجّاج بيت الله، إذ أمر في سنة 572هـ/1176م بإبطالها ثمعوَّض أمير مكة عنها بإقطاعات في الديار المصرية وفي اليمن ومنحه أيضا ألفي دينار وألف إردب[3] من القمح[4]. وأمر كذلك في نفس السنة بإصلاح كل البِرك والآبار الموجودة في طريق مكة[5]، وقد عمل أيضًا على توفير الأمن للحُجّاج في هذا الطريق، وأرسل الأُعطيات والأموال ليجري توزعيها على الفقراء من الحُجّاج بالإضافة إلى سكان مكة والمجاورين لها[6]. ومن إحسانه للحُجّاج خروج السلطان صلاح الدين الأيوبي بنفسه لتأمين طريقهم في سنة 583هـ/1187م حث جاءته الأخبار في هذه السنة بأن أرناط صاحب الكرك في نهيته التعرُّض للحجاج الشاميين وقطع طريقهم؛ فسار السلطان صلاح الدين بنفسه ومعه العساكر إلى بُصرَى ليمنع أرناط من تنفيذ مخططه بالتعرُّض للحجاج، فلمّا سمع أرناط بهذا تراجع عن ذلك ووصل الحُجّاجُ آمنين[7]. ويذكر الباحث أيضًا من دعم السلطان للحجاج خروجه في سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م لاستقبالهم بنفسه في دمشق حيث خرج في الخامس عشر من صفر من نفس السنة واستقبلهم بعد عودتهم، وقد كان في نفسه ألم ودمعت عيناه عند لقائه بهم. وكان يأمر كذلك بأن

([1]) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص177

([2]) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص177

([3]) إردب: مقداره خمسة وثلاثين قيراطًا وتساوي مائتين وعشرين درهم. للمزيد انظر: الجزيري، درر الفرائد، ج2، ص17.

([4]) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج21، ص311؛ النويري، نهاية الارب، ج228، ص240؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج2، ص368؛ الفاسي، العقد الثمين، ج1، ص342؛ ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص640.

([5]) المالكي، مرافق الحج، ص159؛ باقاسي، بلاد الحجاز، ص124

([6]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص370؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج1، ص431؛ بن فهد، اتحاف الورى، ج2، ص533.

([7]) الأصفهاني، الفتح القسي، ص45-49؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص143؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص120؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج21، ص316-317؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص157؛ النويري، نهاية الآرب، ج28، ص261؛ الدواداري، كنز الدرر، ص84-87؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج3، ص323؛ العيني، العقد الجمان، ج2، ص58.

تُنَظَّف وتُزَيَّن الطرق التي يسلكها حُجّاج بيت الله أثناء عودتهم، حتى امتلأت الشوارع بالمياه في الشوارع وأصبحت كأنها أنهار.[1]

(ب) الملك المُعَظَّم عيسى:

الملك المُعَظَّم ابن السلطان العادل ابن نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان، صاحب اقطاعات دمشق والكرك والشوبك، ولد في القاهرة سنة 567هـ/1171م ونشأ في دمشق، اشتهر في حفظه للقرآن وكان بارعا في المذاهب ومشجعا للعلم والعلماء تُوفّي في دمشق سنة 620هـ/1223مـ.[2]

حجّ الملك المُعَظَّم عيسى سنة 611هـ/1214م وقد شاركه بالخروج إلى الحجّ عز الدين أيبك[3] صاحب صرخد[4]، وكذلك عماد الدين بن موسك[5]، والظهير بن سنقر الحلبي، وكان خروجهم من الكرك على الهجن قاصدين مكة. ويُذكر أنّه قام بالكثير من الأعمال في طريقه للديار المقدسة حيث أمر بتجديّد وأصلاح البِرك والمصانع[6] على طول الطريق، كما وأحسن إلى الفقراء وأعطى المال الكثير لمن جاور الحرم المكي من الفقراء في مكة وعند وصوله إليها استقبله صاحب المدينة وبالغ في حسن استقباله وضيافته للمُعَظَّم عيسى. أنهى الملك المُعَظَّم عيسى مناسكه في الثالث عشر من ذي الحجة من نفس السنة، وبعد انتهائِه من أداء الفريضة أقام في مدينة رسول الله –عليه الصلاة والسلام– يومين، ومن ثم غادرها متوجهاإلى دمشق وقد رافقه في العودة صاحب المدينة.[7]

([1]) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص224-225؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص357؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص22؛ ابو شامة، الروضتين، ج4، ص211.

([2]) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22، ص121-122؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج3، ص516-517ا؛ لفاسي، العقد الثمين، ج1، ص119؛ ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج7، ص201-202.

([3]) عز الدين أيبك: عز الدين أيبك صاحب صرخد ، رجل ديني ورع ، عرف عنه الانشغال بقراءة القرآن الكريم وكان له في ككل يوم وليلة ختمة ، توفي سنة 646 هـ في القاهرة دفن خارج بابا النصر. للمزيد انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص496؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج3، ص496؛ الخرنداري، الأمير شهاب الدين قرطاي العزي، تاريخ مجموع النوادر مما جرى للأوائل والأواخر، تحقيق: هورست هاين، محمد الحجيري، كلاوس شڤارتس للنشر، برلين، 2005م، ص61. سيشار إليه لاحقا بـ الخرنداري، تاريخ مجموع النوادر.

([4]) صرخد: بلد ملاصق لحوران من أعمال دمشق. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص401.

([5]) عماد الدين بن موسك: هو عماد الدين بن موسك بن حسكو كان من خيار الامراء الاجواد واصطفى أمواله كلها ، كان ذا فتوة ومروءة أغاث الملهوف وأعان المكروب، وسجنه الناصر داود ظلما عنده في الكرك وأطلق سراحه ومات سنة أربع وأربعين وستمائة ودفن عند قبر جعفر والشهداء بمؤتة. للمزيد انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص174؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج13، ص 314.

([6]) المصانع: وهي أحواض ماء يجمع فيها ماء المطر. للمزيد انظر: الخطيب، معم المصطلحات، ص398.

([7]) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص134؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج44، ص7؛ الذهبي، العبر، ج33، ص194؛ الفاسي، العقد الثمين، ج1، ص119؛ المقريزي، السلوك، ج1، ص299-300؛ ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص187؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ص1983.

(ج) ربيعة خاتون:

ربيعة خاتون بنت أيوب بن شاذي شقيقة السلطان صلاح الدين الأيوبي والعادل، تزوجت من سعد الدين مسعود بن معين الدين[1] وبعد وفاته زوّجها صلاح الدين الأيوبي من صاحب إربل[2] مظفر الدين كوكبري[3]، فأقامت في إربل أربعين عامًا ثم عادت إلى دمشق وبقيت فيها حتى وفاتها سنة 643هـ/1245م وكان عمرها يتجاوز الثمانين عامًا[4].

حجّت ربيعة خاتون سنة 608هـ/1211م في القافلة الشامية، وكان يرافقها في حجها الشجاع علي بن سلار وأمير الحج الشامي كان حينذاك الصمصام إسماعيل أخ سياروج النجمي، وفي أثناء تأديتهم للمناسك، تحديدًا في يوم النحر، حصلت الفتنة بين أمير مكة وحُجّاج العراق؛ وذلك لأنّ باطنيًّا قد أقدم على قتل أحد رجال أمير مكة قتادة ظنًّا منه أنه الأمير قتادة نفسه، فثار قتادة ورجاله وأعيان مكة وهاجموا الحُجّاج ونهبوهم وقتلوا جماعة منهم، وكانت ربيعة خاتون مع الحُجّاج الشاميين عندما جاءها أبو ياقوت أمير الحج العراقي واستجار بها لتُنقذ الحُجّاج العراقيين من بطش قتادة ورجاله، فاستجابت لمطلبه فعلًا، وبعثت ابن سلار لأمير مكة يحمل كتابا جاء فيه ما يأتي:

"ما ذنب الناس؟ قد قتلت القاتل وجعلت ذلك وسيلة لنهب المسلمين واستحللت الدماء في الشهر الحرام في الحرم وقد عرفت من نحن، والله لئِن لم تنتهِ لأفعلنّ ولأفعلنّ"[5]، فكفّ الأمير قتادة عن حُجّاج العراق وطلب مئة ألف دينار في المقابل جُمع منها ثلاثون ألفًا من الحُجّاج العراقيين، بينما أكملت ربيعة خاتون ما تبقّى فأجارت الحُجّاج وأقاموا حول خيمتها ثلاثة أيام حتى أذن لهم بالعودة إلى مكة ومن ثم

([1]) سعد الدين مسعود بن معين الدين: زوج ربيعة خاتون بنت أيوب صاحب قصر معين الدين الذي بالغور وتوفي سنة إحدى وثمانين وخمسمائة. للمزيد انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص535؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج17، ص286.

([2]) إربل: قلعة حصينة ومدين كبيرة في فضاء من الارض واسع بسيط ولقلعتها خندق عميق وهي في طرف من المدينة وسور المدينة ينقطع في نصفها تعد من أعمال الموصل. للمزيد انظر: البستاني، بطرس، دائرة المعارف، مطبعة المعارف، بيروت، 1877م، ج2، ص771. سيشار إليه لاحقا بـ البستاني، دائرة المعارفة

([3]) مظفر الدين كوكبري : الملك المعظم مظفر الدين كوكبري ابن زين الدين علي كجك صاحب اربل. للمزيد انظر: المقريزي، المقفى الكبير، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991م،ج1، ص499. سيشار إليه لاحقا بـ المقريزي، المقفى

([4]) الذهبي، العبر،ج 3، ص245؛ ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج7، ص197

([5]) الفاسي، العقد الثمين، ج5، ص468؛الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص136.

إكمال مناسكهم ثم العودة إلى بغداد،[1] ان المتتبع لما قامت به ربيعة خاتون من شجاعة بالغة تفوق إلى حد ما شجاعة الرجال من خلال مهاجمتها الشرسة لأمير مكة وردعه عما قام به من أفعال قبيحة تجاه الحجاج العراقيين ثم المساهمة بدفع ما ترتب عليه من أموال مقابل منحهم الأمان، يجد حرص حكام الأيوبيين رجالا ونساءا على الاعتناء بحجاج بيت الله الحرام وتوفير الأمن والحماية لهم.

([1]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص356-357؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص136؛ أبو شامة، الروضتين، ج3، ص158؛ الذهبي، العبر ج3، ص148؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج43، ص35؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج4، ص13؛ الفاسي، العقد الثمين، ج5، ص468؛ ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب ، ج7، ص59.

الفصل الثالث: أثر وانعكاسات قوافل الحج الشامي والمصري على الاوضاع العامة في مكة في العصر الايوبي

أولًا: أمراء مكة زمن الأيوبيين.

ثانيًا: العلاقات بين أمراء مكة والسلاطين الأيوبيين.

ثالثًا: الصراع بين آل رسول والأيوبيين على مكة.

رابعًا: أوضاع مكة أيام الأيوبيين.

أ) الحياة الاجتماعية في مكة خلال العصر الأيوبي.

أولًا: طبقات المجتمع

ثانيًا: بعض العادات والتقاليد في مكة.

ثالثًا: البدع

رابعًا: الاحتفالات

ب) الحياة الدينية والتعدد المذهبي في مكة خلال العصر الأيوبي.

ج) الحياة العلمية في مكة خلال العصر الأيوبي

د) الحياة الاقتصادية في مكة خلال العصر الأيوبي

أولا: الأسواق

ثانيًا: المعاملات المالية

ثالثًا: الموارد المالية لمكة.

أ) الأعطيات والهدايا.

ب) الجزية

ج) الأوقاف.

رابعًا: الأزمات الاقتصادية التي مرت بها مكة.

الفصل الثالث: أثر وانعكاسات قوافل الحج الشامي والمصري على الاوضاع العامة في مكة في العصر الايوبي

كان لموسم الحج انعكاسًا واضحًا على مكة والأوضاع العامة فيها، وموسم الحج لم يكن موسمًا دينيًا فحسب بل تعدى ذلك لكونه موسم ازدهار ثقافي واقتصادي، وأحدث تغييرًا في طبيعة وتركيبة المجتمع المكي والمنشآت الدينية والمدنية في مكة، حيث أصبحت هذه المنشآت تخدم الحجاج أثناء اقامتهم في مكة اضافة الى خدمتهم لأهلي البلد الحرام.

أولًا: أمراء مكة أيام الأيوبيين

يعود أصول أمراء مكة الذين حكموها زمن الايوبيين إلى اسرتين الاولى تتمثل ببني فليته[1] وهم من الهواشم[2] الذين كانوا اول من خطب للخلفاء العباسيين في مكة، وقد استمرت إمرة مكة في يد الهواشم حتى سنة 591هـ/1195م وأخر امرائها من هذه الاسرة كان يدعى مكثر بن عيسى بن فليتة ومن بعدهم انتقل الحكم في مكة إلى بنو قتادة[3] وهم من الحسنيون[4] وضلت إمرتها في إيديهم يتداولونها حتى مجيء ال رسول بعد سيطرتهم عليها خلال الفترة الممتدة من (569هـ/1173م إلى 648هـ/1250م) وقد حكمت مكة من قبل عدة امراء نذكرهم بالترتيب الزمني لكل منهم:-

عيسى بن فليته (557هـ/1162م إلى 570هـ/1174م)[5]ويليه داوود بن عيسى بن فليته (570هـ/1174م إلى 571هـ/1175م)[6] وجاء من بعده مكثر بن عيسى بن فليته (571هـ/1175م إلى 572هـ/1176م.[7]

([1]) بنو فليته: وهم حكام مكة يرجع نسبهم إلى محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن أبي هاشم بن محمد بن الحسين ابن محمد بن موسى بن عبدد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن علي أبي طالب المكي، أبو هشام أمير مكة ويشكلون الطبقة الثالثة من طبقات أمراء مكة، يعودون بالأصل إلى فليته بن قاسم ملك الحجاز، كانت مدة إمارتهم 137 سنة. للمزيد انظر: الفاسي، العقد الثمين، ج2، ص134؛ الصباغ، تحصيل المرام، ج2، ص738؛ صبري باشا، مرآة جزيرة العرب، ص76.

([2]) الهواشم: وهم الطبقة الثالثة من حكام مكة ينتمي إليها بنو فليته حكمو 137 سنة وهم بطن من بطون قريش من العدنانية بنو هاشم بنو عبد مناف وكانت لهم الرفادة والسقاية في مكة. للمزيد انظر: القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: ابراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1980م، ص437. سيشار إليه لاحقا بـ القلقشندي، نهاية الأرب؛ صبري باشا، مرآة جزيرة العرب، ص76.

([3]) بنو قتادة: يرجع نسبهم إلى قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن الحسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن موسى بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. للمزيد انظر: الصباغ، تحصيل المرام، ج2، ص741؛ صبري باشا، مرآة جزيرة العرب، ص87.

([4]) الحسنيون: وهم أشراف مكة والحجاز بطن من بطون العلويين من بني هاشم من العدنانية وهم بو الحسن السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه. للمزيد انظر: القلقشندي، نهاية الأرب، ص127-128.

([5]) الفاسي، العقد الثمين، ج6، ص437؛ السخاوي، التحفة اللطيفة، ج3، ص387.

([6]) الذهبي، العبر، ج3، ص98؛ الفاسي، العقد الثمين، ج4، ص67-68؛ ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص487؛ دحلان، خلاصة الكلام، ص75

([7]) الفاسي، العقد الثمين، ج6، ص121؛ دحلان، خلاصة الكلام، ص76

ثم داوود بن عيسى بن فليته (فترة حكمه الثانية)[1] ومن بعده مكثر بن عيسى بن فليته (فترة حكمه الثانية)[2] يليه قتادة بن ادريس (598هـ/1201م إلى 617هـ/1220م)[3] وجاء من بعده ابنه الحسن بن قتادة (617هـ/1220م و 630هـ/1232م)[4] ثم جاء أخاه راجح بن قتادة (630هـ/1232م إلى 639هـ/1241م)[5]

ثانيًا: العلاقات بين أمراء مكة وحكام الدولة الأيوبية وتدخل السلاطين الأيوبين بالشأن الداخلي لمكة

اتجهت انظار الخلفاء المسلمين من خلفاء وسلاطين نحو فرض السيادة على مدينة مكة بشكل خاص والحجاز بشكل عام وذلك يعود لكونها المركز الديني الأول للمسلمين وإليها يتوافد حجاج بيت الله الحرام، فالمُسيطِر عليها يُكسب خلافتَه شرعيةً سياسية ودينية، هذا بالإضافة إلى موقعها الاستراتيجي على البحر الأحمر أضف إلى ذلك مكانتها الاقتصادية بسبب مرور طرق التجارة فيها، فامتلاك المدينة وغيرها من بلاد الحجاز والتي تمنح من يضمُّها إلى ملكه السيطرة على تجارة البحر الأحمر، لذا نجد أن السلطان صلاح الدين الأيوبي قد سعى بدوره نحو مدّ نفوذ الأيوبيين لتوسيع منطقة نفوذه بضمه الحجاز.

خضعت مكة في بداية العصر الأيوبي تحت حكم بني هاشم وأميرها عيسى بن فليتة، وأخذ السلطان صلاح الدين الأيوبي خلال فترة حكمه يتطلّع لبسط سيادته على أراضيها، وقد تمّ له ذلك دون قتال وبرضا أميرها الذي أقرّ بتبعيّته للخلافة العباسية والأيوبيين من بعدهم، فأقام الخُطَب في مكة للخليفة العباسي أولا ثم للسلطان الأيوبي من بعده[6]، وقد كانت السيطرة والتبعية في بدايتها اسمية فقط؛ لأنّ السلطان صلاح الدين الأيوبي لم يتدخَّلْ في الشؤون الداخلية لمكة وأمرائِها، بل وأبقى عليهم إذ

(1) الذهبي، العبر، ج3، ص98؛ الفاسي، العقد الثمين، ج4، ص67-68؛ ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص487
(2) الفاسي، العقد الثمين، ج6، ص121
(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص426-427؛ السخاوي، التحفة اللطيفة، ج3، ص413؛ ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج7، ص 135؛ الصباغ، تحصيل المرام، ج2، ص741؛ دحلان، خلاصة الكلام، ص78
(4) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج12، ص129؛ الفاسي، القعد الثمين، ج3، ص379؛ دحلان، خلاصة الكلام، ص82
(5) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج14، ص42؛ الفاسي، العقد الثمين، ج6، ص78-79؛ دحلان، خلاصة الكلام، ص82
(6) دحلان، خلاصة الكلام، ص77.

تربطهم بهم علاقات طيبة يسودها الودّ وبعد وفاة عيسى بن فليتة سنة 570هـ/1174م[1] وتسلم ابنه داود الحكم من بعده الذي حكم نحو السنة تم إقصاؤه وتعيين أخيه مكثر بدلا منه وسار على نهج والده تجاه الأيوبيين وأبقى كذلك على العلاقات الطيبة معهم، وأبقى على الخطبة في عهده للخليفة العباسي والسلطان الأيوبي[2]، واستمرّت العلاقات الودية بين أمراء مكة والسلاطين الأيوبيين حتى عام 571هـ/1175م حيث أمر الخليفة العباسي أمير الحج العراقي طاشتكين بعزل مكثر عن إمارة مكة بسبب إظهاره التمرُّد على الخلافة العباسية، وبالفعل قاتل طاشتكين مكثرًا وعزله وأقام مكانه أخاه داود وأخذ منه العهود والمواثيق بالتبعية للعباسيين والأيوبيين وإسقاط المكوس عن الحُجّاج لقاء تعويضه بالحال من قبل السلطان صلاح الدين الأيوبي ، وظلّت مكة على هذا الحال تتأرجح ولايتها بين الأخوين ولم تستقرّ على أحد منهما[3].

حدث التدخل الثاني للأيوبيين في إمارة مكة سنة 582هـ/1186م وذلك عندما دخل طغتكين بجيشه مكة على إثر تمرُّد بعض العبيد فيها وإساءتهم للحُجّاج، وعند دخوله أثار الرعب في نفوس أهالي مكة وأميرها[4]، وقبل مغادرته أصدر عدّة أوامر تتعلق بالشأن الداخلي لمكة:

(1) إبطال الأذان بـ «حي على خير العمل» داخل مكة[5].

(2) القضاء على مجموعة من العبيد اللذين أفسدوا الأحوال في مكة[6].

(3) الأمر بصكّ النقود باسم السلطان صلاح الدين الأيوبي[7].

([1]) الفاسي، العقد الثمين، ج6، ص437؛ السخاوي، التحفة اللطيفة، ج3، ص387

([2]) الفاسي، العقد الثمين، ج1، ص342؛ بن فهد، اتحاف الورى، ج2، ص551؛ الصباغ، شفاء الغرام، ج2، ص369؛ باقاسي، بلاد الحجاز، ص62؛ دحلان، خلاصة الكلام، ص77

([3]) ابن الجوزي، المنتظم، ج18، ص224؛ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص77؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج41، ص7؛ ابن فضل العمري، مسالك الأبصار، ج27، ص61؛ الفاسي، العقد الثمين، ج1، ص341؛ المقريزي، السلوك، ج1، ص294؛ بن فهد، اتحاف الورى، ج2، ص536-538؛ الفاسي، العقد الثمين، ج1، ص341.

([4]) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج21، ص311؛ الفاسي، القعد الثمين، ج1، ص341-342؛ ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص94؛ بن عبد القادر الطبري، الأرج المسكي، ص340؛ الصباغ، شفاء الغرام، ج2، ص367.

([5]) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج21، ص311؛ الفاسي، العقد الثمين، ج1، ص341-342؛ ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص94؛ بن فهد، اتحاف الورى، ج2، ص553؛

([6]) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج21، ص311؛ الفاسي، العقد الثمين، ج1، ص341-342؛ بن فهد، اتحاف الورى، ج2، ص553.

([7]) الفاسي، العقد الثمين، ج1، ص141-142؛بن فهد، اتحاف الورى، ج2، ص553؛ بن عبد القادر الطبري، الأرج المسكي، ص340.

(4) إبطال المُكوس المفروضة من أمير مكة على الحُجّاج، وذلك بعدما عوّض صلاح الدين الأيوبي أمير مكة بالإقطاعيات في مصر واليمن بدلًا منها[1].

إن تدخُّل الأيوبيّين لم يتوقَّفْ عند هذا الحد، ففي سنة 587هـ/1191م وعلى عهد أميرها داود، بلغ السلطان صلاحَ الدين الأيوبي أنّ أميرها حينذاك قد أساء معاملة الحُجّاج واعتدى عليهم، الأمر الذي أغضب السلطان وأرسل طاشتكين إلى مكة وأمره بعزل داود وتعيين أخيه مكثر بلد منه، وبقيت مكة تحت إمرته مدة زمنية تقارب العشر سنين، ومكثر كان آخر حُكّام مكة من بني هاشم الذين تولّوا إمرتها فترة من الزمن والتي قُدِّرت بمئة وثلاثٍ وثلاثين سنة[2].

آلت إمرة مكة إلى بني قتادة بعد انتهاء حكم الهواشم لمكة سنة 597هـ/1200م، وتمكَّن الأمير قتادة من أخذ الإمارة من مكثر في هذه السنة عن دون حدوث أي اصدام عسكري بين الطرفين، وأمّا عن علاقته بالأيوبيين فكان يسير على نهج مَن سبقه من أمراء بني هاشم حيث جمعته بالأيوبيين علاقة المحبة والود، وفي المقابل لم يتدخَّل السلاطين الأيوبيّون في شؤون مكة الداخلية ولا بحكمها، إذ استمر أمراؤها الهواشم بالتبعيّة للعباسيين ومن بعدهم للسلاطين الأيوبيين، وبقيت هذه العلاقة الوُدّية قائمة بين الطرفين حتى سنة 611هـ/1214م وذلك عندما عزم الملك المُعَظَّم عيسى على أداء الحجّ وبعد وصوله أساء الأمير قتادة استقباله وقلَّل من شأنه، فعندما سأله المُعَظَّمُ عيسى عن مكان إقامته، أشار له قتادة بإصبعه وكان يقصد بذلك البِطاح[3]، فأثار جوابه غضب المُعَظَّم عيسى ولكنه لم يُظهر

([1]) الفاسي، العقد الثمين، ج1، ص342؛ الصباغ، شفاء الغرام، ج2، ص368.

([2]) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج21، ص389؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج41، ص518؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ص1950؛ بن فهد، اتحاف الورى، ج2، ص559.

([3]) البطاح: وهي الأبطح بالفتح والسكون وفتح والطاء والحاء المهملة، وكل مسيل فيه ذقاق الحصى فهو أبطح، والأبطح يضاف إلى مكة وإلى منى لأن المسافة بينهما واحدة وربما إلى منى أقرب وهو خيف بني كنانة، وذكر أنه سمي بالأبطح لأن آدم عليه السلام بطح فيه. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص74

له ذلك، وبعد انتهائه من مناسك الحج وعودته إلى الشام أرسل المُعَظَّم العساكر من الشام لقتال الأمير قتادة إلى جانب الأمير سالم صاحب المدينة.[1]

ثالثًا: الصراع بين آل رسول والأيوبيين في مكة وأثره على الحجاج

ظلّت مكة تتبع الدولة العباسية ومن بعدها الدولة الأيوبية لفترة طويلة على الرغم من نشوء حركات الفتن والتمرد بين الحين والآخر كما حدث سنة 618هـ/1222م من خلاف حصل بين أبناء الأمير قتادة بعد وفاته؛ فقد تنازع الحسن وأخيه راجح على إمارة مكة الأمر الذي دفع راجح بن قتادة على الاستنجاد بالملك المسعود بن الكامل الأيوبي المُلَقَّب بـ «إقسيس»[2] حاكم اليمن، وبالفعل استجاب الملك المسعود لذلك. وفي ربيع الأول من سنة 619هـ/1222م وقد تم في ربيع الأول قدوم الملك المسعود على رأس جيشه لقتال الأمير الحسن بن قتادة الذي كان قد أعلن التمرد والخروج على طاعة السلاطين الأيوبيين، وقد نشب بينهم القتال في المشاعر الحرام بين الصفا والمروة، والذي بدوره أثر على أمن الحجاج وأدائهم لمناسكهم في هذه السنة، وعلى إثر هذا القتال خرج الحسن بن قتادة مكة بعد هزيمته أمام الجيش الأيوبي[3].

عاث عساكر الملك المسعود فسادًا في مكة؛ حيث نهبوا أهلها وسفكوا دماءَهم ولم تتوقَّف الأعمال التخريبية عند هذا الحدّ، بل تجاوزت بذلك بالتعدّي على حرمة بيت الله؛ ومن جهته كان الملك المسعود قد قتل الكثير من حمام الحرم وأظهر تمرُّدًا على الخلافة العباسية وذلك من خلال منعه من أن تتقدم أعلامُ الخليفة العباسي على أعلامَ السلطان الملك الكامل الأيوبي، وكانت له من الهيبة ما

(1) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص134؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج44، ص7؛ الذهبي، العبر، ج3، ص194؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ص1983؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج4، ص46-47؛ المقريزي، السلوك، ج1، ص299-300؛ ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص187؛ بن فهد، اتحاف الورى، ج3، ص21؛ الصباغ، شفاء الغرام، ج2، ص373؛ باقاسي، بلاد الحجاز، ص59.

(2) الملك المسعود: وهو صاحب اليمن اقسيس ابن السلطان الكامل محمد بن ابي بكر بن أيوب افتتح اليمن حارب إمام الزيدية تملك مكة قمع الزيدية والخوارج توفي في جمادى الأرخى سنة 626هـ. للمزيد انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22، ص331-332؛ ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج7، ص210-211؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص82؛ المقريزي، الذهب المسبوك، ص106.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص435؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص261؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص 121 - 125؛ الفاسي، العقد الثمين، ج1، ص329؛ بن فهد، اتحاف الورى، ج3، ص34.

منعت السرقة وقُطّاع الطرق في مكة خوفًا منه، حيث عمّ الامن في طرقات ونواحي مكة وأحيائها وضمن أمن الحجاج في قدومهم وعودتهم، وصُكَّت النقودُ المسعوديّة المنسوبة إليه في مكة، ثم ولي عليها نور الدين علي بن عمر بن رسول قبل مغادرته مكة[1]. اما الحسن بن قتادة لم يكُنْ راضيًا عن تولّي نور الدين علي بن عمر إمارة مكة، الأمر الذي دفعه للخروج عليه وقاتله في الحديبية[2] وقد هزم الحسن في هذا القتال، واما على اثر هذا القتال من مكة ووصل إلى العراق وتُوفِّي فيها سنة 622هـ/1225م.[3]

عاد نور الدين عمر بن رسول[4] إلى اليمن بعد استدعاه من قبل الملك المسعود الذي عيّن مكانه الأمير صارم الدين ياقوت المسعودي[5] المتلقَّب بلقب أمير الحج والحرمين ومُتولّي الحرب بمكة ومدير الجند، وبقيت إمارة مكة تحت سيطرته حتى عام 626هـ/1229م، وهي السنة التي تُوفِّي فيها الملك المسعودي الأيوبي[6]، حينذاك ظهرت مخاوف الملك الكامل من تغوُّل سلطة آل رسول في مكة، فأرسل الأمير طغتكين وعيَّنه أميرًا على مكة وأخرج منها آل رسول، وخطب على منابرها للسلطان الأيوبي الملك الكامل، فكان يخطب له بـ "صاحب مكة وعبيدها واليمن وزبيدها ومصر وصعيدها والشام

(1) ابن الأثير، الكامل، ج10، ص435؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص261؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص121-125؛ الفاسي، العقد الثمين، ج1، ص329؛ بن فهد، إتحاف الورى، ج3، ص34؛ بن عبد القادر الطبري، الآرج المسكي، ص118.

(2) الحديبية: قرية متوسطة عند مسجد الشجر التي بايع الرسول عليه الصلاة والسالم تحتها وسميت بالحديبية لوجود شجرة حدباء، وبين الحديبية وبين مكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص229.

(3) بن فهد، اتحاف الورى، ج3، ص40-41؛ محمد، العلاقات بين مصر والحجاز، ص192

(4) عمر بن رسول: وهو نور الدين عمر بن رسول بن هارون ابي الفتح الغساني التركماني الملقب بالمنصور مؤسس الدولة الرسولية في اليمن، وأحد الدهاة الأجواد الشجعان، ولد في مصر حج سنة تسع وخمسين وستمائة يعد أول من كسا الكعبة بعد مقتل الخليفة المستعصم. للمزيد انظر: ابو شامة، الروضتين، ج4، ص124؛ الخزرجي، علي بن الحسن ابن وهاس ابو الحسن موفق الدين الخزرجي (ت: 812هـ/1409م)، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تصحيح: محمد بسيوني عسل، مطبعة الهلال مصر، 1911م، ج1، ص28-34. سيشار إليه لاحقا بـ الخزرجي، العقود اللؤلؤية؛ الفاسي، العقد الثمين، ج4، ص79؛ المقريزي، الذهب المسبوك، ص116؛ بن فهد، اتحاف الورى، ج3، ص34-35. .

(5) صارم الدين ياقوت المسعودي: هو صارم الدين قايماز المسعودي عرف بحسام الدين وهو ياقوت بن عبد الله الامير حسام الدين المسعودي، لقب بأمير الحج الحرمين تولى مكة سنة 625هـ. للمزيد انظر: الفاسي، العقد الثمين، ج1، ص212؛ الفاسي، الزهور المتقطفة من تاريخ مكة المشرف، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 2001م، ص126. سيشار إليه لاحقا بـ الفاسي، الزهور المتقطفة؛ الصباغ، شفاء الغرام، ج2، ص238.

(6) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص301-302؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص259؛ الدواداري، كنز الدرر، ص297؛ الفاسي، العقد الثمين، ج1، ص329.

وصناديدها والجزيرة ووليدها، سلطان القبلتين ورب العلامتين وخادم الحرمين، أبو المعالي محمد الملك الكامل ناصر الدين خليل أمير المؤمنين".[1]

لم يتدخلَّ نور الدين عمر بن رسول عن طموحه بضمّ مكة تحت ولايته، إذ عاد في نفس السنة وجهّز جيشًا دخل فيه مكة، وقد انضم إليه راجح بن قتادة لاسترجاع إمارتها من يد طغتكين، فوصلوا البطاح وانضمّ إليهم كبار مكة ضد طغتكين، وعندما علم طغتكين بهذا الجيش وتواطؤ أعيان مكة له هذا وكذلك انضمامهم لصفوف راجح، خرج منها هاربًا إلى ينبع مما سهل الأمر في عودة إمرة مكة إلى يد نور الدين بن رسول، وخُطب على المنابر فيها للملك المنصور صاحب اليمن لإعلان دخولها تحت هيمنة الرسوليّين، وكانت تبعيّة أميرها راجح لهم[2] ووصلت هذه الأخبار إلى مسامع للملك الكامل في مصر الذي جهّز بدوره جيشًا وأمره بالمسير، وتمكن الجيش في شهر جُمادى الآخرة من سنة 630هـ/1232م وفيها تمكن طغتكين من دخول مكة بجيشه وإخراج راجح بن قتادة ومن ثم الانتقام مِن كبار رجالات مكة، وظلّت الخلافات على إمرة مكة بين الأيوبيين وآل رسول قائمة[3]؛ حيث عاد نور الدين بن عمر سنة 631هـ/1233م وجهّز جيشًا على رأسه راجح بن قتادة تمكن من اخراج الأيوبيين منها[4]. وشهدت سنة 632هـ/1234م دخول الجيش الذي أرسله الرسوليين إلى مكة لمساندة راجح بن قتادة بقيادة ابن النصيري[5] وأمره بأن يمنع الأيوبيّين من دخول مكة، ولكن لم يتمّ له ذلك بسبب نجاح الجيش الأيوبيّين بقيادة أسد الدين بن جغريل[6] الذي أعاد سيطرة الأيوبيين على مكة ، وأخرجوا منها الرسوليّين وأميرها راجح الذين عادوا إلى اليمن.[7]

([1]) الفاسي، شفاء الغرام، ج2، ص316-317؛ المالكي، بلاد الحجاز، ص93

([2]) الفاسي، العقد الثمين، ج1، ص330؛ بن فهد، اتحاف الورى، ج3، ص49-50

([3]) الدواداري، كنز الدرر، ص110؛ الفاسي، شفاء الغرام،ج2، ص116؛ المقريزي، السلوك، ج1، ص366؛ المقريزي، الذهب المسبوك، ص112

([4]) الدواداري، كنز الدرر، ص312؛ المقريزي، السلوك، ج1، ص370

([5]) ابن النصيري: أحد القادة الذين جهزهم الملك المنصور لاسترجاع مكة من الرسوليين وخرج منها سنة سبع وثلاثين وستمائة. للمزيد انظر: الفاسي، العقد الثمين، ج6، ص365.

([6]) أسد الدين بن جغريل: جغريل بن عبد الله الكاملي الملقب بأسد الدين أمير مكة، تسلمها في رمضان سنة اثنين وثلاثين وستمائة وخرج منها سنة خمس وثلاثين وستمائة. للمزيد انظر: الفاسي، العقد الثمين، ج3، ص283

([7]) الدواداري، كنز الدرر، ص313؛ المقريزي، السلوك، ج1، ص371؛ بن فهد، اتحاف الورى، ص50

حاول الرسوليّين استعادة نغمة الانتصارات على الأيوبيين لذلك نجدهم قد حاولوا إعادتها مرة أخرى لسيطرتهم، فسار نور الدين بن عمر بنفسه على رأس جيش عظيم ليقضي على النفوذ الأيوبي في مكة وإعادتها لسيطرته، وتمكن من ذلك في سنة 636هـ/1238م واستخلف عليها ابن الوليد وابن التعزي ومعهما مئة وخمسون فارسًا[1].

تُوفِّي الملك الكامل الأيوبي في سنة 636هـ/1238م فأصبحت الساحة أمام الرسوليّين خالية، حيث خُطب لصاحب اليمن على المنابر في مكة، وكان النائب لهم فيها أميرها راجح بن قتادة ولكن عهده لم يستمر، فبعد أن خلف السلطان الصالح نجم الدين أيوب الملك الكامل على سلطنة الديار المصرية والشام، عمل هو الآخر على مدّ نفوذه نحو الحجاز وإرجاع مكة وتبعيتها للسيطرة الأيوبية، حيث جهّز جيشًا على رأسه صاحب المدينة شيحة لدخول مكة واستعادتها، التي تمكن من دخولها دون إراقة الدماء وذلك لخروج الرسوليّين منها وجيشهم فأُعيدت الخطبة للسلطان الأيوبي الصالح نجم الدين أيوب[2].

وظلّت مكة منذ ذلك الوقت تتأرجح بين الأيوبيين والرسوليين حتى سنة 639هـ/1241م حيث تمكن نور الدين عمر بن رسول دخول مكة بجيشه وإعادتها تحت نفوذه وقام ببعض الإصلاحات التي انعكس أثرها عل حجاج مكة وأهلها مثل: إبطال المكوس فيها ورفع المظالم عن أهلها وهدم قلعة ينبع حتى لا تبقى حِصنًا للأيوبيين، وعمل على تعيّن فخر الدين السلام أميرا عليها، وهكذا انتهت سيطرت الأيوبيين على مكة ودخلت تحت سيادة آل رسول الذي تولوا أمر تعيين النواب وعزلهم عن مكة[3].

([1]) الفاسي، شفاء الغرام، ج2، ص318؛ المقريزي، السلوك، ج1، ص386؛ بن فهد، اتحاف الورى، ص55

([2]) الدواداري، كنز الدرر، ص326؛ الفاسي، العقد الثمين، ج1، ص343؛ المقريزي، السلوك، ج1، ص404

([3]) الفاسي، العقد الثمين، ج1، ص344؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج2، ص318-319؛ المقريزي، السلوك، ج1، ص413؛ بن فهد، اتحاف الورى، ص57-59؛ المالكي، بلاد الحجاز، ص105-107.

رابعًا: أوضاع مكة زمن الأيوبيّين

أ) الحياة الاجتماعية في مكة خلال العصر الأيوبي:-

تعد مكة المكرمة قبلة المسلمين، وإليها يحُجُّ المسلمين في انحاء العالم الإسلامي لتأدية مناسك الحج والعمرة، وهذه الصبغة الدينية لمكة انعكست على مجتمعها، فأثّر ذلك على التركيبة الاجتماعية على المجتمع المكّيّ الذي ضمّ السُكّان الأصليين وغيرهم من العرب والعجم بكلّ اختلافاتهم ممّن قصدوها للحج واختاروا أن يسكنوا في أحيائها، وقد توزعت طبقات المجتمع المكي على النحو الآتي:

أولًا: طبقات المجتمع:

الطبقة الأولى:

تضُمُّ كبار مكة، وهم حُكّامها وأمراؤُها الذين تولَّوا إمرة مكة على مدار سنوات عدة وخلال فترة الحكم الأيوبي حيث حكمت مكة أسرتان: الأولى بني فليتة الذين حكموها خلال الفترة الممتدة من 556هـ/1160م إلى 597هـ/1200م[1]، والأسرة الثانية بنو قتادة الذين استمر حكمهم أيضًا خلال الفترة الممتدة من 597هـ/1200م إلى 647هـ/1249م[2].

واحتضنت مكة كذلك نُوّاب السلاطين الأيوبيين والقادة العسكريين الذين دخلوا مكة لدرء الفتن وحماية الحجاج واهاليها وتحولوا إلى حكام لها لفترات مؤقتة عند حدوث الفتن والاقتتال ما بين أمرائِها، ويضاف إلى هؤلاء الذين وطئوا أرض مكة لردع الفتن وحماية الحجاج وأهلي مكة، وقد شكّل هؤلاء جُزءًا من الطبقة العليا في مكة خلال صراعهم على إمرتها وتأرجح حكمها بينهم وبين الأيوبيين[3].

الطبقة الثانية: وتكوّنت من القضاة وكبار العلماء والفقهاء سواء كانوا من السُنّة او والشيعة[4].

([1]) القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص270-272؛ الصباغ، تحصيل المرام، ج2، ص738؛ صبري باشا، مرآة جزيرة العرب، ص76.

([2]) القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص270-272؛ الصباغ، تحصيل المرام، ج2، ص741؛ صبري باشا، مرآة جزيرة العرب، ص78؛ نواب، عواطف محمد يوسف، الرحلات المغربية والأندلسية مصدرا من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين- دراسة تحليلة مقارنة، مكتبة الملك فهد، الرياض، 1996م، ص201. سيشار إليه لاحقا بـ نواب، الرحلات المغربية

([3]) نواب، الرحلات المغربية، ص201؛ باقاسي، بلاد الحجاز، 108-109.

([4]) ابن بطوطة، الرحلة، ج1، ص162-163.

الطبقة الثالثة: تضُمُّ جميع سكان مكة الأصليّين المنحدرين من بطون قريش والقبائل العربية التي توزّعت فيها خلال فترة حكم الأيوبيين، فمنهم الأثرياء والفلّاحون والتُجّار والصُنّاع والبدو الرعاة هذا بالإضافة إلى سُكّانها غير الأصليين الذين استوطنوا مكة واستقرُّوا فيها مع بدايات العصر الأيوبي وخلال القرنين السادس والسابع الهجريَّين، ومنهم آل ظهيرة[1].[2] ويدرج ضمّن الطبقة الثالثة ما عُرِفوا بالمجاورين لمكة، وهم من جاءوا إليها إمّا لطلب العلم وإمّا من اجل أداء فريضة الحج، ومنهم مَن كان على شكل تُجّار قصدوها لنشاط الحركة التجارية فيها خلال موسم الحج واستقرُّوا فيها، وأكثرهم مَن أتَوا من مدن برقة وطرابلس[3].

وبالإضافة إلى هؤلاء كانت ضمت الطبقة الثالثة ما عُرف بالآغوات[4] أو خُدّام البيت الحرام، وقد أشار الباحث لهم سابقًا.

الطبقة الرابعة: تكوّنت هذه الطبقة من العبيد، والذين هم من خُدّام أُمراء مكة ونُوّاب السلاطين الأيوبيين في مكة ممّن يعملون على خدمتهم وتوفير سبل الراحة لهم، ويخدمون أيضًا في المنازل والأراضي الزراعية والحقول ويدخل ضمن هذه الطبقة كذلك من الإماء والجواري اللواتي كُنَّ يُجلَبْنَ من الحبشة وبلاد الروم لأسواق النخاسة الإسلامية[5].

ثانيًا) بعض العادات والتقاليد في مكة

اختص المجتمع المكي عن غيره من مجتمعات الممدن الإسلامية ببعض العادات والتقاليد الاجتماعية سواء كان لأهلها من الرجال او النساء حيث أصبح من الامور المتعارف عليها في المجتمع المكي أن النفقه محظورة في المسجد الحرام فلا يجوز لأي كان أن يبذل نفقه داخل المسجد او يبني او

([1]) آل ظهيرة: وهم أحد الأسر المشهورة في مكة ومنهم محمد بن أحمد ابن ظهيرة بن أحمد بن عطية بن ظهيرة يكنى أبى السعود بن أبي الفضل بن القاضي شهاب الدين المعروف بابن ظهيرة. للمزيد انظر: الفاسي، العقد الثمين، ج2، ص147.

([2]) باقاسي، بلاد الحجاز، ص110.

([3]) ابن جبير، الرحلة، ص110؛ ابن بطوطة، الرحلة، ج1، ص162؛ باقاسي، بلاد الحجاز، ص111.

([4]) ابن جبير، الرحلة، ص82؛ ابن بطوطة، الرحلة، ج1، ص135؛ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، القسم الأول، ص243؛ نواب، الرحلات المغربية، ص207.

([5]) ابن بطوطة، الرحلة، ص135؛ باقاسي، بلاد الحجاز، ص112-113؛ نواب، الرحلات المغربية، ص207-208.

ببناء او بإصلاح فيه[1]، اما في وصف نساء أهل مكة فوصفن بجمالهن وصلاح اخلاقهن وباعتنائهن بالتطيب فكانت إحداهن تطوف في البيت ويبقى أثر طيبها عالقًا[2].

ومن عادات المكيين توزيع مياه زمزم داخل الحرم، وذلك من خلال وضعها داخل دوارق[3] ومن ثم توزيعها داخل الحرم المكي وجانب كل دورق من الماء غراريف[4] ليعبىء بها الماء للشارب ولتخدم الحجاج داخل الحرم[5]، ومن العادات الحميدة عند أهالي مكة الإحسان للأيتام فكانوا أيتام مكة يجلسون في الأسواق ويحمل كل منهم قفته[6] فيشتري الناس لهم اللحم، والخضار، والحبوب، ويضع لكل واحد منهم في قفته. ففي إحدى جوانب القفه توضع الحبوب والجانب الآخر توضع الخضار واللحم[7]، وكانوا يعدون الموائد العامه للفقراء، والمنقطعين وعابري السبيل ومن تقطعت بهم السبل ولم يتمكنوا من العودة لديارهم[8]، ومن العادات التي كانت متبعة في مكة هي استقبال الشهور الهجرية والاحتفال بها فكان الناس يبتهجون في بداية كل شهر هجري ويحتفلون كأنه يوم العيد[9]، ومن عاداتهم أيضًا استعمال الطيب وغلبة اللون الأبيض على لباسهم[10]، وضرب الطبول عقب كل صلاة في أيام موسم الحج[11]

أ) الاحتفال بظهور هلال شهر رجب

احتلّ شهر رجب مكانة عظيمة عند المكيين فكان بمثابة عيد يحتفلون فيه احتفالًا مُبهجًا حيث كانوا يضربون الطبول، والدبادب[12]، وتعلو أصوات الأبواب وترى أهلها يلعبون بالسيوف ويتبارَون فيما بينهم للاحتفال بهذا الشهر، ويَعتبرُ المكّيّون أداء العمرة خلال شهر رجب تُعادل في أجرها وعظمتها

([1]) ابن جبير، الرحلة، ص104.
([2]) ابن بطوطة، الرحلة، ج1، ص162؛ نواب، الرحلات المغربية، ص211
([3]) دوارق: إناء من فخار او زجاج يستعل للشراب واللفظ دخيل ومحدث. للمزيد انظر: الخطيب، معجم المصطلحات، ص187
([4]) غراريف: الإناء الواسع. للمزيد انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج8، ص446
([5]) ابن جبير، الرحلة، ص66؛ نواب، الرحلات المغربية، ص210.
([6]) قفته: القفة بضم القاف وفتح الفاء مع تشديدها هي وعاء تتخذه العامة في الغالب من سعف النخيل، ويكون دائري الشكل ويستعمل في حمل بضاعتهم كالتمر والزرع ونحو ذلك. للمزيد انظر: جعفري، أحمد أبا الصافي، اللهجة التواتية الجزائرية: معجمها، بلاغتها، أمثالها، حكمها وعيون أشعارها، منشورات الحضارة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014م، ص191
([7]) ابن بطوطة، الرحلة، ج1، ص162؛ نواب، الرحلات المغربية، ص211.
([8]) ابن بطوطة، الرحلة، ص162؛ نواب، الرحلات المغربية، ص110-111
([9]) ابن جبير، الرحلة، ص106؛ ابن بطوطة، الرحلة، ج1، ص74.
([10]) ابن بطوطة، الرحلة، ج1، ص162؛ باقاسي، بلاد الحجاز، ص114
([11]) ابن جبير، الرحلة، ص123؛ نواب، الرحلات المغربية، ص210.
([12]) الدبادب: وهي الطبول ويسمى الضارب عليها بالدبندار. للمزيد انظر: الزناتي، معدم المصطلحات التاريخية، ص152

وقفةَ عرفة حيث يزدحمون في مكة والمشاعر الحرام لتأديتها، وفي السابع والعشرين منه يعتمرون عمرة الأكمة كما يسمونها، واليوم التاسع والعشرون منه ويُخَصَّص فيه الاحتفال للنساء دونًا عن الرجال في فتح البيت الحرام لهُنّ وحدهنّ ليُمارِسْنَ احتفالَهُنَّ فيه[1].

ب) احتفال ليلة النصف من شعبان

ومن الاحتفالات التي كانت تقام في مكة في ليلة الخامس عشر من شعبان ويُكثرون من أعمال الخير ويجتمعون لأداء العمرة جُموعًا وأفرادًا حول الكعبة[2].

ج) احتفال شهر رمضان

يعد هذا الشهر من أعظم شهور السنة لدى المسلمين كافّة وقد حظي عند المكّيّين بالاهتمام الكبير وخُصّصت له عِدّة احتفالات ابتهاجًا لهذا الشهر حيث أصبحت تقليدًا سنويًّا يتبع في مكّة يحتفلون باستقبال هذا الشهر الفضيل، وكانوا يُعَبِّرون عن ابتهاجهم لقدومه بضرب الطبول، واستخدام الدبادب، وتجديد هيئة المسجد الحرام بتغيير فرش أرضه، وإشعال الشموع في داخله ويتوزع قُرّاء كتاب الله في نواحيه ويتناوبون على قراءة القران الكريم بعِدّة قراءات، ويأخذ كل إمام من أئمة المذاهب مكانًا مُخَصَّصًا له ولأتباعه ويحتفلون كذلك بالليلة السابعة والعشرين من رمضان حيث تُخَصَّص لهذه الليلة مراسمُ مُحَدَّدةٌ فيُختَم فيها القرآن كاملًا في المسجد الحرام[3].

ب) الحياة الدينية والتعدد المذهبي في مكة خلال العصر الأيوبي

سادت مكة خلال العصر الأيوبي التعدُّد المذهبي والتسامح الديني نوعًا ما فكان لكُلّ أتباع مذهبٍ مكانٌ مُخَصَّصٌ لهم من مدارس وأربطة وزوايا تدريسية في المسجد الحرام، وعدا عن ذلك كان

([1]) ابن جبير، الرحلة، ص106؛ ابن بطوطة، الرحلة، ج1، ص170-176؛ ابن عبد القادر الطبري، الآرج المسكي، ص99؛ نواب، الرحلات المغربية، ص122؛ باقاسي، بلاد الحجاز، ص115-116.

([2]) ابن جبير، الرحلة، ص118؛ ابن بطوطة، الرحلة، ج1، ص178؛ ابن عبد القادر الطبري، الآرج المسكي، ص99؛ باقاسي، بلاد الحجاز، ص117.

([3]) ابن جبير، الرحلة، ص122-124؛ ابن بطوطة، الرحلة، ج1، ص178؛ ابن عبد القادر الطبري، الآرج المسكي، ص99-100؛ باقاسي، بلاد الحجاز، ص117-118؛ نواب، الرحلات المغربية، ص224-225.

للحرم أئمة من أتباع المذاهب جميعها فكان منهم أربعة أئمة من السُنة وإمام زَيديّ والسبب يعود لكونها مقصدًا لكل مسلمي الارض باختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم الدينية فانعكس ذلك على الحياة الدينية فيها، وقد كان ترتيب الأئمّة السُنّة في المسجد الحرام على النحو الآتي:

الإمام الأول: الإمام الشافعي ومكانه خلف مقام إبراهيم عليه السلام، وهو من يخطب خطبة الجمعة.

الإمام الثاني: وهو الإمام المالكي، ومكان صلاته عند الركن اليماني.

الإمام الثالث: الإمام الحنفي وكان مكان صلاته قُبالة الميزاب[1].

الإمام الرابع: الإمام الحنبلي ومكانه قُبالة الحجر الأسود.

الإمام الخامس: وكان موعد صلاته عقب الأئمة السُنّة[2].

وقد ذكر ابن جبير وصفا دقيقا للمسجد الحرام والأئمة فيه خلال فترة حكم السلاطين الأيوبيين حيث يقول:

"والحرم أربعة أئمة سُنِّية وإمام خامس لفرقة تُسَمّى الزيدية، وأشراف هذه البلدة على مذهبهم وهم يزيدون على الأذان: «حيّ على خير العمل» إثر قول المُؤذّن: «حي على خير الفلاح» وهم روافض سبّابون لِلّه من وراء حسابهم وجزائهم ولا يجمعون مع الناس، إنّما يُصَلّون الظهر أربعًا ويُصَلّون المغرب بعد فراغ الأئمة من صلاتهم، فأول الأئمّة السنية الشافعي –رحمه الله– وإنما قدَّمْنا ذكره لأنّه المُقَدَّم من الإمام العباسي، وهو أوَّل من يُصَلّي، وصلاته خلف مقام إبراهيم –صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا الكريم– إلّا صلاة المغرب، فإنّ الأئمة الأربعة يُصَلّونها في وقتٍ واحدٍ مجتمعين لضيق وقتها، يبدأ مُؤذِّن الشافعي بالإقامة ثُمّ يُقيم مُؤَذِّنو سائر الأئمة"[3].

([1]) الميزاب: مصب ماء المطر الذي على سطح الكعبة. للمزيد انظر: المغلوث، أطلس الحج والعمرة، 48

([2]) ابن بطوطة، الرحلة، ج1، ص172؛ ابن جبير، الرحلة، ص78-79؛ السخاوي، التحفة اللطيفة، ج1، ص52.

([3]) ابن جبير، الرحلة، ص78-79.

ومن خلال نصّ ابن جبير يتَّضح لنا أنّ المذهب الشيعي كان قائمًا وله أتباعه حينذاك ومنهم أُمراء مكة وبقي الأذان في مكة بـ «حيّ على خير العمل» حتى عام 582هـ/1186م، ففي هذه السنة حضر سيف الإسلام طغتكين وعمل على إبطال الأذان بها، وهذا كان أوّل تدخُّل من الأيوبيّين في الحياة الدينية في مكة[1]؛ ففي بدايات العصر الأيوبي ترك السلاطين الأيوبيّون لأمراء مكة الحُرّية الدينيّة ولم يتدخَّلوا في شؤونهم[2].

ج) الحياة العلمية في مكة خلال العصر الأيوبي

شهدت الحياة العلمية في مكة في العصر الأيوبي اهتمامًا واضحًا، سواء من السلاطين الأيوبيّين أو أمراء مكة أنفسهم، واتخذت المراكز العلمية فيها عدّة أشكال، منها:

أوّلًا: الحلقات التدريسية في المسجد الحرام

اتسمت الحلقات التدريسية والعلمية في المسجد الحرام في أنها كانت أساس الحياة العلمية في مكة، حيث قامت بدور مُهم وكبير في تطور العلوم خاصة الدينية منها، في مكة خاصة وسائر البلاد الإسلامية عامة في مكة وعلى وجه الخصوص؛ ويعود ذلك إلى أنها كانت تجمع طلاب العلم من شتّى أرجاء العالم الإسلامي في أيام موسم الحج، فمنهم من كان يستقرّ في مكة بعد انتهاء موسم الحج ويواصل حضور هذه الحلقات العلمية على مدار العام، إضافة إلى العلماء الذين كانوا يَحضُرون إلى مكة في موسم الحجّ السنوي وما كانوا يقيمونه من مناظرات وحلقات لتبادل أنواع المعرفة والعلوم فيما بينهم، ولدعمهم كانت تُخَصَّص أُعطِيات من السلاطين وأمراء مكة. وقد ورد ذكر هذه الحلقات التدريسية[3] في رحلة ابن جبير بقوله: "والحرم محدق بحلقات المدرسين وأهل العلم".

([1]) ابن سبط الجوزي، مرآة الزمان، ج21، ص311؛ الفاسي، العقد الثمين، ج1، ص341-342؛ ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص94؛ بن فهد، إتحاف الورى، ج2، ص553.

([2]) بن بابويه، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت: 381هـ/991م)، من لا يحضره الفقيه، تحقيق: حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1986م، ص213-240. سيشار إليه لاحقا بـ بن بابويه، من لا يحضره الفقيه.

([3]) ابن جبير، الرحلة، ص68؛ المالكي، بلاد الحجاز، ص294؛ نواب، الرحلات المغربية، ص257؛ حلاق، مكة والمدينة، ص30.

ثانيًا: المدارس

لعبت المدارس دورًا كبيرًا في تطور الحركة العلمية في مكة وبلاد الحجاز ولم تكن هذه المدارس تخدم أهالي الديار المقدسة فحسب بل عدت أيضا مكانا يجتمع فيه الحجاج والعلماء والفقهاء من كافة ديار المسلمين وكانت تقام فيها الحلقات الدينية والعلمية والاجتماعات والتبادل الديني والثقافي هذا ما نعكس وبشكل ايجابي على الحياة العلمية في بلاد الحجاز ومكة على وجه الخصوص، وأول المدارس التي بُنيت في مكة يعود تاريخ بنائِها لفترة حكم السلاطين الأيوبيين (569هـ/1173م إلى 648هـ/1250م) [1]، ومن أهم هذه المدارس الآتية:

أ) مدرسة الأرسوفي:

أنشأ التاجر العسقلاني عفيف الدين عبد الله بن محمد الأرسوفي[2] هذه المدرسة في مكان عند باب العمرة في الجانب الشمالي الغربي للمسجد الحرام، ويُذكَر أنها أول مدرسة أُنشئت في مكة، ويعود تاريخ تأسيسها إلى سنة 571هـ/ 1175م، وقد بُني بجانبها رباطٌ تابعٌ لها جعله خدمة لتلاميذها وحجاج بيت الله الحرام[3].

ب) مدرسة الزنجيلي:

أسس عثمان بن علي الزنجيلي[4]، في موضع بجانب باب العمرة وقد اشتملت موضوعات التدريس على الفقه الحنبلي والتفسير، ويعود تاريخ تأسيسها إلى سنة 579هـ/ 1183م، وتبع المدرسة رباط خصص لخدمة طلابها ومن يقصدها من حجاج بيت الله[5].

([1]) ابن جبير، الرحلة، ص68؛ المالكي، بلاد الحجاز، ص294؛ نواب، الرحلات المغربية، ص257؛ حلاق، مكة والمدينة، ص30.

([2]) عفيف الدين عبد الله محمد الأرسوفي: هو أحد تجار عسقلان قدم إلى مصر وأقام فيها بنى فيها أيضًا مدرسة الأرسوفي سنة 570هـ وكان أحد المجاورين في مكة، توفي سنة 633هـ. للمزيد انظر: المقريزي، الخطط، ج4، ص201؛ الفاسي، شفاء الغرام، ص527.

([3]) الفاسي، الزهور المتقطفة، ص188؛ الفاسي، العقد الثمين، ج5، ص68؛ الفاسي، شفاء الغرام، ص527؛ الصباغ، تحصيل المرام، ص622؛ حرب، الحجاز واليمن، ص197.

([4]) عثمان بن علي الزنجيلي: عز الدين عثمان بن علي الزنجيلي نسبةإلى زنجيلا قرية من قرى دمشق، ويقال له الزنجاري أحد الأمراء الذين قدموا مع شمس الدولة توران شاه بن أيوب غلى اليمن استخلفه على عدن ونواحيها. للمزيد انظر: البنداري، الفتح بن علي (ت:643هـ/1245م)، سنا البرق الشامي من كتاب البرق الشامي للأصفهاني، تحقيق: فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1979م، ص192. سيشار إليه لاحقا بـ البنداري، سنا البرق؛ الطيب بامخرمة، أبي محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي الهجراني الحضرمي الشافعي (ت:947هـ/1540م)، قلائد النحر في وفيات أعيان الدهر، تحقيق: جمعة مكري، دار المنهاج، جدة، 2008م، ج4، ص83. سيشار إليه لاحقا بـ الطيب بامخرمة، قلائد النحر

([5]) الفاسي، الزهور المتقطفة، ص187؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج1، ص524؛ الحميري، الروض المعطار، ص279؛ حسين، جميل حرب محمود ، الحجاز واليمن في العصر الأيوبي، دار تهامة، جدة، 1985م، ص197. سيشار إليه لاحقا بـ حسين، الحجاز واليمن.

ج) مدرسة طاب الزمان الحبشية:

أسس هذه المدرسة طاب الزمان الحبشية[1] وبُنِيت في سنة 580هـ/ 1184م، واقتصر تدريسها على الفقه الشافعي[2].

د) مدرسة النهاوندي:

بنيت هذه المدرسة فيسنة 630هـ/ 1232م[3]، ولم تشر المصادر إلى اسم بانيها

هـ) مدرسة المهدوي:

بنت هذه المدرسةَ من قبل عبدُ الحق بن عبد الرحمن بن عبد الحق المهدوي أبو منصور[4]، والمشهور بابن الحداد، وموقعها بالقرب من مدرسة الأرسوفي عند باب العمرة ويرجع تاريخ بنائها إلى سنة 638هـ/ 1240م واهتمت بتدريس المذهب المالكي لأهالي بيت الله الحرام ومن يفد اليها من زوار وحجاج[5].

و) المدرسة الشرابية:

أسسها شرف الدين الشرابي[6] وتقع عند باب السلام في المسجد الحرام، خُصِّصت لتدريس المذاهب الأربعة واحتوت المدرسة على مكتبة تخدم بالاضافة الى طلابها زوار بيت الله الحرام، وقد كانت حينذاك للعرب والعجم من طُلّاب العلم، ويعود تاريخ بنائِها إلى سنة 641هـ/ 1243م.[7]

([1]) طاب الزمان الحبشية: عتيقة الخليفة العباسي المستضيء بالله، لها عدة مآثر وأعمال حسنة في مكة. للمزيد انظر: الفاسي، شفاء الغرام، ج1، ص524؛ الفاسي، العقد الثمين، ج6، ص411.

([2]) الفاسي، شفاء الغرام، ج1، ص524؛ الفاسي، العقد الثمين، ج2، ص37؛ الفاسي، الزهور المقتطفة، ص187؛ الصباغ، تحصيل المرام، ج2، ص620.

([3]) الفاسي، شفاء الغرام، ص527؛ الفاسي، الزهور المتقطفة، ص188؛ الصباغ، تحصيل المرام، ج2، ص622.

([4]) عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الحق المهدوي: واقف المدرسة التي بأسفل مكة العروفة بالأدارسة عل طلبة المالكية بمكة لأن في الحجر على بابها أنه حبس هذه المدرة ووقفها على طلبة المالكية المشتغلين بمذهب مالك بن أنس المعتقدين له. للمزيد انظر: الفاسي، العقد الثمين، ج5، ص10.

([5]) الفاسي، الزهور المقتطفة، ص188؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج1، ص527؛ الصباغ، تحصيل المرام، ج2، ص621؛ حسين،الحجاز واليمن، ص198.

([6]) شرف الدين الشرابي: هو ابو الفضائل الحبشي المستنصري الشرابي مقدم جيوش العراق توفي في بغداد سنة 653هـ. للمزيد انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23، ص170.

([7]) ابن عبد القادر الطبري، الآرج المسكي، ص79؛ حرب، الحجاز واليمن، ص197.

ز) المدرسة المظفرية:

تأسس المدرسة في عهد الرسوليين ومؤسسها هو صاحب اليمن عمر بن نور الدين المُلَقَّب بالمنصور سنة 641هـ/ 1243م، وتقع في الجانب الغربي من المسجد الحرام، وقد خُصِّصت الدراسة فيها للشافعية وبعد عام من بنائِها بُنِيت مكتبة في داخلها[1].

يتضح مما سبق أن هذه المدارس التي ذكرها الباحث كانت تعنى بالمذاهب الفقهية وقد سيطرت الدراسات الدينية والفقهية على المذهب الشافعي الذي احتل مركز الصدارة ف هذه المدارس.

ثالثًا: الأربطة

ساد في مكة انتشار الاربطة والمراكز العلمية بالدرجة الأولى، إذْ كانت تُؤدّي دورَين مُهِمَّيْن؛ فقد خصصت مكانيقيم فيه طُلّاب العلم ومبيتًا ومسكنًا للحُجّاج، وستذكرها الدراسة لاحقًا.

رابعًا: الزوايا

جعل المكيّون الزوايا في المسجد الحرام لطلبة العلم ولحجاج وزوار بلاد الحجاز كافة وتدريس المذاهب الأربعة، فكان طُلّاب العلم يلتحقون لهذه الزوايا كُلٌّ حسب مذهبه، ويتولى التدريس فيها كبار المشايخ ومُهِمّاتهم لم تقتصرْ مهماتهم على تعليم الطلاب فقط، بل كانوا يمنحون الإجازة الكبرى لطُلّاب العلم في هذه الزوايا بعد اجتيازهم اختبارات الأمر الذي يؤهلهم للتدريس في الحرمين[2].

هـ) الحياة الاقتصادية في مكة:

أولًا: الأسواق في مكة زمن الأيوبيين

لا شك ان مكة كانت تحتل مركز الصدارة العالمية في الشأن التجاري منذ أن سكنتها قريش قبل ظهور الإسلام، وقد انتشر فيها الأسواق منذ ذلك الحين ولم تفقد مكة هذه المكانة على مرور الزمن فاستمرت تؤدي نفس الدور حتى وقتنا هذا، وقد شهدت مكة خلال هذه الحقبة التاريخية ازدهارا اقتصاديا

([1]) الفاسي، الزهور المقتطفة، ص187؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج1، ص524؛ الصباغ، تحصيل المرام، ج2، ص621؛ حرب، الحجاز واليمن، ص198.

([2]) المالكي، بلاد الحجاز، ص318؛ نواب، الرحلات المغربية، ص254-255.

كبيرا والسبب الرئيس واء ذلك يعود لكونها المركز الديني الاول لكافة مسلمس الأرض اضافة لموسم الحج الذي يعد موسم انتعاش اقتتصادي بالنسبة لها ، وكانت تقام فيها أسواق يباع فيها كافة أشكال البضاعة ويرتادها كل حجاج بيت الله اضافة لخدمتها بالاساس سكان مكة وبلاد الحجاز ، ومن أهم هذه الأسواق التالية:

أ) سوق المسجد الحرام:- سوق من أكبر أسواق مكة المكرمة، ويأتيُ إليه العرب والعجم من المُقيمين والحُجّاج والتجار الذين يقصدونه في موسم الحج كمصدر للرزق، حيث يُباع داخله كُلّ أنواع السلع وقد أشار إليه ابن جبير في رحلته. وقد قدم هذا السوق جل الخدمات للحجاج وزوَّدهم باحتياجاتهم وكانت تُباع فيها السلع اليمنية والعراقية والهندية والحبشية، ويُباع فيها الرق والعبيد أيضًا[1].

ب) سوق الصفا والمروة:- يقدم السوق خدماته للحُجّاج وأهالي مكة من السلع الكثيرة كالفواكه والحبوب وكُلّ ما يلزمهم في طعامهم، ويقع في مكان ما بين بين الصفا والمروة، وقد كانت الأسعار في أسواق مكة أغلى منها في أسواق الديار المصرية وبلاد الشام، وكانت تُؤخَذ العشور من البضاعة التابعة للتُجّار المسلمين وغير المسلمين على حدٍّ سواء[2].

ثانيًا: المعاملات المالية:

تعامل أهل مكة والحجاج القادمين اليها في عمليات البيع والشراء بعدد من العملات الأيوبية والتي بدأت بالدراهم الصلاحية المنسوبة للسلطان الأيوبي صلاح الدين الأيوبي والتي صكت في سنة 581هـ/ 1185م[3] وكانت تدعى بالدراهم الزيوف أي المزيفة وذلك لأن نسبة النحاس فيها عالية جدًا[4]. وفي عهد الملك الكامل الأيوبي تحولت عمليات البيع والشراء إلى الدراهم الكاملية المنسوبة إليه، وكان

([1]) ابن جبير، الرحلة، ص160؛ المزيني، إبراهيم بن محمد بن حمد، الأسواق والمراكز التجارية عند ابن جبير في رحلته (بحث)، الناشر: ابو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري، د.م، د.ت، المجلد3، ص33. سيشار إليه لاحقا بـ المزيني، الأسواق.

([2]) ابن جبير، الرحلة، ص156.

([3]) الفاسي، العقد الثمين، ج1، ص341-342؛ بن فهد، إتحاف الورى، ج2، ص553؛ ابن عبد القادر الطبري، الارج المسكي، ص340.

([4]) محمد، عبد الرحمن فهمي، النقود العربية ماضيها وحاضرها، وزارة الثقافة والارشاد القومي، القاهرة، 1964م، ص73-74. سيشار إليه لاحقا بـ محمد، النقود العربية؛ الخطيب، معجم المصطلحات، ص235

يطلق عليها اسم الدراهم النقرة وتشكلت من الفضة والنحاس[1] حيث أن ثلثيها من الفضة وثلث من النحاس[2]، وفي عهد الملك المسعود اليمني تم صك نوع جديد من العملة عرفت بالدراهم المسعودية التي انتشرت في مكة، وكانت تتكوَّن من الفضّة الخالصة[3].

ثالثًا: الموارد المالية في مكة:

تشكلت الموارد المالية في مكة من:

(1) المكوس والضرائب كان يفرض على الحجاج قبل دخولهم مكة مبالغ ماليه يدفعونها لأمير مكة ومن يتعذر عليه الدفع يمنع من إكمال طريقه للحج، وقد قدرت في زمن السلاطين الأيوبيين وبالتحديد في فترة حكم صلاح الدين الأيوبي بسبعة دنانير ونصف تدفع في ميناء جدة وعيذاب حتى أبطل دفعها صلاح الدين الايوبي سنة 582هـ/1086م وعوض أمير مكة اقطاعات بدلا منها[4] بالإضافة للمكوس والضرائب.

(2) الأعطيات والهدايا الواردة سنويًا لأمراء مكة وكانت تشكل مصدرًا للموارد المالية فيها، حيث يتم ارسال سنويا الهدايا والأعطيات من قبل السلاطين إلى مكة وأمراءها ومن الأمثلة على ذلك الصدقات التي ارسلها الخليفة العباسي المستضيء بالله سنة 569هـ/1073م[5]

(3) الاوقاف وهي المساكن التي يهتم أغنياء القوم من العرب والعجم تأسيسها في مكة للمجاورين وأهل مكة والحجاج ويخصص لها أموال تصرف عليها، ومن الاوقاف في العصر الأيوبي الاربطة التي كانت تخصص للحجاج وطلبة العلم منها رباط الزنجبيلي الذي اوقف للحجاج سنة 579هـ/1080م[6].

([1]) القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص467.
([2]) محمد، النقود العربية، ص74
([3]) القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص276؛ دحلان، خلاصة الكلام، ص83
([4]) الفاسي، العقد الثمين، ج1، ص342؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج2، ص362.
([5]) نواب، الرحلات المغربية، ص194.
([6]) الفاسي، العقد الثمين، ج1، ص232؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج1، ص529؛ الفاسي، الزهور المقتطفة، ص189؛ الصباغ، تحصيل المرام، ج2، ص626؛ نواب، الرحلات المغربية، ص194.

رابعًا: الأزمات الاقتصادية التي مرت فيها مكة

تعرضت مكة خلال حكم السلاطين الأيوبيين إلى أزمات اقتصادية كان ينتج عنها ارتفاعًا حاد في الأسعار، وبلوغها حد كبير أثقل كاهل الحجاج وأهالي مكة ومنها على سبيل المثال:

الغلاء الذي حدث سنة 569هـ/1173م ويذكر الفاسي في كتابه شفاء الغرام بأن صاع[1] الحب حيث بلغ سعره دينارا وحل بمكة ضيق اقتصادي قيل ان الناس فيه قد اكلوا الجلود والعظام وتوفي اكثرهم حتى تدخل الخلفاء العباسيين في عهد الخليفة العباسي المستضيء فأرسل الصدقات والأموال إلى مكة[2] ثم حدث في العام التالي ارتفاع في أسعار اسلع والحاجيات ومثال ذلك ما حصل سنة 600هـ/1203م حيث وصف بالغلاء الكبير او الحوطة[3] تواصلت الازمات الاقتصادية التي حلت في مكة زمن الأيوبيين، ففي سنة 630هـ/1232م ارتفعت الاسعار فيها وسميت هذه الضائقة الاقتصادية بغلاء ابن المجلى.[4] ولم يذكر من هو ابن المجلى ولا أسباب تسمية هذا الغلاء باسمه.

([1]) صاع: مكيال تكال به الحبوب ونحوها قدره أهل الحجاز قديما بأربع أمداد بالكيل المصري أي أنه يساوي قدحين ونصف القدح. للمزيد انظر: الخطيب، معجم المصطلحات، ص284

([2]) الفاسي، الزهور المقتطفة، ص344؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج2، ص432؛ بن فهد، إتحاف الورى، ج2، ص534.

([3]) الفاسي، شفاء الغرام، ج2، ص432.

([4]) الفاسي، شفاء الغرام، ج2، ص432.

الفصل الرابع: مناسك الحج

أوّلًا: المواقيت الزمانية والمكانية للقوافل الشامية والمصرية

ثانيًا: الاحتفالات ببَدء موسم الحجّ

أ) احتفال شهر شوال

(ب)إحرام الكعبة

ج) شهادة رؤية هلال ذي الحجّة

د) كسوة الكعبة

ثالثًا: الخِدمات التي تُقَدَّم للحجّاج في مكة.

أ) توفير المياه

ب) توفير الطعام

رابعًا: نزول الحُجّاج والمبيت في مكة

خامسًا: البيمارستان وتقديم الخدمات الصحية للحجاج في مكة

سادسًا: مناسك الحجّ في العصر الأيوبي.

أ) الانتقال من مكة إلى عرفات دون المبيت في منًى.

ب) المرور في بطن عرنة.

ج) المبيت بعرفات بعد غروب شمس يوم عرفة.

د) الحجّ بدون رمي الجمرات.

هـ) تجاوز الإقامة بمنًى بعد النحر.

سابعا: المُدّة التي تقضيها القوافل في مكة.

ثامنا: الطريق التي تسلكه القوافل أثناء عودتهم إلى ديارهم.

أ) طريق عودة القوافل الشامية

ب) طريق عودة قوافل الديار المصرية

تاسعا: مُبشِّر الحجّ.

عاشرا: استقبال الحُجّاج بعد العودة من الحجّ

الفصل الرابع: مناسك الحج

أوّلًا: المواقيت الزمانية والمكانية للقوافل الشامية والمصرية

قال تعالى: "الحجّ أشهر معلومات".[1]

اتبع المسلمين في الأزمان والحقب التاريخية خلال العصور الوسطى تلك القواعد الأساسية التي بينها رسولنا الكريم– محمد عليه الصلاة والسلام– وذلك فيما يتعلق بالمواقيت المخصصة للحجاج فللحج مواعيد ومواقيت زمنية ومكانية مُحدَّدة لا يجوز للحاجّ أن يُؤدّي مناسكه إلّا بعد إحرامه في الوقت والمكان المُحَدَّدَين له، وقد حدَّد الرسول –عليه الصلاة والسلام– المواقيت المكانية للحُجّاج في حديثه، فرُوي عن ابن عباس أنّ رسول الله –عليه الصلاة والسلام– وقَّت لأهل المدينة ذا الحُلَيفة، ولأهل الشام، الجحفة، ولأهل نجد[2] قرن المنازل[3]، ولأهل اليمن يلملم[4]، وقال: "هُنَّ لهم ولمن أتى عليهنَّ من غير أهلهنّ ممّن أراد الحجّ والعمرة، ومَن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ حتى أهل مكة من مكة"[5].

والميقات: لفظ ارتبط بمعنى الزمان والمكان، فالميقات هو الوقت المضروب للفعل، والموعد الذي جُعِل له وقت، والميقات أيضًا هو الموضع أو المكان الذي جُعِل للشيء يُفعَل عنده كمواقيت الحاج وهي الأماكن المُعَدَّة للإحرام؛ فيُقال ميقات أهل الشام، المَوضع الذي يُحرِمون منه[6]. وقد حدَّد الرسول –عليه الصلاة والسلام– في حديثه المواقيت المكانية؛ فميقات حُجّاج الديار المصرية والشامية الجحفة، أمّا إذا

([1]) سورة البقرة، آية (95).

([2]) نجْد: موضع ما بين الحجاز وبلاد الشام إلى العذيب، فالطائف من نجد والمدينة من نجد، وُصِف أنّه أسف الحجاز. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص262؛الحميري، الروض المعطار، ص572.

([3]) قرن المنازل: جبلٌ مُطِلٌّ بعرفات، وهو ميقات أهل اليمن والطائف. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص332.

([4]) يلملم: جبل أو قرية على ليلتين من مكة من جبال تهامة وهي في طريق اليمن إلى مكة، وهو ميقات مَن حجّ مِن هناك وماؤها آبار وعيون. للمزيد انظر: الحميري، الروض المعطار، ص619.

([5]) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256هـ/870م)، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، 2002م، ج3، باب الحج، ص174؛ الكشميري، محمد أنور شاه الكشميري الديوبندي (ت: 1352هـ/1933م)، فيض الباري على صحيح البخاري، تحقيق: محمد عالم الميرتهي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م، ج3، ص172-174. سيشار إليه لاحقا بـ الديوبندي، فيض الباري

([6]) ابن منظور، لسان العرب، ج46، ص4887؛ الخطيب، معجم الألفاظ، ص164.

مرُّوا من المدينة فيكون ميقاتُهم ذا الحليفة. أمّا المواقيت الزمانية فهي الشهور التي وجب فيها الحجّ، بل هو بداية شهور الحج التي هي: شوال وذو القعدة وذو الحجة[1]. والشكل التالي يوضح

ثانيًا: الاحتفالات بَدء موسم الحجّ

أ)احتفال في شهر شوال

تبدأ الاحتفالات ببَدء موسم الحجّ من شهر شوّال أول شهور الحجّ، حيث بقي هذا الاحتفال تقليدًا استمر على مر العصور الإسلامية الوسطى ومن ضمنها فترة حُكم الأيوبيين لمكة، حيث تبدأ الاحتفالات في الليلة الأولى من شهر شوال، إذ تتعالى أصوات أهالي مكة بالتكبير والدعاء ومن ثم الطواف حول الكعبة وثم تُضاء المشاعر بالشموع في أرجاء المسجد الحرام، وكذلك إنارة سطحه بالكامل ثم يبدأ مُؤذِّنو المسجد بالتسبيح والتهليل وبعد الانتهاء من صلاة ي الفجر فيه ويختارون أحسن اللباس فيلبسون أجملَها ويأخذ كُلٌّ منهم مكانه داخل المسجد الحرام، وتكون الأولوية في دخول المسجد لزعيم الشيبيّين[2] فيجلس حتى قدوم أمير مكة ليطوف حول الكعبة ويبدأ أئمّة المسجد الحرام بالدعاء له والثناء عليه ويتصافح الناس ويتبادلون التهاني بهذا الشهر الفضيل. ومن ضمن احتفالاتهم في موسم الحجّ فتح أبواب الكعبة حيث جرت العادة سنويًّا أن تُفتَح أبواب الكعبة في شهر ذي القعدة ومفاتيحها بحوزة الشَيبِيّين، فهم مَن أخذوا هذا الشرف العظيم بفتح أبوابها سنويًّا أمام حُجّاج بيت الله، ففي السابع والعشرين من هذا الشهر يتقدَّم زعيم وكبير الشيبيّين ومعه مفتاح الكعبة ويفتح الباب أمام جموع الحُجّاج[3].

([1]) ابن فضل العمري، مسالك الأبصار، ج2، ص197-199؛ الكشميري، فيض الباري، ج3، ص172-177؛ الشيخ، المواقيت، ص84-85.

([2]) الشيبيّون: بطن من عبد الدار من قريش من العدنانية وهم بنو شيبة بن عثمان بن طلحة بن عبد الدار، وهم حجَبةُ الكعبة إلى الآن، انتقلت إليهم من جدهم عبد الدار، حيث ابتاع قصي بن كلاب مفاتيح الكعبة من غيثان الخزاعي، وانتهت المفاتيح إلى عثمان بن شيبة. للمزيد انظر: القلقشندي، نهاية الأرب، ص312.

([3]) ابن جبير، الرحلة، ص133-134؛ ابن بطوطة، الرحلة، ص180؛ ابن عبد القادر الطبري، الأرج المسكي، ص99؛ الصباغ، تحصيل المرام، ج1، ص268.؛ حلاق، حسان، مكة المكرمة من خلال رحلتي ابن جبير وابن بطوطة، دار النهضة العربية، بيروت، 1996م، ص90. سيُشار إليه

ب)إحرام الكعبة:

اعتاد اهالي مكة وخلال موسم الحجّ على الاحتقال اليوم السابع والعشرين من شهر ذي القعدة وكان يطلق على هذا اليوم اسم بإحرام الكعبة، حيث تُرفَعُ في هذا اليوم أستار الكعبة من الجهات الأربعة مسافةَ قامةٍ ونصف حِرصًا عليها من النهب، وتُغلَق أبواب الكعبة من هذا اليوم حتى انتهاء وقفة عرفة، وذلك إشارة للحجّاج بقرب انقضاء موسم الحجّ ورحيلهم.[1]

ج) شهادة رؤية هلال ذي الحجّة

أولى الحكام المسلمين من خلفاء وملوك وسلاطين عنية واهتمام بملاحظة ومشاهدة رؤية الهلال في العصر الأيوبي كان القاضي يتولى أمر التثبت من التحري في رؤية هلال ذي الحجّة، حيث يجتمع مع من رأى الهلال فيتقدَّمون للإدلاء بشهادتهم ويُقسِمون على رؤيته. وقد كان أُناسٌ في بعض السنوات يتقدمون بشهادات زور للقاضي، وقد بين ذلك ابن جبير في رحلته، حيث وصف لنا حادثة إدلاء جماعة من المغاربة بشهادة زُور برؤية الهلال، حيث قال: "شهر ذي الحجّة –عرّفنا الله بركاته– استهلّ هِلالُه ليلة الخميس بمُوافقة الخامس عشر من مارس، وكان للناس في ارتقابه أمرٌ عجيب، وشأن من البهتان غريب، ونطق الزور كاد أن يعارضه من الجنود فضلًا عن غيره رد وتكذيب وذلك أنهم ارتقبوه ليلة الخميس الموفي ثلاثين والأفق قد تكاثف نوءه وتراكم غيمه إلى أن علَتْه مع المغيب بعض حمرة من الشفق فطمع الناس في فرجة من الغيم لعل الأبصار تلتقطه فيها فبينما هم كذلك اذ كبّر احدهم فكبّر الجمُّ الغفير لتكبيره ومثلوا قياما ينتظرون ما لا يبصرون ويبشرون الى ما يتخيلون حرصًا منهم على أن تكون الوقفة بعرفات يوم الجمعة كأنّ الحجّ لا يرتبط إلا بهذا اليوم بعينه فاختلقوا شهادات زورية ومشت

لاحقًا بـ حلاق، مكة المكرمة؛ نواب، الرحلات ، ص229؛ الكيلاني، كامل، ابن جبير في مصر والحجاز، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017م، ص88-105. سيشار إليه لاحقًا بـ الكيلاني، ابن جبير.

([1]) ابن جبير، الرحلة، ص143-144؛ ابن بطوطة، الرحلة، ص180

منهم طائفة من المغاربة أصلح الله أحوالهم ومن أهل مصر وأربابها فشهدوا عند القاضي برؤيته فردهم أقبح رد وجرح شهاداتهم أسوأ تجريح وفضحهم في تزييف أقوالهم".[1]

يتضح مما سبق أن أمر مراقبة رؤة الهلال لم يخلو من بعض الأمور التي كانت لتؤثر عل صدق ثبوت رؤية الهلال كشهادات الزور التي أشار إليها ابن جبير في النص من قبل بعض المغاربة وقد يكون دافعهم من وراء ذلك تعجيلًا منهم في وقت بدء موسم الحج والله أعلم.

د) كسوة الكعبة

ويحتفل أهل مكة وحُجّاجها في يوم النحر بكسوة الكعبة الجديدة احتفالًا عظيمًا[2]، حيث يتقدّم زعيم الشيبيّين وتُرافقه كسوة الكعبة على أربعة جِمال وتُقرَع الطبول وترتفع الرايات حوله، فيُلبِسُ الشيبيّون الكعبةَ المُشرَّفة كسوتها الجديدة التي تُبعَثُ سنويًّا إلى مكة، وكانت تُنسَج من الحرير وتُبَطَّن بالكتان، وكان لون الكسوة في فترة حكم سلاطين بني أيوب اللون الأخضر، ويُرسَم في أعلاها باللون الأحمر: "إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّاسِ"[3]، وفي باقي أجزائِها تُطَرَّزُ باسم الخليفة والدعاء له وبعض آيات كتاب الله، وبعدما يُلبِس الشيبيّون كسوة الكعبة يرفعونها حِفاظًا عليها من أيدي الناس عند ازدحامهم لرؤية هذه الكسوة كمشهد عظيم[4] وكان من أجمل عاداتهم بعد نزع الكسوة القديمة أن يقوموا باقتسامها وإرسالها كهدايا للملوك والأشراف.[5]

([1]) ابن جبير، الرحلة، ص147-149.

([2]) يوم النحر: هو يوم الحجّ الكبير، قال هشيم عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن علي -رضي الله عنه-: "أن يوم الحجّ الأكبر هو يوم النحر، وهو اليوم الذي تتوجّه فيه الجموع لرمي الجمرات منذ طلوع الشمس وطواف الإفاضة ورمي الناس بالجمرة الأولى سبع حصيات، والجمرة الوسطى كذلك وبهاتين الجمرتين يقفون للدعاء بجمرة العقبة كذلك اقتداءً بفعل الرسول -عليه الصلاة والسلام-. للمزيد انظر: ؛ ابن قُدامة، شمس الدين عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المقدسي الصالحي (ت: 682هـ/1283م)، الشرح الكبير المسمى بالشافي على متن المقنع، دار الفكر، بيروت، 2018م، ج3، ص241. سيُشار إليه لاحقًا بـ ابن قدامة، الشرح الكبير؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م، ج2، ص306. سيُشار إليه لاحقًا بـ ابن كثير، تفسير القرآن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، 1983م، ج45، ص340.

([3]) الصباغ، تحصيل المرام، ج1، ص155.

([4]) ابن جبير، الرحلة، ص157؛ ابن بطوطة، الرحلة، ص183.

([5]) القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص276.

ثالثًا: الخِدمات التي تُقَدَّم للحجّاج في مكة

أ) توفير المياه

يحصل الحجّاج على العديد من الخدمات الضرورية عند وصولهم إلى البلاد الحجّازية، والتي تتضمن توفير المياه لهم خلال فترة الإقامة في مكة. إذ كانت مصادر المياه في مكة مُتنوِّعةً من أبرزها وأهمِّها حيث تتصدرها بئر زمزم المبارك[1]، وقد كان هذا البئر موجودًا قبل مجيْء الإسلام واستمرّ في تزويد الحُجّاج بالماء إلى يومنا هذا، وكان المسلمين وسلاطينهم من الأيوبيين والمماليك من بعدهم حريصين كل الحرص بترميم وإصلاح البئر بين الحين والأخر، ويُكثرون من صيانته ويُقَدّمون الماءَ لسقاية الحاجّ، وهذه المُهِمّة تقع على عاتق أشخاص مُعَيَّنين مُهِمّتُهم الإشراف على سقاية الحجّاج[2].

وإلى جانب بئر زمزم، كانت الآبار والعيون من المصادر الرئيسية أيضا لتوفير المياه لسقاية الحجّاج في مكة خلال تأديتهم مناسك الحجّ، وهذه الآبار لم تكُن لسقاية الحجّاج فحسب، وإنما استفاد منها أهل مكة وسُكّانُها، وهنا يستعرض الباحث أهم مصدرًا لسقايتهم. وهنا سنأتي على ذكر الآبار والعيون التي بُنِيت واستُصلِحت خلال فترة حكم السلاطين الأيوبيين والمُمتدّة من 569-64هـ/1173-1250م ففي بداية عام 569هـ/1173م وبعدما تعطّلت الآبار في الطريق الواصلة بين مكة والمدينة فترة من الزمن، أمر الخليفة العباسي المستضيْء بالله[3] بإصلاح تلك الآبار لتعود وتُؤدّي دورها في سقاية الحاجّ[4]. حيث كان للسلطان صلاح الدين الأيوبي الفضل الكبير في دعم الحُجّاج وقوافل الحجيج سواء اكان ذلك في طرقهم أو أثناء تواجدهم في مكة، فنجِدُه في عام 572هـ/1176م قد أمر بإصلاح وبناء

([1]) بئر زمزم : بئر زمزم: وهي بئر الماء المشهورة المنسوبة لسيدتنا هاجر أم إسماعيل عليه الصلاة والسلام والقصة المعروفة عنها عندما انفجرت تحت قدميهما في مكة المكرمة وسمي بزمزم لأن سيدتنا هاجر كانت تزم الماء بكلتا يديها زمًا، وقيل أنها سميت بزمزم لكثرة مائها وهي =في بيت مربع في جدرانها تسع أحواض وقد ذكر أن لها خواص عن غيرها من الماء سماؤها يبرد الحمى ويذهب الصداع. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص147-148؛ الفاسي، الزهور المقتطفة ، ص143-151. الصباغ، تحصيل المرام، ج1، ص283-285.

([2]) القزويني، اخبار البلاد، ص 120-121؛ ابن عبد القادر الطبري، الأرج المسكي، ص86؛ الصباغ، تحصيل المرام، ج1، ص307-308.

([3]) المُستضيْء بالله: الخليفة محمد الحسن بالله يوسف بن المقتفي محمد بن المستظهر أحمد بن المقتفي العباسي، بُويع بالخلافة وقت موت أبيه سنة ستٍّ وستين وخمسمئة ولد سنة ثلاثين وخمسمئة، وأمُّه أرمنية، وفي عهده زالت الدولة العبيدية. للمزيد انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج18، ص190-191؛ .الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج21، ص68-71.

([4]) باقاسي، بلاد الحجاز في العصر الأيوبي، ص124؛ المالكي، مرافق الحجّ، ص128.

الآبار الواقعة على طريق مكة التي يسلكها الحجّاج للوصول إلى المدينة المنورة[1]، وعلى هذه الخُطى من الاهتمام بسقاية الحجّاج جاء أمر صاحب إربل المُظَفَّر بحفر بئر ميمون بن الحضرمي[2] في أعالي مكة، وذلك سنة 604هـ/1207م[3] وبعدها بسنة أمر أيضًا ببناء بئرين للحُجّاج في عرفات.[4]

أمّا بالنسبة لعيون الماء والبِرك في مكة، فقد اهتم الخلفاء والسلاطين وكبار المسؤولين بالحفاظ عليها والعمل على صيانتها وذلك لحرصهم على توفير كلّ السبل لسقاية الحجّاج وضمان توافر المياه على الدوام في مكة حتى يتسنى للحجّاج من أداء فريضة الحجّ، حيث نجد السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة 572هـ/1176م قد أوعز إلى المعنيين بالأمر بضرورة إصلاح كلّ بِرك المياه الموجودة في طُرُق مكة[5]، ثم في سنة 594هـ/1198م أمر صاحب اليمن عمر ابن المُظَفَّر[6] بإعمار عين الماء الواقعة في عرفات إضافةً لإصلاح البرك والعمل على اعادة تجديدها[7]. وفي سنة 625هـ/1228م تم اعادة اعمار عين الماء المعروفة بعين بازان[8] بأمر الخليفة العباسي المستنصر بالله[9]،[10] وبعد تعطُّل بِرك المياه في مكة لمدّة قاربت العشرين عامًا، أعاد إقبال بن عبد الله المعروف بالشرابي[11] إعمارها بالكامل سنة 633هـ/1235م وأمر كذلك بإعمار عين عرفة[12].[13]

([1]) باقاسي، بلاد الحجاز في العصر الأيوبي، ص124.

([2]) بئر ميمون الحضرمي: إحدى آبار مكة بطريق مر الظهران. للمزيد انظر: الفاسي، شفاء الغرام، ص548؛ الفاسي، الزهور المقتطفة، ص192.

([3]) الفاسي، شفاء الغرام، ج1، ص551؛ الفاسي، الزهور المقتطفة، ص198.

([4]) الفاسي، شفاء الغرام، ج1، ص551،548؛ الفاسي، الزهور المقتطفة، ص198

([5]) المالكي، مرافق الحج، ص159

([6]) عمر ابن المُظَفَّر: يوسف بن عمر بن رسول الملك المُظَفَّر نصرة الدين بن الملك المنصور صاحب اليمن ولي السلطة بعد أبيه ثم قلّده الخليفة العباسي اليمن، واستمر على سلطته حتى توفي سنة أربع وتسعين وستمئة. للمزيد انظر: الذهبي، العبر، ج3، ص384؛ الفاسي، العقد الثمين، ج6، ص253-254؛ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج7، ص746-747.

([7]) الفاسي، شفاء الغرام، ج1، ص543؛ الصباغ، تحصيل المرام، ج2، ص613

([8]) عين بازان: تُعرَف بعين زبيدة باء موحدة وألف ثم زاي معجمة ثم الألف ونون، عمرها جماعة من الخلفاء والملوك. للمزيد انظر: الفاسي، شفاء الغرام، ج1، ص554 ؛ الفاسي، الزهور المقتطفة، ص199؛ ابن عبد القادر البري، الأرج المسكي، ص83.

([9]) المستنصر بالله: أبو جعفر منصور بن الظاهر محمد بن الناصر أحمد بويع بالخلافة يوم وفاة والده يوم الجمعة الثالث عشر من رجب سنة ثلاث وعشرين وستمئة. للمزيد انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ص2004؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص702.

([10]) بن فهد، إتحاف الورى، ج3، ص44؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج، ص554.

([11]) الشرابي: الأمير شرف الدين إقبال بن عبد الله المتنصرى العباسي، كان شجاعًا كريمًا شريف النفس عالي الهمة، له بمكة مآثر منها الرباط المعروف برباط الشرابي عند باب شيبة عمر في سنة إحدى وأربعين وستمئة ووقف عليه ما قيل أوقافًا بأعمال مكة، منها مياه تعرف بالشرابيات بوادي مر، ووادي نخلة. للمزيد انظر: الفاسي، العقد الثمين، ج3، ص204؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي على المنهل الصافي، دار الكتب المصرية، مصر، 1998، ج2، ص882. سيُشار إليه لاحقًا بـ ابن تغري بردي، الدليل الشافي؛ الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص374؛

([12]) عين عرفة: إحدى عيون الماء في مكة ويعود السبب في تسميتها لتعارف آدم وحواء فيها هكذا زعم. للمزيد انظر: الفاسي، شفاء الغرام، ج1، ص489؛ ابن عبد القادر الطبري، الأرج، ص 83-84؛ الصباغ، تحصيل المرام، ج2، ص615

([13]) الفاسي، شفاء الغرام، ج1، ص543؛ بن فهد، إتحاف الورى، ج3، ص5.

وتعد السيول والأمطار أيضا من مصادر المياه في مكة أيضًا، فعلى الرغم ممّا كانت تُخَلِّفه من خراب فإنها زوّدت الآبار والبِرك في مكة بالماء، حيث تعرضت مكة خلال فترة الحكم الأيوبي (569هـ/1173م إلى 648هـ /1250م) لعدد من السيول نذكر منها:

اولا: سيل سنة 569هـ/1173م: حدث هذا السيل نتيجة الأمطار العظيمة التي جاءت على مكة في هذه السنة، حيث وُصف بأنه لم يأتِ على مكة سيلٌ مثله قطّ.[1]

ثانيا: سيل سنة 570هـ/1174م: تعرّضت مكة في هذه السنة لأكثر من سيلٍ نتيجة موسم مطريٍّ جيّد، فقد سال وادي إبراهيم[2] خمس مرات في نفس السنة.[3]

ثالثا: سيل سنة 593هـ/1197م: وُصف سيل هذه السنة بالعظيم جدًّا لِما خلَّفه من آثار في مكة ودُورِها وحيث وصل إلى المسجدِ الحرام وعَلا الحجرَ الأسودَ ثم دخل الكعبة وحمل معه منابر الخطبة في المسجد وأدراج الكعبة والحق كذلك خرابًا في الدور والمنازل كثيرة لسُكّان مكة، وجاء في وصفه أنّ الناس نتيجة هذا السيل كانوا يطوفون عَومًا.[4]

رابعا: سيل سنة 630هـ/1232م: يعد هذا السيل من السيول المدمرة التي داهمت مكة، اذ خلّف وراءَه عددًا من القتلى من سكانها كما الحق الهدم والخراب في العديد من بيوتها عدد آخر.[5]

ب) توفير الطعام

اخذ المكيون على عاتقهم مهمة اطعام حُجّاج بيت الله الحرام خلال مواسم الحجّ من حيث إعداده وتقديمه لهم في الأسواق[6]، وكانت أسواق مكة تتلقى الدعم الغذائي من المناطق المحيطة بها ذات الأراضي الخصبة التي كانت تُمِدُّها بمحاصيل القمح والشعير هذا بالإضافة التمور والفواكه، بالإضافة

([1]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص61؛ الفاسي، العقد الثمين، ج1، ص62؛ بن فهد، إتحاف الورى، ج2، ص657؛ الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص358؛ المالكي، مرافق الحجّ، ص71.

([2]) وادي إبراهيم: احدى اودية مكة يكون على يسار المار من منى. للمزيد انظر: ابن فضل العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص153

([3]) الفاسي، العقد الثمين، ج1، ص62؛ بن فهد، إتحاف الورى، ج2، ص657.

([4]) الفاسي، العقد الثمين، ج1، ص62؛ بن فهد، إتحاف الورى، ج2، ص662؛ المالكي، مرافق الحجّ، ص71؛ الصباغ، تحصيل المرام، ج2، ص868

([5]) الفاسي، العقد الثمين، ج1، ص63؛ الصباغ، تحصيل المرام، ج2، ص868.

([6]) المالكي، مرافق الحجّ، ص72.

إلى الإمدادات التي كانت تأتي لمكة من الخلفاء والسلاطين حيث كانوا يرسلون الطعام والمؤن لهم سنويًّا لتقديمها للحجّاج[1]، إلّا أنّ بعض السنوات قد شهدت انقطاعًا لتلك الإمدادات التموينية واستنزافًا للغلال في مكة وقد حصل ذلك لأسباب عدة كما حصل سنة 567هـ/1171م والتي حالت الاعتداءات الصليبية دون وصول الطعام إلى مكة حتى جاءت الإمدادات من السلطان صلاح الدين الأيوبي[2]، وفي سنة 569هـ/1173م افتقرت مكة فيها إلى الطعام الامر الذي نتج عنه ارتفاعا كبيرا في الاسعار وبلوغها حدًّا لا يُعقَل من الغلاء، حتى جاءت الصدقات من الخلافة العباسيّة[3] وفي سنة 600هـ/1203م وعندما تعرضت الديار المصرية الى خطر الجفاف وما نتج عنه من انتشار المجاعة انقطعت إمدادات السلاطين الأيوبيين من الطعام عن مكة.[4]

رابعًا: نزول الحُجّاج والمبيت في مكة

دأب الحُجّاج القادمين إلى مكة لأداء مناسك الحج ومن مختلف العالم الإسلامي على الإقامة في منازل ودور يتم استئجارها من أصحابها مقابل مبلغ من المال وظل الأمر كذلك ، حتى مجيء حكم العباسيون الذين منعوا أهل مكة من تأجير بيوتهم[5] لأنهم رأوا في ذلك حُرمة[6]، وعِوضًا عن ذلك أُقيمت الأربطة التي كانت تُستخدَم أيام الحجّ مساكنَ للحجّاج والمنقطعين وانتشرت في مكة الكثير ومن الأربطة التي استمرت تؤدي دورها في استضافة الحجاج حتى في ظل حكم الأيوبيين . ومن هذه الأربطة:

([1]) المالكي، مرافق الحجّ، ص73.

([2]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص37؛ بن فهد، إتحاف الورى، ج2، ص533؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج1، ص431.

([3]) بن فهد، إتحاف الورى، ج1، ص534؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج1، ص431.

([4]) الفاسي، شفاء الغرام، ج1، ص432.

([5]) ذهب جمهور العلماء من السلف والخلف إلى أنه لا يجوز بيع أراضي مكة أو ايجارة بيوتها هذا مذهب مجاهد وعطاء أهل مكة، وروي أن رباع مكة كانت تدعى السوائب على عهد الرسول عليه الصلة والسلام وأبو بكر وعمر من احتاج سكن ومن استغنى أسكن. للمزيد انظر: الفاسي، العقد الثمين، ج1، ص197؛ يوضح المالكي السبب وراء ذلك وهو استنادهم للحديث الشريف، عن عبد الله بن زياد عن عبد الله بن عمر عن النبي -عليه الصلاة والسلام-: "من أكل من أُجور بيوت مكة شيئًا فكأنما أكل نارًا". للمزيد انظر: المالكي، مرافق الحجّ، ص77.

([6]) المالكي، مرافق الحجّ، ص77.

أ) رباط الحضارمة: أسسه تُجّار وأهالي حضرموت كمركز للعلم ومبيتًا لحجّاج بيت الله ، ويعود تاريخ البناء إلى سنة 570هـ/1174م.[1]

ب) رباط الخاتون: بانية هذا الرباط هي الخاتون فاطمة بنت الأمير أبي ليلى محمد بن أبي مروان الحسني[2] وسُمّي نسبةً لاسمها، ويقع عند باب العمرة وكان ينزل فيه الحُجّاج الصوفية وغيرهم خلال موسم الحجّ ويعود تاريخ انشاؤه إلى سنة 577هـ/1181م.[3]

ج) رباط قايماز: هذا الرباط من بناء الأمير السلجوقي قايماز بن عبد الله بن قليج أرسلان الشامي السلجوقي[4] أوقفه في المُعَلّاة سنة 578هـ/1182م حيث خصصت لمبيت الحُجّاج على المذهب الحنفي في أيام الحجّ[5].

د) أربطة الأخلاطي: وتتكون من ثلاثة أربطة تم وقفها في سنوات مُختلفة ففي سنة 578هـ/1182م أنشأ الرباط الأول منها وقد خصص للنساء دون الرجال واشتُرط أن يكون لنساء الحنفية خاصّة، والرباط الثاني كان في نفس السنة ولكن خصص للحُجّاج القادمين من مدينة أخلاط[6] والرباط[7] الأخير تم البدء بوقفه للحجاج في سنة 590هـ/ 1194م.[8]

([1]) الفاسي، شفاء الغرام، ج1، ص531؛ المالكي، مرافق الحجّ، ص81.

([2]) فاطمة بنت الأمير أبي ليلى: هي فاطمة بنت الأمير أبي ليلى محمد بن أبي مروان الحسني، أحد المجاورين في مكة أوقفت سنة سبع وسبعين وخمسمائة جميع الدور لباب السدة على يمين الداخل إلى المسجد الحرام من باب السدة والخارج منه وحملته على الصوفية من الرجال الصالحين من عرب وعجم. للمزيد انظر: بن فهد، الدر الكمين بزين العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر، بيروت، 2000م، ص1518. سيشار إليه لاحقا بـ بن فهد، الدر الكمين.

([3]) الفاسي، شفاء الغرام، ج1، ص529؛ حرب، بلاد الحجاز واليمن، ص139.

([4]) قايماز بن عبد الله بن قليج أرسلان الشامي السلجوقي: مولى المستنجد بالله ملك الأمراء قطب الدين ارتفع شأنه على في دولته استاذه فلما استخلف المستضيء عظم قايماز وصار هو الكل كان سخيًا كريمًا. للمزيد انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج21، ص66.

([5]) الفاسي، شفاء الغرام، ج1، ص533.

([6]) أخلاط: تعرف قديمًا باسم خلاط، وهي من مدن أرمينيا تقع في الإقليم الخامس وهي من فتوح عياض بن غنم. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص380-381؛ الحميري، الروض المعطار، ص220.

([7]) الرباط: وهي بلاد المغرب العربي في أخر حدود إفريقيا إلى أخر جبال السوس التي ورائها البحر المحيط وتدخل فيه جزيرة الأندلس. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص161.

([8]) الفاسي، العقد الثمين، ج1، ص283؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج1، ص533؛ الفاسي، الزهور المتقطفة، ص191-192؛ حرب، بلاد الحجاز واليمن، ص193.

هـ) رباط الزنجيلي: بناه عثمان بن علي الزنجيلي[1] سنة 579هـ/1183م ويقع عند عند باب العمرة وقد خُصِّص للحجاج الأحناف فقط.[2]

و) رباط الناصر لدين الله: أمر بإنشائه والوقف عليه الخليفة العباسي الناصر لدين الله سنة ٥٧٩هـ حتى يكون مسكنًا ومبيتًا للحُجّاج في أثناء تأديتهم المناسك[3].

ز) رباط البخارية: أسسه تُجّار بُخارَى[4] سنة 577هـ/1181م لإقامتهم فيه أداء تأديتهم مناسك الحجّ[5].

ح) رباط الأصفهاني: أنشأه الوزير الزنكي جمال الدين محمد بن منصور الأصفهاني[6]، وخصصت له الأوقاف في أواخر القرن السادس الهجري وكان مبيتًا لحُجّاج بيت الله[7].

خامسًا: البيمارستان وتقديم الخدمات الصحية للحجاج في مكة

ادى حكام الدولة الأيوبية اهتماما كبيرا في توفير الخدمات الصحية لكافة الشعوب التي دخلت تحت سيطرتهم ابتداء من الديار المصرية وتحويل قصر الخليفة العاضد إلى بيمارستان[8] ثم انتشرت في بقية الديار الشامية حتى وصلت رعايتهم الصحية إلى مدينة مكة من خلال تأمين المستلزمات الطبية إلى البيمارستان الأوحد في مكة خلال العصر الأيوبي لخدمة الحجّاج وأهالي مكة، وهو البيمارستان

([1]) عثمان بن علي الزنجبيلي: الأمير عثمان بن علي النجيلي نسبة إلى زنجيله قرية من قرى دمشق، ويقال له الزنجاري أحد الأمراء الذين قدموا مع شمس الدولة توران شاه بن أيوب غلى اليمن استخلفه على عدن ونواحيها. للمزيد انظر: البنداري، سنا البرق الشامي، ص192؛ الطيب بامخرمة، أبي محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي الهجراني الحضرمي الشافعي (ت:947هـ/1540م)، قلائد النحر في وفيات أعيان الدهر، تحقيق: جمعة مكري، دار المنهاج، جدة، 2008م، ج4، ص83. سيشار إليه لاحقا بـ الطيب بامخرمة، قلائد النحر.

([2]) الفاسي، العقد الثمين، ج1، ص282؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج1، ص529؛ الفاسي، الزهور المتقطفة، ص189؛ الصباغ، تحصيل المرام، ج2، ص189.

([3]) الفاسي، العقد الثمين، ج1، ص281؛ الفاسي، الزهور المتقطفة، ص189؛ الصباغ، تحصيل المرام، ج2، ص624.

([4]) بخارى: بالضم وهي اعظم مدن ما وراء النهر وأجَلُّها وهي قاعة ملك السامانية في الاقليم الخامس طولها سبع وثمانون درجة عرضها إحدى وأربعون درجة. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص359.

([5]) المالكي، مرافق الحجّ، ص81.

([6]) جمال الدين محمد بن منصور الأصفهاني: وهو الجواد جمال الدين ابو جعفر محمد بن علي الأصفهاني، وزير صاحب الموصل أتابك زنكي توفي في البقيع سنة 558هـ . للمزيد انظر: الذهبي، العبر، ج3، ص30؛ الفاسي، العقد الثمين، ج2، ص275؛ ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص308.

([7]) الفاسي، شفاء الغرام، ج1، ص533؛ الفاسي، العقد الثمين، ج1، ص281 ؛ الفاسي، الزهور المتقطفة، ص189.

([8]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص84؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان؛ ج21، ص242؛ ابو شامة، الروضتين، ج2، ص571-572؛ المقريزي، السلوك، ج1، ص173؛ ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص51؛ الانطاكي، نزهة الأذهان، ص19؛ عيسى بك، تاريخ البيمارستان، ص76-78.

الذي بناه الخليفة العباسي المستنصر بالله شمال المسجد الحرام، ويعود تاريخ بنائِه إلى فترة حكم السلاطين الأيوبيّين سنة 628هـ/1231م.[1]

سادسًا: مناسك الحجّ في العصر الأيوبي

يتبع حجاج العالم الإسلامي منذ العصر النبوي وحتى يومنا هذا تلك المناسك التي علمها الرسول –عليه الصلاة والسلام– للمسلمين حين بيّن للناس مناسك الحجّ في حجّة الوداع وقوله للمسلمين: "خُذوا عني مناسككم" لكن الخرافات والبدع التي آمَن بها الناس في القِدم كانت تُحدِث تغييرًا على مناسك الحجّ المُتَعارَف عليها، وهنا تعرض الدراسة التغييرات التي طرأت على مناسك الحجّ خلال الفترة الزمنية التي حكم بها السلاطين الأيوبيّون:

أ) الانتقال من مكة إلى عرفات دون المبيت في منًى

شكلت مكة نقطة تجمُّع وانطلاق الحجاج للمشاعر الحرام، والثابت في مناسك الحجّ هو مبيت الحُجّاج في منًى يوم التروية[2]، ولكنّ الحُجّاج خلال فترة حكم الأيوبيين كانوا يخرجون من مكة إلى عرفات مباشرة بسبب الفِتن التي كانت تحدث بين أمراء مكة واعتداء الأعراب في مكة عليهم، ومثال ذلك ما حدث في سنة 579هـ/1183م، إذْ غادرت قوافل الحجّاج مكة وتوجهت إلى عرفات خوفًا من تعرُّض بني شعبة[3] لهم[4].

([1]) بن فهد، إتحاف الورى، ج3، ص49؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج1، ص583؛ الفاسي، الزهور المتقطفة، ص196؛ الفاسي، العقد الثمين، ج5، ص441؛ جلال، مرافق الحجّ، ص420.

([2]) يوم التروية: يوم الترويه: وهو يوم الثامن عشر من ذي الحجة الذي يذهب به الحجاج إلى منى للمبيت فيها وذكر ابن قدامة في المغنى سبب تلك التسمية اذ قال أنهم كانوا يتروون من الماء فيه ليوم عرفة وقيل أنه سمي بذلك لأن إبراهيم عليه السلام أنه رأى في تلك الليلة في المنام ذبح ابنه فأصبح يروي في نفسه هو حلم أو من الله. للمزيد انظر: إسلام ويب، رقم الفتوى 61684، الثلاثاء 25 ربيع الاول 1426هـ- 3 حزيران 2005 / تاريخ الوصول: 2020/10/21 الساعة عشرة ونصف.

([3]) بنو شعبة: بطن من بطون تغلب من العدنانية وهم بنو شعبة بن مهلهل بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن غنم بن ثعلب. للمزيد انظر: القلقشندي، نهاية الأرب، ص307.

([4]) ابن جبير، الرحلة، ص150؛ بن فهد، إتحاف الورى، ج2، ص549-555.؛ دحلان، خلاصة الكلام، ص77.

ب) المرور في بطن عرنة

"عرفات كلها موقف وارتفِعوا عن بطن عرنة"[1] أشار رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في حديثه هذا إلى نهي الحُجّاج عن المرور ببطن عرنة[2] وعدّ حجّ من مَرّ به حجًّا باطلًا، وهذا ثابتٌ عند أهل السُنّة، ولكن الجمّالين[3] في بعض السنوات التي كان يحدث فيها زحام في صفوف الحُجّاج حيث كانوا يُضطَرّون للمرور به لأن يتجنبوا التصادم بين الحُجّاج، وبذلك كان يبطلُ حجّ كُلّ من مرّ به من الحُجّاج. ولكي يتبيّن للناس حدود مرورهم بعرفات، كان يُوضع علَمان للدلالة على حدود عرفات لهم منعا للوقوع في الخطأ[4].

ج) المبيت بعرفات بعد غروب شمس يوم عرفة

يبدأالحُجّاج في الخروج من عرفات نحو مزدلفة[5] ومن ثم المبيت فيها بعد مغيب الشمس، لكن الحُجّاج كانوا يتجاوزون ذلك ويبيتون في عرفات ولا يبيتون في المزدلفة نتيجة الفتن التي حصلت في مكة التي أشرنا إليها سابقًا والتي كانت من ضمن المخاطر التي تعرّض لها حُجّاج بيت الله الحرام.[6]

د) الحجّ بدون رمي الجمرات

كان الحُجّاج بعض السنوات يُتِمّون حجّهم دون رمي الجمرات، وأحيانًا يقومون برمي الجمرة الكبرى فقط ويعود هذا التقصير إلى ما كان في مكة من فتن وقلاقل في سنة 607هـ/1210م، وقد بيّن الباحث هذه الواقعة سابقًا ضمن المخاطر التي كان يتعرّض لها الحجاج.[7]

([1]) الكاندهلوي، محمد زكريا المدني، أوجز المسالك إلى موطأ مالك: اعتناء: تقي الدين الندوي، دار القلم، دمشق، 2003م، ج8، باب الحج، ص17. سيشار إليه لاحقا بـ الكاندهلوي، أوجز المسالك.

([2]) عرنه: موضع في عرفة وهو أحد جبالها. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص449 ؛ ج4، ص104

([3]) الجمالين: وهم مجموعة من الأشخاص يقومون على الاهتمام بجمال القوافل وتسيرها وسقيتها أثناء رحلة الحج في الطريق. للمزيد انظر: الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص188-191.

([4]) ابن جبير، الرحلة، ص151؛ الفاسي، الزهور المقتطفة، ص183؛ الكشميري، فيض الباري، ج3، ص144-145؛ حرب، بلاد الحجاز واليمن ، ص186.

([5]) مزدلفة: موضع قرب منى وقيل سمي بالمزدلفة لإزدلاف الناس في منى بعد الافاضة وقيل لاجتماع الناس فيه وقيل لازدلاف آدم وحواء فيها أي لاجتماعهما. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص120-121.

([6]) الفاسي، العقد الثمين، ج1، ص141؛ ابن جبير، الرحلة، ص151-155.

([7]) بن فهد، اتحاف الورى، ج3، ص10.

هـ) تجاوز الإقامة بمنًى بعد النحر

من الأمور المُستحَبُّة لدى الحجاج في مناسك الحجّ بعد الاتمام من النحر هو الإقامة في منًى نحو ثلاثة أيام من أجل القيام برمي سبعين حصاةً كما فعل ذلك نبينا العظيم محمد –عليه الصلاة والسلام– في حَجّة الوداع، ولكن كان الحُجّاج يتجنّبون ذلك خوفًا من غارات الأعراب، فكانوا يغادرون منًى بعد المكوث فيها يومين.[1]

سابعًا: المُدّة التي تقضيها القوافل في مكة

تقدر المُدّة التي يقضيها الحُجّاج في تأدية فريضة الحجّ بعشرين يومًا منذ اليوم الأول بدخولهم إلى مكة حتى انتهائهم من أداء مناسكهم ومن ثم الرحيل عنها عائدين إلى ديارهم، فيبدؤون مناسكهم ويدخلون إلى مكة في الأول من شهر ذي الحجّة، وبعد الانتهاء من اداء المناسك يغادر الحجيج الديار المقدسة[2] عائدين إلى ديارهم في العشرين منه، ويشير ابن جبير إلى ذلك خلال حجّه سنة 587هـ/1191م أيّام الأيوبيين فيقول:

"وفي عشيّ يوم الأحد الموفي عشرين من الشهر المذكور، وهو أول أبريل، فإنّ مسيرنا إلى محلة الأمير العراقي بالزاهر وهو على نحو الميلين من البلد، وقد كمل اكتراؤها إلى الموصل، وهو أمام بغداد بعشرة أيام، عرّفنا الله الخير والخيرة بمنّه، فأقمنا بالزاهر ثلاثة أيام نُجدِّد العهد كل يوم بالبيت العتيق، ونعيد وداعه. فلما كان ضحوة يوم الخميس الثاني والعشرين من ذي الحجّة المذكور، أقلعت المحلة على تُؤَدة ورفق بسبب البُطْء والتأخر، ونزلت على نحو ثمانية أميال من الموضع الذي أقلعت منه بمقربة من بطن مرة، والله كفيل بالسلامة والعصمة بمنِّه".[3]

([1]) الفاسي، العقد الثمين، ج1، ص341؛ دحلان، خلاصة الكلام، ص77

([2]) ابن جبير، الرحلة، ص160؛ ابن بطوطة، الرحلة، ج1، ص184.

([3]) ابن جبير، الرحلة، ص160؛ ابن بطوطة، الرحلة، ج1، ص184.

وذكر ابن بطوطة في رحلته من خلال حجّه سنة 426هـ/1035م:

"وفي المُوفّي عشرين لذي الحجّة (٢٣٦) خرجتُ عن مكة صُحبة أمير ركب العراق البهلوان (237) محمد الحويح بحاءين مهملين، وهو من أهل الموصل، وكان يلي إمارة الحاج بعد موت الشيخ شهاب الدين قَلّندر. وكان شهاب الدين سخيًّا فاضلًا عظيم الحرمة عند سلطانه يحلق لحيته وحاجبيه على طريقة القلندرية، ولما خرجتُ من مكة –شرّفها الله تعالى– في صحبة الأمير البهلوان المذكور اكترى لي شقة محارة (238) إلى بغداد، ودفع إجارتها من ماله وأنزلني في جواره".[1]

ونلاحظ من النصين السابقين أن موعد انطلاق عودة القوافل إلى بلادها كان ثابتًا فكلا الرحالتين ابن جبير وابن بطوطة وعلى الرغم من اختلاف زمن ادائهما للحج ذكرا أن الموعد الذي تبدأ به قوافل الحج بالخروج من مكة هو في العشرين من ذي الحجة.

ثامنًا: الطريق التي تسلكه القوافل أثناء العودة إلى ديارهم.

أ) طريق عودة القوافل الشامية

تسلك القوافل الشامية في عودتها من مكة نفس طريق الذهاب، ويمتاز طريق عودة القوافل الشامية من مكة باختصار الوقت والمسافة؛ ويعود ذلك لعدم مروره بكلّ المحطّات التي مرّ خلالها في الذهاب، فبعد الانتهاء الحُجّاج من أداء المناسك تعود جموع الحُجّاج إلى المدينة المنورة، وهذا ما يميز أيضًا قافلة بلاد الشام عن سائر القوافل، فهي تمرّ مرّتين بمدينة رسول الله –عليه الصلاة والسلام– ومسجده، مرة في الذهاب ومرة في الإياب، ويتوجّهون منها إلى الحسا دون توقُّف، يواصلون بعد الحسا مسيرهم ليومين ثم يصلون زيزياء، وبعدها زيزياء يصلون الزرقاء ومنها يواصلون السير لمدة أربعة أيّام وثم يصلون في النهاية إلى دمشق مكان التقائهم.[2]

([1]) ابن جبير، الرحلة، ص184.

([2]) بن فضل العمري، مسالك الأبصار، ج2، ص343-345.

ب) طريق عودة قوافل الديار المصرية

تسلك قوافل الحُجّاج المصريين في إيابها إلى مصر نفس الطريق الذي سلكته في الذهاب، حيث يتوجّه الحُجّاج بعد الانتهاء من مناسكهم إلى ينبع، ثم ينتظمون في طريق عودتهم حتى القاهرة مقرّ التقائهم قبل انطلاقهم.[1]

تاسعًا: مُبشِّر الحجّ

ظهرت وظيفة مبشر الحج منذ العهد الراشدي وسار من بعدهم على هذا النهج حتى العصر الأيوبي إذ كان يتم مبشر للحج يسبِقُ عودةَ قوافل الحجّ إلى ديارها ، وهو الشخص الذي يتولّى نقل أخبار الحُجّاج إلى السلطان ثم يقوم بنقل ما تعرضوا له من متاعب ومخاطر في طريقهم من مصر والشام إلى مكة والعكس، إضافة إلى نقل أخبار البلاد التي يمرّون بها وكذلك الأخبار عن حالات الوفيات التي حدثت بين صفوف الحُجّاج وأخبار أمير الحجّ وما تم انجازه من أعمال أثناء رحلة الحجّ أو خلال فترة المكوث في مكة، كذلك مدى رضا الحُجّاج عنه، وينقل المُبشِّر أخبار أُمراء مكة والفتن التي حصلت ويُعْلِم السلطان وأهالي المناطق بقرب وصول الحجّاج وقوافلهم، وقد يواجه المُبشّر أخطار الطريق من قُطّاع الطرق والأعراب الذين يُعيقون وصوله في ميعاده قبل القوافل. وبناءً على تلك الأخبار التي ينقلها للسلطان، كان يَعزل أمير الحجّ أو يُبقيه بحسب أدائِه لمُهِمّاته خلال رحلة الحجّ ومدى رضا الحُجّاج عمّا قدّمه[2]، وكان جزء من وظيفة مُبشّر الحجّ معروف منذ عهد الخلفاء الراشدين، إذْ أصبحتْ تقليدًا سنويًّا مُلازمًا بأن تأتي أخبار الحُجّاج للسلطان والخليفة قبل وصولهم[3] وقد ذكر القلقشندي في كتابه صبح الأعشى بعض العبارات التي كان أهالي البلاد يهنأون بها الحجاج بعد عودتهم، ومنها:

([1]) بن فضل العمري، مسالك الأبصار، ج2، ص341-343؛ القلصادي، رحلة القلصادي، ص 147-148

([2]) الجزيري، درر الفرائد، ج1، ص223-224؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص312؛ المالكي، بلاد الحجاز، ص114؛ زعرور، إبراهيم، "الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي"- رسالة دكتورا، إشراف: سهيل زكار، قسم التاريخ- كلية الآداب، ، جامعة دمشق، دمشق، 1990م، ص159. سيشار إليه لاحقا بـ زعرور، الحياة الاجتماعية.

([3]) العبدلي، إمارة الحج، ص58.

"جعل الله سعيك مشكورا وحجك مبرورا ونسكك مقبولا وأجرك مكتوبا وأجزل من المثوبة جزاؤك ومن عاجل الأجر وآجله عطاؤك وقرن بالطاعة عزماتك وبالسعي إلى الخير نهضاتك".[1]

عاشرًا: استقبال الحُجّاج بعد العودة من الحجّ

جرت العادة عند الحكام المسلمين في استقبال الحُجّاج بعد عودتهم في نفس المكان الذي انطلقوا منه نحو مكة، ومن مراسم استقبالهم تزيين المحلات والدكاكين ويخرج سكان البلاد من الرجال والنساء ثم يقومون بتنظيف الشوارع بالمياه حتى يُنظر إليها كانها نهرًا جاريًا في الطرقات ثم يخرج السلطان في استقبالهم، فيُذكر أنه في سنة 589هـ/1193م خروج السلطان صلاح الدين الأيوبي لاستقبال الحجاج عند عودتهم كما وأمر بتزيين جميع الطرقات التي يمُرّون فيها في عودتهم.[2]

ومن العادات المرتبطة باستقبال أهالي البلاد للحجاج إذ أنهم يعطون الحاج عند وصوله قطعة من الخبز ويطلبون منه أن يضعها في فمه ثم يأخذونها ويأكلونها كنوع من التبرك بالحجاج.[3]

([1]) القلقشندي، صبح الأعشى، ج9، ص32.

([2]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص224-225؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص357؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص22؛ ابو شامة، الروضتين، ج4، ص211. .

([3]) السرحان، خضر عيد، دمشق من خلال كتب الرحلات في العصرين الأيوبي والمملوكي (بين القرنين السادس والثامن هـ- الثاني عشر والرابع عشر م)- رسالة ماجستير، إشراف: محمد الأرناؤوط، جامعة العلوم الإسلامية، عمان- الأردن، 2013م، ص200. سيشار إليه لاحقا بـ السرحان، دمشق.

الخاتمة:

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .. وبعد

بعد هذه الدراسة للحج وقوافل الحجيج خلال فترة العصر الايوبي لابد لنا من الوقوف على ابرز النتائج التي خرج بها الباحث، وهي على النحو الاتي :

أولا: بينت الدراسة جهود صلاح الدين الأيوبي والدور الذي قام به في سبيل حماية قوافل الحج والطرق المؤدية الى الديار المقدسة.

ثانيًا: اهمية المرافقين لقوافل الحج ودورهم في خدمة وحماية الحجاج وتكامل عملهم مع عمل امير الحج.

ثالثًا: سلك الحجاج المصريين والشاميين في العصر الايوبي طرق للوصول للديار المقدسه تختلف عن سابقها من العصور وذلك تبعا للظروف والتغييرات التي حصلت خلال فترة حكم السلاطين الايوبيين وأثرت بدورها على الطرق المؤدية الى مكة.

رابعًا: لم تخلوا رحلة حجاج الديار المصريه وبلاد الشام في العصر الأيوبي من المخاطر التي تعرضوا لها سواء في طريقهم الى الديار المقدسة او خلال تواجدهم في مكة وتمثلت هذه المخاطر بالمخاطر الطبيعيه والفتن والحروب و مخاطر الاعراب.

خامسًا: ابدا السلاطين الايوبيين اهتماما وعناية بقوافل الحج والحجاج وتمثل هذا الاهتمام بتقديم كل سبل تسهيل رحلة الحجاج من خدمات الطرق وإصلاحها، وتقديم المساعدات، وإصلاح البرك والآبار، ودرء الفتن الحاصلة في مكة، ومحاولة ابعاد الخطر الصليبي عن طرق القوافل وعن التعرض بالأذى بالحجاج سواء المصريين او الشاميين.

سادسًا: بلاد الحجاز وتحديدا مكة كانت محط انظار للسلاطين الايوبيين وسيطرتهم حيث انهم تدخلوا بالشؤون الداخلية فيها وفي تعيين وعزل امراءها التي كانت تتأرجح العلاقات بينهم وبين السلاطين الايوبيين بين مد وجزر.

سابعًا: تمتع الحجاج خلال العصر الأيوبي بخدمات مختلفة خلال فترة اقامتهم في مكة وتأديتهم المناسك فوفرت لهم المساكن وأماكن الاقامة والمبيت بالإضافة لتوفير المياه والطعام للحجاج وكافة ما يحتاجونه من مرافق عامة.

ثامنًا: عرض أبرز الوظائف التي ظهرت خلال العصر الأيوبي .

تاسعًا: بيان مناسك الحج وما طرأ عليها من تغيير في العصر الايوبي اضافة الى ما ارتبط بها من تقاليد واحتفالات منذ انطلاق القوافل في رحلة الحج من القاهرة ودمشق حتى عودة المبشر بأخبار رحلة الحج ووصول الحجاج لبلادهم سالمين.

القرآن الكريم:

الأحاديث النبوية:

قائمة المصادر:

(1) الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح (ت: 852هـ/1448م)، المستطرف في كل فن مستظرف، وضع هوامشه: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

(2) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الله الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري (ت: 630هـ/1232م):

– الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1997م.

– الكامل في التاريخ، تحقيق: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

(3) الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس (ت: 561هـ/1165م) ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م،

(4) الأصفهاني، عماد الدين ابو حامد محمد الأصفهاني (ت:597هـ/1200م):

– البستان الجامع لجميع تواريخ اهل الزمان، تحقيق: محمد عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، 2002م.

– حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس (الفتح القسي في الفتح القدسي)، دار المنار، د.م، 2004م.

(5) الأنطاكي، داوود بن عمر (ت: 1008هـ/1099م)، نزهة الأذهان في إصلاح الأبدان، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2007م.

(6) ابن إياس الأزدي، أبي زكريا يزيد بن محمد (ت: 334هـ/945م)، تاريخ الموصل، تحقيق: أحمد عبد الله محمود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م.

(7) ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي (ت: 930هـ/1524م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتب، مصر، 1984م.

(8) البابرتي، محمد اكمل الدين بن محمود بن احمد الحنفي (ت: 786هـ/1384م)، العناية في شرح الهداية: في المسائل الفقهية ودلائلها النقلية والعقلية، بيتست ميشن بريس، كلكتة، 1837م.

(9) ابن بابويه، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت: 381هـ/991م)، من لا يحضره الفقيه، تحقيق : حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1986م.

(10) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256هـ/870م)، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، 2002م.

(11) ابن بطوطة، محمد بن عبد الله الطنجي (ت: 779هـ/1377م)، رحلة ابن بطوطة المسى بتحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، 1904م.

(12) البكري، ابو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز (ت: 487هـ/1094م):

– معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

– المسالك والممالك، تحقيق: جمال طلبه، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.

(13) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت: 279هـ/892م)، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهل زكار، رياض زركلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996م.

(14) البنداري، الفتح بن علي (ت: 643هـ/1245م)، سنا البرق الشامي (من كتاب البرق الشامي للأصفهاني)، تحقيق: فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1979م.

(15) ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي (ت: 874هـ/1469م):

– الدليل الشافي على المنهل الصافي، دار الكتب المصرية، مصر، 1998م.

– ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة:

– المؤسسة المصرية العامة، مصر، د.ت.

– دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

– المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، الهيئة المصرية للكتاب، 1984م،

(16) ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الاندلسي (ت: 641هـ/1217م)، الرحلة، دار صادر، بيروت، د.ت.

(17) ابن الجزري، شمس الدين أبو عبد الله محمد إبراهيم بن أبي بكر الجزري القرشي (ت: 738هـ/ 1337م)، تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه– المعروف بتاريخ ابن الجزري، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، 1998م.

(18) الجزيري، محمد بن عبد القادر بن محمد الأنصاري (ت: 977هـ/ 1569م)، درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وتاريخ مكة المكرمة، تحقيق: محمد حسن محمد إسماعيل، بيروت، دار الكتب العلمية، 2002م.

(19) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ/ 1200م)، المُنتَظِم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

(20) الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم (ت: 900هـ/1496م)، الروض المعطار بخبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، د.ن، لبنان، د.ت.

(21) ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي (ت: 367هـ/978م)، صورة الأرض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

(22) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت: 463هـ/1070م)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م.

(23) ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله مولى أمير المؤمنين (ت: 300هـ/912م)، المسالك والممالك، مطبعة بريل المسيحية، ليدن، 1889م.

(24) ابن خلدون، أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن محمد الإشبيلي التونسي الظاهري المالكي (ت: 808 هـ/ 1405م)، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر:

– اعتناء: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، عمان– الأردن، د.ت.

– مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000م.

– نسخة المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2003م.

(25) الخزنداري، الأمير شهاب الدين قرطاي العزي (ت: 708هـ/1308م)، تاريخ مجموع النوادر مما جرى للأوائل والأواخر، تحقيق: هورست هاين، محمد الحجيري، كلاوس شفارتس للنشر، برلين، 2005م.

(26) الخزرجي، علي بن الحسن الخزرجي (ت: 812هـ/1410م)، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تصحيح: محمد بسيوني عسل، مطبعة الهلال مصر، 1911م.

(27) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت: 681هـ/ 1282م)، وَفَيَات الأعيان وأنباء أبناء هذا الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت .

(28) الخوارزمي، محمد بن إسحاق (ت: 827هـ/1424م)، إثارة الترغيب والتشويق إلى المساجد الثلاثة والبيت العتيق، تحقيق: مصطفى محمد الذهبي، المكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، 1998م.

(29) ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي المحيوي (ت: 809هـ/1406م)، الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، جامعة أم القرى- مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، 1982م.

(30) الدمشقي، عبد القادر بن محمد النعيمي (ت: 978هـ/1570م)، الدارس في تاريخ المدارس، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.

(31) الدميري، كمال الدين (ت: 808هـ/1405م)، الحيوان الكبرى، المطبعة العامرية، مصر، 1306هـ/ 1888 م.

(32) الدواداري، أبو بكر عبد الله بن أيبك الدواداري (ت: 736هـ/1335م)، كنز الدرر وجامع الغرر (الدرة اليتيمة في أخبار الأمم القديمة):

- تحقيق: إدوارد بدين، قسم الدراسات الإسلامية في المعهد الإسلامي، القاهرة، 1994م.

- تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، مركز ودود للمخطوطات، القاهرة، 1972م.

(33) الذهبي، شمس الدين بن محمد بن عثمان (ت: 748هـ/1674م):

- سير أعلام النبلاء: تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م.

، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م.

- تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام (المغازي)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1990م.

- العبر في أخبار من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م.

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: غنيم عباس غنيم، مجدي السيد أمين، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، 2003م.

(34) الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، مطبع وادي النيل، القاهرة، 1287هـ-1861م.

(35) سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المُظَفَّر يوسف بن علي بن عبد الله (ت: 654هـ /1256م)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان:

- تحقيق: عمار ريحاوي، دار الرسالة العلمية، د.م، د.ت.

-نسخة مكتبة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1951م.

(36) ابن سباهي زاده، محمد بن علي البرسوي (ت: 997هـ/1589م)، أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، تحقيق: المهدي عيد الرواضية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006م.

(37) السخاوي، أبو الخير محمد بن عبد الرحمن شمس الدين (ت: 902هـ/1496م)، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1958م.

(38) السمعاني، أبي سعد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي (ت: 562هـ/1166م)، الأنساب، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، دار الفكر، بيروت، د.ت.

(39) السمعاني، أبي مظفر منصور بن محمد المروزي التميمي الحنفي الشافعي (ت: 489هـ/1096م)، تفسير السمعاني، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م.

(40) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ/1505م):

- لب اللباب في تحرير الأنساب، تحقيق: محم أحمد عبد العزيز، أشرف أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

- تاريخ الخلفاء، إشراف: محمد غسان نصوح عسقول الحسيني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2013م.

– حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1967م.

(40) أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي الدمشقي الشافعي (ت: 665هـ/1266م):

– تراجم رجال القرنين السادس والسابع، المعروف بالذيل على الروضتين:

– وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م.

– مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، د.م، 1947م.

– الروضتين في أخبار الدولتين: النورية والصلاحية، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م.

(41) ابن شاهين الظاهري، غرس الدين خليل (ت: 893هـ/1488م)، كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، المطبعة الجمهورية، باريس، 1892م.

(42) ابن شداد، ابو المحاسن بهاء الدين (ت: 608هـ/1211م)، سيرة صلاح الدين الأيوبي المسمى بـ النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، مؤسسة هنداوي للتعليم الثقافي، مصر، 2012م.

(43) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت: 764هـ/1362م)، الوافي بالوَفَيَات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000م.

(44) ابن الصيرفي، نور الدين علي بن داود الجوهري (ت: 900هـ/1494م)، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشي، مركز تحقيق التراث، القاهرة، 1970م.

(45) الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت: 310هـ/922م)، تاريخ الطبري، بيت الإفكار الدولية، الأردن، د.ت.

(46) الطيب بامخرمة، أبي محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي الهجراني الحضرمي الشافعي (ت:947هـ/1540م)، قلائد النحر في وفيات أعيان الدهر، تحقيق: جمعة مكري، دار المنهاج، جدة، 2008م.

(47) ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد بن طولون الصالحي (ت: 953هـ/1546م)، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

(48) بن النظيف الحموي، ابو الفضائل محمد بن علي، التاريخ المنصوري – تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، تحقيق: انور العيد، مطبعة الحجاز، دمشق، 1981م.

(49) ابن عبد الحكم، عبد الرحمن (ت: 257هـ/871م)، فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د.ت.

(50) ابن عبد الظاهر، محي الدين ابو الفضل عبد الله بن عبد الظاهر المصري (ت: 692هـ/ 1293م)، الروضة البهية الزاهرة في خطط القاهرة المعزية، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، دار العربية للكتاب، القاهرة، 1996م.

(51) عبد القادر الطبري، علي بن عبد القادر (ت: 1070هـ/1659م)، الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء، تحقيق: أحمد الجمّال، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، 1996م.

(52) العبدري (ت: 720هـ/1320م)، الرحلة المغربية، تقديم: سعد بوفلاق، منشورات بونة، الجزائر، 2007م.

(53) ابن العبري، غريغروس غريغوريس الملطي (ت: 685هـ/1286م)، تاريخ مختصر الدول، دار المسيرة، بيروت، د.ت.

(54) ابن العديم، عمر بن أحمد (ت: 660هـ/1261م)، زبدة الحلب في تاريخ الحلب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.

(55) العاصمي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي المكي (ت: 1111هـ/1699م)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

(56) ابن عساكر، فخر الدين أبو منصور عبد الرحمن بن الحسن الدمشقي (ت: 620هـ/1223م)، الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين، دار الفكر للطباعة النشر، دمشق، 1986م.

(57) العسقلاني، الحافظ ابو الفضل أحمد بن علي بن حجر بن شهاب الدين العسقلاني الشافعي (ت: 852هـ/1448م)، تهذيب التهذيب، تحقيق: إبراهيم الزيبق، عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.

(58) ابن عماد الحنبلي، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي (ت: 1089هـ/1678م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، 1986م.

(59) العيني، بدر الدين محمود (ت: 855هـ/1451م)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2009م.

(60) الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت: 977هـ/1061م)، لطف السمر وقطف الثمر: من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1981م.

(61) الفاسي، ابو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي (ت: 832هـ/1428م):

– العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

– ليل التقييد في رواة السنن والأسانيد، تحقيق: كمال يوف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.

– الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 2001م.

– شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق: عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1985م.

(62) أبو الفداء، إسماعيل بن علي (ت: 732هـ/1331م)، المُختصَر في أخبار البشر، تحقيق: محمود الديوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

(63) الفراء، أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (ت: 458هـ/1065م)، الأحكام السلطانية، صححه: محمد حماد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.

(64) ابن الفرات، محمد بن عبد الرحيم (ت: 807هـ/1405م)، تاريخ ابن الفرات، المطبعة الأميركانية، بيروت، 1942م،

(65) ابن فضل الله العمري، شهاب الدين بن أحمد بن يحيى (ت: 749هـ/1348م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م.

(66) بن فهد، النجم بن عمر بن محمد (ت: 885هـ/1480م):

- إتحاف الورى بأخبار أمّ القرى، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، د.ت.

- الدر الكمين بزين العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر، بيروت، 2000م.

(67) ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت: 276هـ/889م)، المعارف، دار فنديهوك للنشر، ألمانيا، 1850م.

(68) ابن قُدامة، شمس الدين عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المقدسي الصالحي (ت: 682هـ/ 1283 م)، الشرح الكبير المسمى بالشافي على متن المقنع، دار الفكر، بيروت، 2018م.

(69) القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت: 682هـ/1283م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر ، بيروت، د.ت

(70) ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة (ت: 555هـ/1160م)، ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيّين، بيروت، 1908م.

(71) القلصادي، ابو الحسن علي الأندلسي (ت: 891هـ/1486م)، رحلة القلصادي، تحقيق: محمد ابو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، د.ت.

(72) القلقشندي، أبو العباس أحمد (ت: 821هـ/1418م)، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب:

- دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م.

- تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1980م.

- صبح الأعشى في كتابة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922م.

(73) الكتبي، محمد بن شاكر (ت: 764هـ/1362م)، فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.

(74) الكشميري، محمد أنور شاه الكشميري الديوبندي (ت: 1352هـ/1933م)، فيض الباري على صحيح البخاري، تحقيق: محمد عالم الميرتهي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م.

(75) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الحصلي البصروي الشافعي (ت: 774 هـ/ 1382م):

- البداية والنهاية:

- اعتناء: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، الأردن، 2004م.

- مطبعة كردستان العالمية، القاهرة، 1929م.

- تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م.

(76) بن كنان، محمد بن عيسى الصالحي الدمشقي (ت: 1153هـ/1740م):

– المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، تحقيق: حكمت إسماعيل، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1993م.

– حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، دار النفائس، بيروت، 1991م.

(77) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت: 450هـ/1058م)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة، الكويت، 1989م

(78) محبي، محمد أمين بن فضل الله (ت: 1111هـ/1699م)، من تاريخ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المطبعة الوهبية، القاهرة.

(79) المُرادي، أبي الفضل محمد خليل بن علي بن محمد (ت: 1206هـ/1791م)، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

(80) المسعودي، ابو الحسن بن علي (ت: 346هـ/957م)، مروج الذهب ومعادن الجواهر، اعتناء: كمال مرعي، المكتبة العصرية، بيروت ، 2005م.

(81) ابن مسكويه، ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن يعقوب (ت: 421هـ/ 1030م)، تجارِب الأمم وتعاقُب الهمم، تحقيق: سيد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م.

(82) المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي (ت: 845هـ/1441م):

– الذهب المسبوك في ذكر من حجّ من الأمراء والملوك، تحقيق: جمال الدين، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 2000م.

– اتِّعاظ الحُنَفا بأخبار الأئمة الفاطميين للخُلَفا:

– تحقيق: جمال الدين الشيال، د.ن، القاهرة، 1996م.

– تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.

– البيان والإعراب عمّا بأرض مصر من الأعراب، راجعه: إبراهيم رمزي، مركز التراث للبرمجيات، د.م، د.ت.

– المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية:

– مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مصر، 2002م.

– تحقيق: محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998م.

– دار الكتب العلمية، بيروت، 1988.

– السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

– المقفى الكبير، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991م.

(83) ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الرويفعي الإفريقي (711هـ/ 1311م)، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، مصر، د.ت.

(84) المهلبي، الحسن بن أحمد (ت: 380هـ/990م)، الكتاب العزيزي–المسالك والممالك، علق عليه: تيسير خلف، التكوين للطباعة والنشر، دمشق، د.ت،

(85) بن نباتة، جمال الدين بن نباتة المصري، (ت: 768هـ/1366م)، سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، مصر، 1964م.

(86) النووي، أبي زكريا محيي الدين بن شرف الدين الدمشقي (ت:676هـ/1277م):

– شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، شرحه: محمد بن صالح العثيمين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م.

– روضة الطالبين، تحقيق: عادل احمد عبد المجود، علي محمد معوض، الرياض، دار عالم الكتب، 2003م.

(87) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت: 733هـ/1332م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: نجيب مصطفى فواز، حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م.

(88) ابن هشام، ابو محمد بن عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت: 213هـ/ 828م)، السيرة النبوية، دار ابن حزم، بيروت، 2009م.

(89) ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم أبو عبد الله المازني التميمي الحموي (ت: 697هـ/ 1297م):

– مُفرِّج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1957م.

– مفرج الكروب، نسخة مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، 1953م،

(86) ابن الوردي، زين الدين عمر (ت: 749هـ/1384م)، تاريخ ابن الوردي، دار المعرفة، بيروت، 1970م.

(90) اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي (ت: 768هـ /1366م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

(91) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت: 622هـ/1225م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م.

(92) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن وهب ابن الواضح الكاتب (ت: 284هـ/897م)، البلدان، المكتبة مكتبة المرتضية، العراق، 1918م

(93) اليونيني، قطب الدين موسى (ت: 726هـ/1326م)، ذيل مرآة الزمان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، 1945م.

المراجع:

(1) أحمد، يوسف، المحمل والحج، مطبعة حجازي، القاهرة، 1937م.

(2) إسماعيل، عمرو، في الفن المعماري الإسلامي: نماذج من تشكيل العمارة الدينية، وكالة الصحافة العربية، القاهرة، 2020م.

(3) البتنوني، محمد لبيب، الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر، د.ن، د.م، 2006م.

(4) البستاني، بطرس، دائرة المعارف، مطبعة المعارف، بيروت، 1877م.

(5) البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار المعارف الجليلة، إسطنبول، 1955م.

(6) بكر، سيد عبد المجيد، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، جامعة الملك فيصل، د.م، 1981م.

(7) التكريتي، محمود ياسين أحمد، الأيوبيّون في شمال الشام والجزيرة (564-648هـ/1168-1250م)، رشيد للنشر، الأردن، 1981م.

(8) حلاق، حسان، مكة المكرمة من خلال رحلتي ابن جبير وابن بطوطة، دار النهضة العربية، بيروت، 1996م.

(9) خرابشة، سليمان، التنافس السلجوقي الفاطمي على بلاد الحجاز وإمرة الحج، الأردن، منشورات جامعة اليرموك، 1996م.

(10) خسرو، ناصر، سفرنامة، ترجمة: يحيى خشاب، الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1993م.

(11) خطاب، محمود شيت، قادة فتح العراق والجزيرة، القاهرة، دار القلم، د.ت.

(12) الخطيب، مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م.

(13) دحلان، أحمد بن زيني، تاريخ زيني الدين دحلان- خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام من زمن سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام إلى وقتنا هذا بالتمام، تحقيق: ابو عبد الله محمد الشافعي القاهري، وآخرون، مطبوعات أرض الحرمين، مصر، 1888م.

(14) دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1990م.

(15) ديغوري، جيرالد، حكام مكة، ترجمة: محمد شهاب، مكتبة مدبولى، القاهرة، 2000م،

(16) الرشيدي، أحمد الشيخ، حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحج، تحقيق: ليلى عبد اللطيف أحمد، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م.

(17) رفعت، إبراهيم، مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، دار الكتب المصرية، مصر، 1925م.

(18) زيادة، نقولا، الحسبة والمحتسب في الإسلام، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1963م.

(19) زيبق، إبراهيم، أبو شامة مؤرخ دمشق في عصر الأيوبيين (599هـ/1203م-665هـ /1267م): دراسة تحليلية في سيرته وآثاره التاريخية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2010م.

(20) الزيناتي، أنور محمود ، معجم المصطلحات التاريخية والحضارة الإسلامية، جامعة عبين شمس، مصر، 2011م.

(21) سالم، سحر السيد عبد العزيز، دراسات في تاريخ مصر في العصرين الايوبي والمملوكي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2009م.

(22) السباعي، أحمد، تاريخ مكة- دراسات في السياسة والعلم والاجتماع، نادي مكة الثقافي، مكة المكرمة، 1984م.

(23) السويدي، أبي الفوز محمد أمين البغدادي، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، وضع حواشيه: كامل مصطفى الهنداوي.

(24) سيد، أحمد فؤاد، تاريخ مصر الإسلامية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2002م،

(25) سيد، أيمن فؤاد، ومجموعة من المصنفين، دراسات عربية وإسلامية، مكتبة المدني، القاهرة، 1982م

(26) شهابي، قتيبة، معجم دمشق التاريخي للأماكن والأحياء والمشيدات ومواقعها وتاريخها كما وردت في نصوص المؤرخين، وزارة الثقافة، سوريا، 1999م.

(27) الشيخ، نزار محمود قاسم، المواقيت الزمانية والمكانية للحج العمرة وزيارة المدينة المنورة (دراسة فقهية مقارنة)، إشراف: أحمد الحجي الكردي، معهد التكنولوجيا التطبيقية، الإمارات، د.ت.

(28) الشيشتاوي، محمد، مُتنَزَّهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني، دار آفاق العربية، القاهرة، 1999م.

(29) الصباغ، محمد بن أحمد بن سالم بن محمد المالكي المكي، تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، 2004م.

(30) صبري باشا ايوب، مرآة جزيرة العرب، ترجمة: احمد فؤاد متولى، احمد مرسي، دار الافاق العربية، القاهرة، د.ت.

(31) طقوش، محمد سهيل، تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة (569-661هـ/ 1174 -1263م)، دار النفائس، بيروت، 2008م.

(32) طيار، عماد حيدر، المعاهدة الدولية شروتها وأحكامها في الشريعة، دار الحافظ، دمشق، 2000م.

(33) ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، دار النفائس، بيروت، 1990م.

(34) عارف، عارف، المفصل في تاريخ القدس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2005م.

(35) عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، القاهرة، دار الفكر العربي، 1968م.

(36) علي، محمد كرد، خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق، 1983م.

(37) العليمي، عبد الرحمن بن محمد، الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، المطبعة الوهيبية، مصر، 1866م.

(38) عبد الغني، عارف، تاريخ أمراء مكة المكرمة من 1 –1344هـ، دار البشائر، دمشق، 1992م.

(39) عناقرة، محمد خلف ، الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك (648–923 هـ/1250–1700م)، دارة الملك عبد العزيز ، السعودية) (2006).

(40) فواز، زينب بنت علي بن حسين، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، دار المعرفة، بيروت، 1892م.

(41) الكاندهلوي، محمد زكريا المدني، أوجز المسالك إلى موطأ مالك: اعتناء: تقي الدين الندوي، دار القلم، دمشق، 2003م.

(42) الكعبي، حنان رضا، قوافل الحج والحجيج في عصر صلاح الدين الأيوبي (598–1201) – دراسة تاريخية، مؤتمر طرق الحج في إفريقيا، الخرطوم – السودان، 28،29 تشرين الثاني 2016م، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، 2017م.

(43) كنعان، علي، ابن جبير: أمراء وأسرى وخواتين، علي كنعان، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي– الإمارات، 2009م

(44) الكيلاني، كامل، ابن جبير في مصر والحجاز، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017م.

(45) المديرس، عبد الرحمن مديرس، المدينة المنورة في العصر المملوكي (648-923هـ / 1250-1517م)، د.ن، د.م، 2001م.

(46) المصري، يونس، رحلات فارتمة، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتب، مصر، 1994م.

(47) المغلوث، سامي بن عبد الله بن أحمد، أطلس الحج والعمرة (تاريخا وفقها)، مكتبة العبيكان، الرياض، 2010م.

(48) مقديش، محمود، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق: علي الزواري، محمد محفظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.

(49) المنجد، صلاح الدين، تصحيح كتاب الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1981م.

(50) ناصر، نجيب موسى، الحياة الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي، دار الشرق للتوزيع والنشر، د.م، 2003م.

(51) نواب، عواطف محمد يوسف، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريَّين (دراسة تحليلية مقارنة)، مكتبة الملك الفهد، الرياض، 1996م،.

الابحاث المنشورة:

(1)افاق عربية، المجلد 2، الأعداد 9-12، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 1977م.

(2) البكر، خالد، ابن رشيد الفهري وأولى الرحلات المغربية المدونة إلى الحجاز، مجلة الفيصل، العددان 493-494، 2017م.

(3) سيد، حسين مراد، ركب الحج المصري في عصر المماليك (648-923هـ/ 1250-1517م)، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، د.ت.

(4) صبحي، عبد المنعم محمد، العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين، د.ن، د.م، د.ت

(5) عطية، حسن فرحان عبد الستار، الدور السياسي والحضاري لأمراء الحج المصري في مكة في العصر المملوكي- (648-923هـ/1250-1517م)، المجلة العلمية، كلية اللغة العربية، جامعة آسيوط، ع34، ج4، 2015م.

(6) أبو غالي، مختار علي، انسجام المتخالف في العشر، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، الكويت، ع55، مج14، 1996م.

(7) فرحان، حامد جراح، استعدادات وتهيئة ركب الحج في العصور العباسية المتأخرة (343-656هـ/ 945-1258م)، كلية التربية للبنات، جامعة البصرة، العراق، د.ت.

(8) كيال، منير، محمل الحج الشامي: دراسة ثقافية، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 2006م.

(9) مجلة البحوث التاريخية، المجلدات 8-9، مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي، 1986م.

(10) مجلة الدراسات تاريخية، الاعداد 41-44، جامعة دمشق، دمشق، 1992م.

(11) المزيني، إبراهيم بن محمد بن حمد، الأسواق والمراكز التجارية عند ابن جبير في رحلته (بحث)، الناشر: ابو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري، د.م، د.ت.

(12) وزارة الحج السعودية، مجلة الحج والعمرة، مجلد 58، ع3، 2003م.

الرسائل الجامعية:

(1) باقاسي، عائشة عمر عبد الله، بلاد الحجاز في العصر الأيوبي (567-648هـ/ 1171-1250م)- (رسالة ماجستير)غير منشورة، اشراف: حسين محمد ربيع، كلية الشريعة للدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز، 1980م،

(2) جلال، أمينة حسين، "طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي (684-923هـ)/ (258-1517م)"- رسالة ماجستير غير منشورة ، إشراف: أحمد السيد دراج، جامعة أم القرى، السعودية، 1978م.

(3) الحشاش، عبد اللطيف شاكر، الحج الشامي في العصر المملوكي (648-923هـ/ 1250-1017م)، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: رياض مصطفى شاهين، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار، الجامعة الإسلامية، غزة، 2016م.

(4) زعرور، إبراهيم، الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي (رسالة دكتوراه)، إشراف: سهيل زكار، قسم التاريخ- كلية الآداب، ، جامعة دمشق، دمشق، 1990م.

(5) سرحان، خضر عيد، دمشق من خلال كتب الرحلات في العصرين الأيوبي والمملوكي بين القرن السادس والثامن الهجري- الثاني عشر والرابع عشر الميلادي- رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: محمد الأرناؤوط ، جامعة العلوم الإسلامية، عمان- الأردن، 2013م.

(6) سلامة، أيمن شاهر، المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني في الفترة (567-648هـ/1172-1251م)- رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: أحمد عبد الحميد خفاجة، جامعة طنطا، كلية اداب، مصر، 1999م.

(7) العبدلي، عائشة مانع عبيد، إمارة الحج في عصر الدولة المملوكية وأثرها على الأوضاع الداخلي في مكة المكرمة (648-923هـ/1258-1517م)- رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: جميل عبد الله المصري، جامعة أم القرى، السعودية، 1999م.

(8) كمال، سليمان صالح، إمارة الحج في العصر العباسي من سنة (132-247)- رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف، محمد داود، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1988م.

(9) المالكي، سليمان عبد الغني، بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد (من منتصف القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن السابع الهجري)– رسالة دكتوراة، إشراف: محمد أمين صلح، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1981م،

مواقع إلكترونية:

(1)إسلام ويب، رقم الفتوى 61684، الثلاثاء 25 ربيع الاول 1426هـ– 3 حزيران 2005 / تاريخ الوصول: 2020/10/21 الساعة عشرة ونصف.

الملاحق

الملحق رقم (1)

كتاب صلاح الدين الأيوبي الذي وجهه لأمير مكة من أجل إبطال المكوس

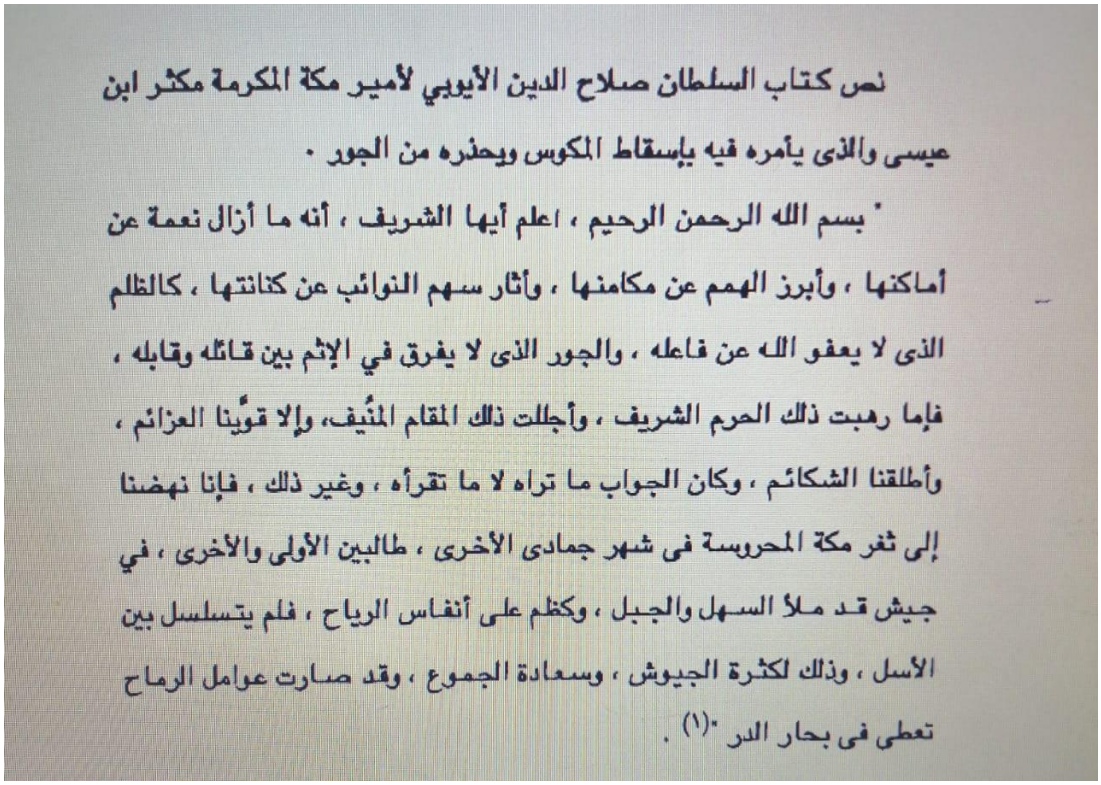

نص كتاب السلطان صلاح الدين الأيوبي لأمير مكة المكرمة مكثر ابن عيسى والذى يأمره فيه بإسقاط المكوس ويحذره من الجور .

" بسم الله الرحمن الرحيم ، اعلم أيها الشريف ، أنه ما أزال نعمة عن أماكنها ، وأبرز الهمم عن مكامنها ، وأثار سهم النوائب عن كنانتها ، كالظلم الذى لا يعفو الله عن فاعله ، والجور الذى لا يفرق في الإثم بين قائله وقابله ، فإما رهبت ذلك الحرم الشريف ، وأجللت ذلك المقام المنيف، وإلا قوّينا العزائم ، وأطلقنا الشكائم ، وكان الجواب ما تراه لا ما تقرأه ، وغير ذلك ، فإنا نهضنا إلى ثغر مكة المحروسة فى شهر جمادى الأخرى ، طالبين الأولى والأخرى ، في جيش قد ملأ السهل والجبل ، وكظم على أنفاس الرياح ، فلم يتسلسل بين الأسل ، وذلك لكثرة الجيوش ، وسعادة الجموع ، وقد صارت عوامل الرماح تعطى فى بحار الدر "[1] .

نواب، الرحلات المغربية، ص440

الملحق رقم (2)

خارطة المشاعر المقدسة

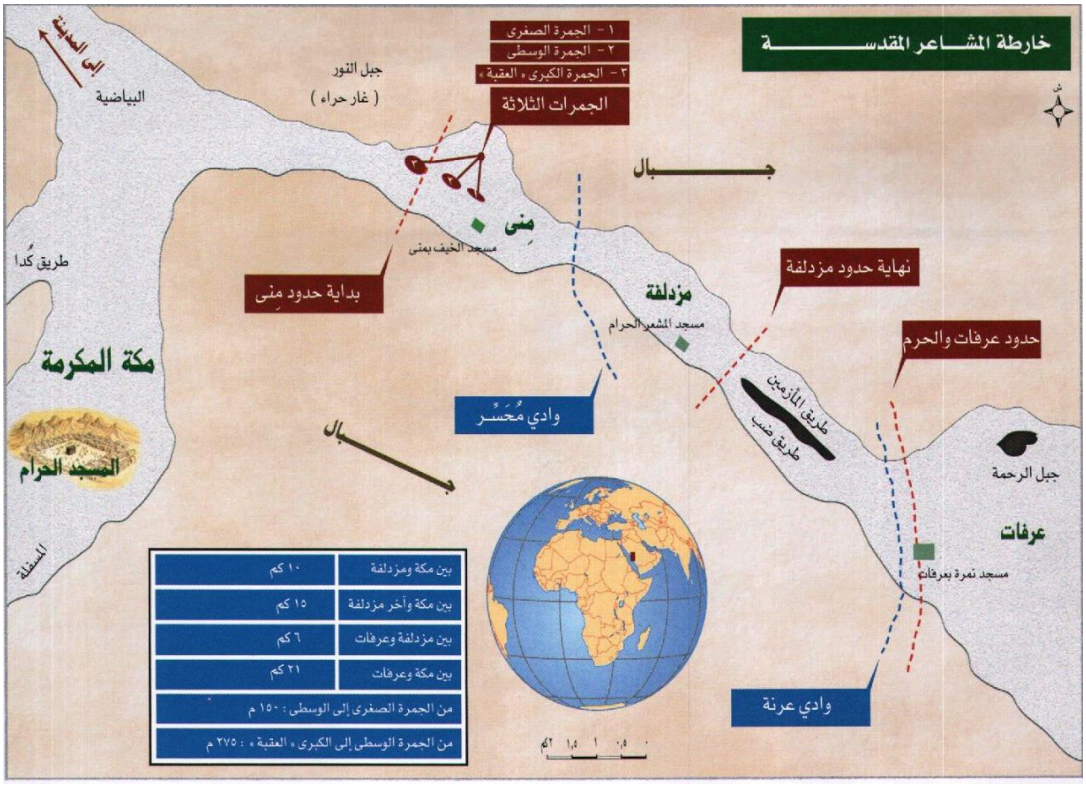

المغلوث، أطلس الحج والعمرة، ص54

الملحق رقم (3)

الدولة الأيوبية

المغلوث، أطلس الحج والعمرة، ص92

الملحق رقم (4)

الميزاب

الميـزاب: هـو مصب ماء المطر الذي على سطح الكعبـة. روى الأزرقي في أخبار مكة (٥٣/٢) بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: صلوا فـي مصلـى الأخيـار واشربوا مـن شراب الأبـرار. قيـل لابـن عباس: ومـا مصلـى الأخيـار؟ قـال: تحـت الميـزاب. قيـل: وما شراب الأبرار؟ قال: ماء زمزم.

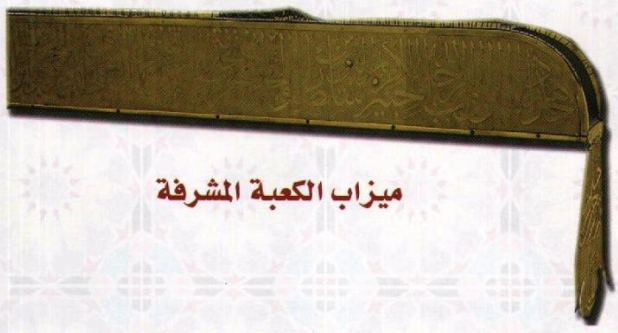

ميزاب الكعبة المشرفة

تنبيه هام: فقـد فسر ابن عباس شراب الأبرار بماء زمزم، لا كما يظن بعض العوام هداهم الله، فيحرصون على شرب ماء المطر الذي ينزل من الميزاب.

المغلوث، أطلس الحج والعمرة، ص48

الملحق رقم (5)

طريق الحج المصري عبر عيذاب:

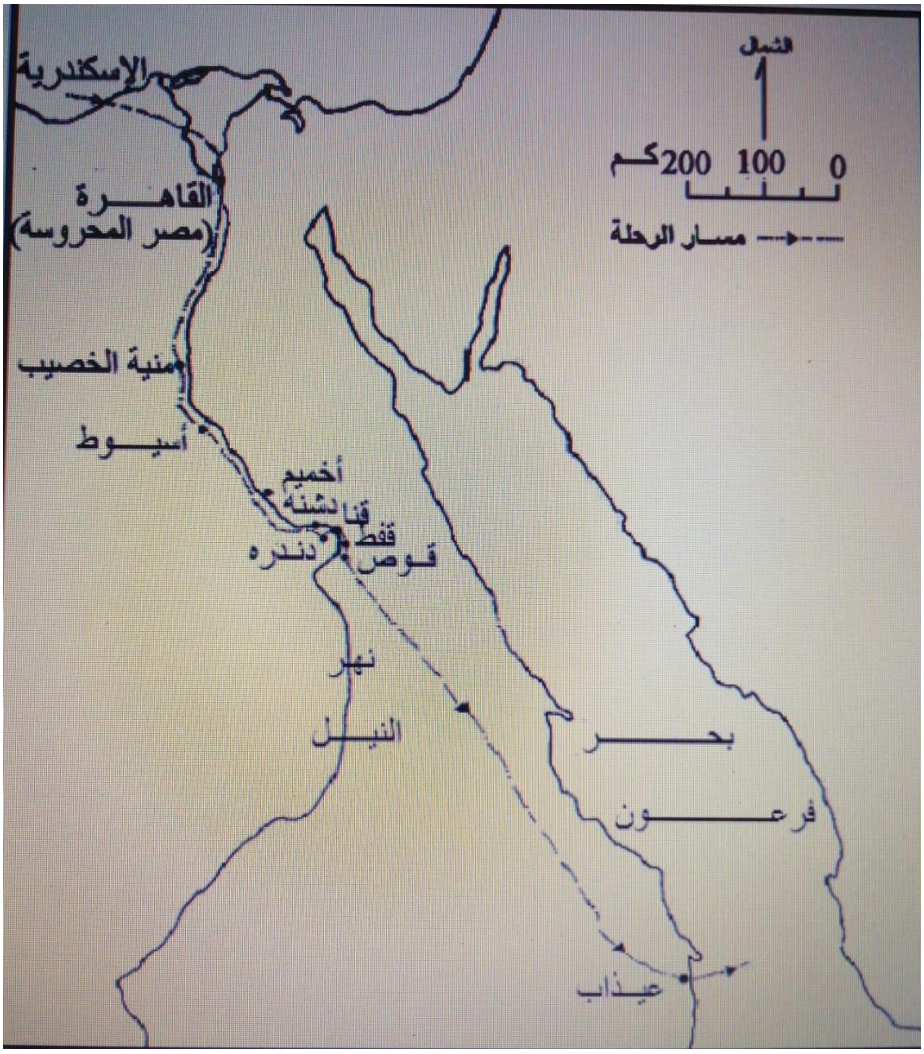

غرايبة، خليف مصطفى، النسيج العمراني للمدينة العربية الإسلامية من خلال رحلة ابن جبير(578هـ /1182م – 581هـ/1185م)، جامعة البلقاء التطبيقية، عجلون– الأردن، 2014م، ص10.

الملحق رقم (6)

طريق الحج الشامي:

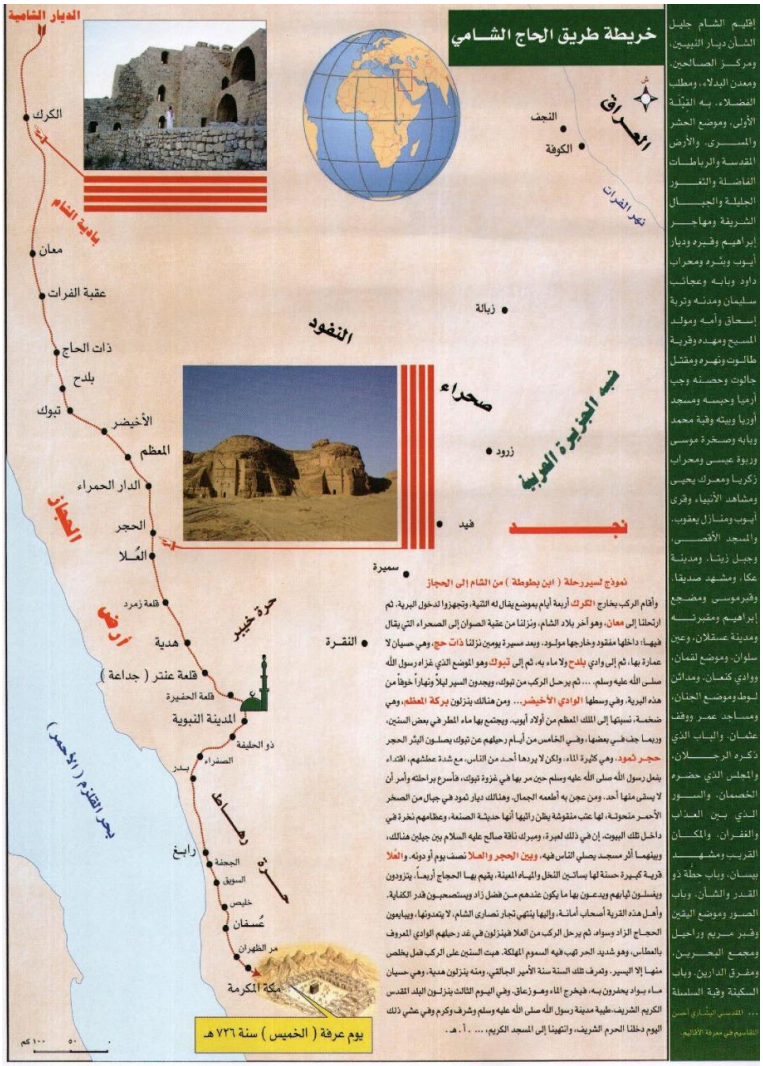

المغلوث، أطلس الحج والعمرة، ص106.

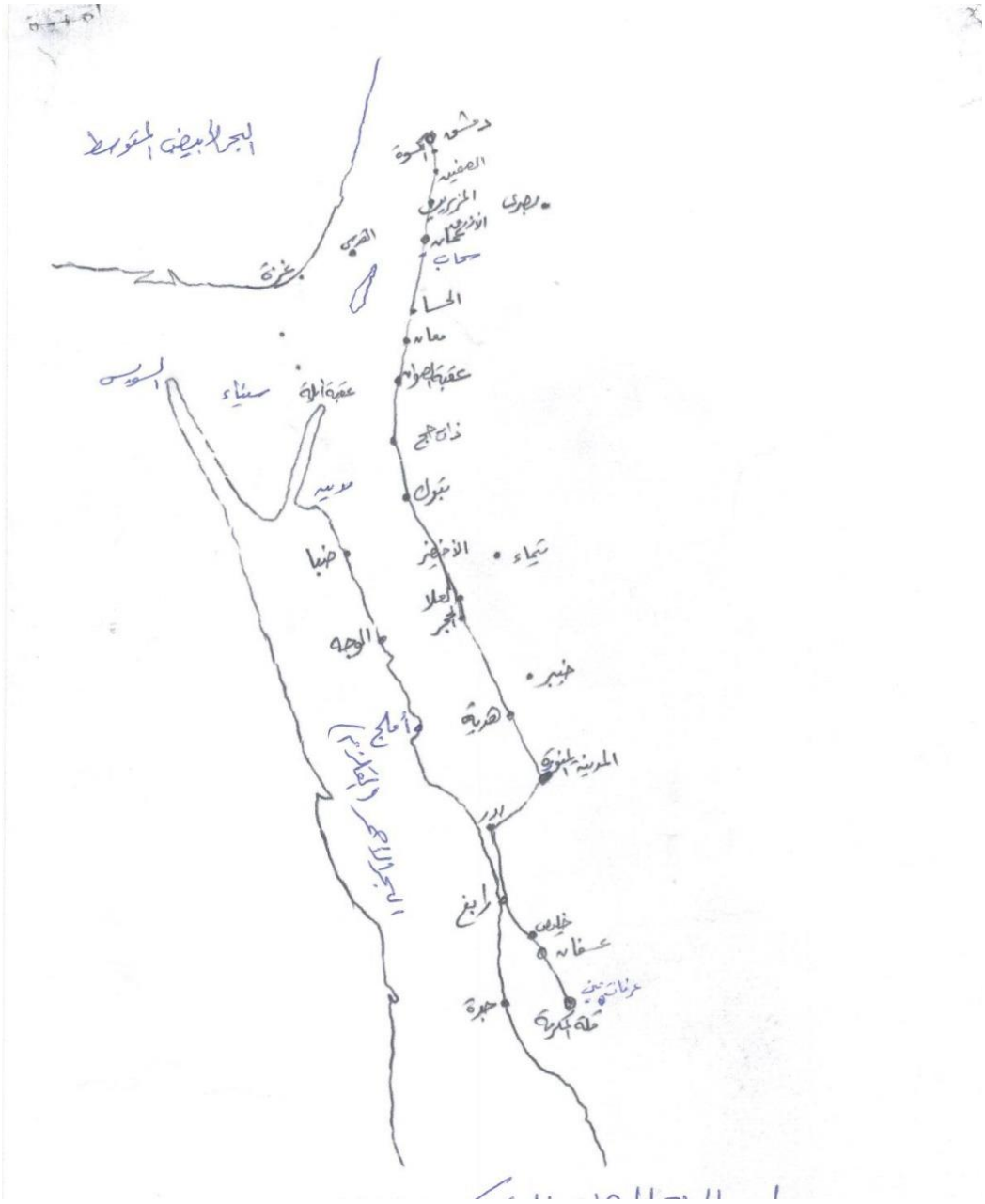

الحشاش، الحج الشامي في العصر المملوكي، ص320

الملحق رقم (7)

مواقيت الحج المكانية:

المنجد، محمد صالح، المواقيت المكانية للحج، الصفحة الشخصية على تويتر

Abstract

Al-Marawnah: Nahed AbdelRazzeq Mohammad

The Shami and Egyptian Hajj Caravans During the Auyybid Period

(648-569A.H/ 1250-1173A.D)

M.A : Thesis: Yarmouk university . Jordan 2020

Under the Supervision of Dr. AbdelMoezz Bani Eissa

This study deals with the topic of Sham and Egyptian Caravans during the reign of the Ayyubid sultans and aims to demonstrate the nature of the pilgrimage caravans in the Egyptian and Sham lands and the routes they took during the Ayyubid era, where the study first dealt with the topic of preparing and organizing caravans starting from the call for Hajj, the turnover of the Mahmal, the Hajj orders and the season and what was related to them one of the responsibilities of adding the pilgrims' companions during their journey to perform the obligatory duty and ending with the convoy upon its departure to Mecca and the historical stages of the Sham and Egyptian Hajj convoys and the route for both of them were conceded and the risks that the pilgrims were exposed to, whether on their way to Mecca or during their stay in the Holy Land. The study also raised the impact of the Crusader aggression on the pilgrimage caravans and the routes that they take, as well as the role of the Ayyubid sultans and the Saladin Al Ayoubi in supporting the pilgrims and providing security, protection and material support to them, as well as the impact and repercussions of the Hajj season on the general conditions in Makkah during the period under the control of the Ayyubid sultans religiously, economically, politically and socially. About the period of performing the rituals and the associated celebrations and Rasim is held as a kind of celebration and celebration of the Hajj, as he explained the rituals of Hajj during the study period and the change that occurred to them according to the circumstances occurring and the temporal and spatial times of the pilgrims and the period of their stay in Mecca and finally the researcher indicated the return routes that the pilgrims took to their homes until they arrived safely.

The study concluded with a set of results, the most prominent of which were: -

Explaining the importance of the Hajj order and the onset of the season in the completion of the Hajj journey and the return of the pilgrims safely and the importance of those accompanying them on their journey. And their completion of their rituals, and the work of the Ayyubid sultans and Salah Al-Din al-Ayyubi to support the pilgrims and protect them from the Crusader attacks, strife and wars that took place from time to time, and their clear efforts in order to serve the pilgrims of the House of God. He provided the pilgrims with a lot of services and facilities during their stay in Makkah and the connection of the Hajj season with several Celebrations that begin before the pilgrims of the House of God set out to leave for Makkah and end with their arrival and reception.

Key words: Sham Hajj, Egyptian Hajj, Mecca, the Ayyubid Sultans.